الفكر اللغوي عند العرب
في ضوء علم اللغة الحديث
(أبو عبيدة)

الدكتور
رضوان منيسي عبد الله

دار النشر للجامعات

الفكر اللغوي عند العرب
في ضوء علم اللغة الحديث
(أبو عبيدة)

تأليف

د. رضوان منيسي عبد الله جاب الله

أستاذ مساعد بجامعة الملك عبد العزيز بجدة - السعودية

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

جاب الله، رضوان منيسي عبد الله.
الفكر اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث (أبو عبيدة)/تأليف رضوان منيسي عبد الله جاب الله. — ط١. — القاهرة: دار النشر للجامعات، ٢٠٠٦.
٥٣٦ ص ، ٢٤ سم.
تدمك ٩ ١٧٤ ٣١٦ ٩٧٧
١- اللغة العربية — فلسفة أ- العنوان.
٤١٠,١

تاريخ الإصدار: ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

الناشر: دار النشر للجامعات

رقم الإيداع: ٢٠٠٦/٥٧٤٢

الترقيم الدولي: I.S.B.N: 977 – 316 – 174 - 9

الكود: ٢/١٨٥

دار النشر للجامعات - مصر
ص.ب (١٣٠ محمد فريد) القاهرة ١١٥١٨
تليفون: ٦٣٤٧٩٧٦ - تليفاكس: ٦٤٤٠٠٩٤

شكرٌ واجبٌ

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر الواجب والتقدير الخالص إلى كل من ساعدني أو شجعني ليرى هذا الكتاب النور، وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور/صلاح الدين صالح حسنين الذي لازمني ملازمةً علميةً نافعةً بذل فيها كثيرًا من وقته وجهده، جزاه الله خيرًا.

والشكر كذلك للأستاذ الدكتور سيد حنفي حسنين على ما بذله من وقت وجهد.

وكان للأستاذ الدكتور عبده على الراجحي العلامة الكبير أثرٌ كبيرٌ في رفع الروح المعنوية للمؤلِّف بثنائه على ذلك العمل وتقريظه له، مما دفع الباحثين للإقبال عليه والدفع نحو طباعته، فله جزيل الشكر والامتنان.

كما أشكر الأستاذة الدكتورة وفاء محمد كامل على مؤازرتها للمؤلِّف وتشجيعها لطباعة الكتاب.

ويسرني أن أثني خيرًا على العاملين في دار النشر للجامعات، الذين أقبلوا على طباعة هذا العمل العلمي، فجزاهم الله خيرًا.

وأحمد الله على التوفيق، وأستغفر الله من الإساءة، والله من وراء القصد، ولله الأمر من قبلُ ومن بعدُ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

دكتور رضوان منيسي عبد الله

بني سويف الجديدة – شرق النيل

٢١ رجب ١٤٢٦هـ – ٢٦ أغسطس ٢٠٠٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

عرف الدرس اللغوي الحديث ثلاث ثورات ثقافية، كانت الأولى منها في القرن التاسع عشر الميلادي، عندما ظهر المنهج المقارن، فهذا المنهج نقل الدرس اللغوي من درسٍ تعليميٍّ يعتمد على معايير وضعها اللغويون في العصور الوسطى، وظلوا يلقنونها للطلاب بهدف تعريف هؤلاء بالصحيح من التراكيب والمفردات اللغوية وتجنب اللحن.

إعتمد المنهج المقارن على الأسس العلمية التي كانت سائدةً حينها، ويمكن تلخيص هذه الأسس في أساسين فقط، أساسٍ فسيولوجيٍّ وأساسٍ فيزيائيٍّ، وكان هذان الأساسان يُدْرَسَان من ناحيةٍ واحدة، هي التطور أو التغير الذي طرأ على كلٍّ منهما، وأسفر تطبيق هذا المنهج على اللغة عن تقسيم اللغة إلى ظواهرَ فسيولوجيةٍ وأخرى فيزيائية، مما جعل العلماء يركزون على ما نسميه اليوم بأصوات اللغة، ولم يمسوا – إلا قليلاً – مسائل اللغة الأخرى كالنحو مثلاً، ولكنهم ربطوا الأصوات بالمعجم وبدراسة المفردات، أو بمعنىً أصح بالتغير الذي طرأ على الجانب الفيزيائي للمفردة، والمقصود بذلك أصواتها، والجانب الدلالي، والمقصود بذلك معناها.

أما الثورة الثانية فكانت في مستهل القرن العشرين، عندما ظهر دي سوسير "De Sauser"، ونادى بأن اللغة ظاهرةٌ اجتماعيةٌ، وليست كائنًا حيًّا – كما كان يزعم أنصار المنهج المقارن – وأنها تخضع لنفس المنهج الذي تخضع له علوم الاجتماع، لذا ركز على اللغة كما تُسْتَخْدَمُ في اللحظة الآنية، وهكذا نادى دي سوسير بما يُسَمَّى بالمنهج السنكروني، أي: المنهج الآني، وميَّزه عن المنهج التاريخي، وأطلق عليه المنهج الدياكروني، فالأول يدرس اللغة في حالة ثبات، والثاني يدرسها في حالة ديناميكية، إلا أن التغير الجوهري الذي أضفاه دي سوسير على الدرس اللغوي – وهو يختلف بالطبع عن المنهج الأول الذي يسعى إلى تفتيت اللغة إلى عناصرها الذرية – مؤداه أن اللغة نظامٌ تحكمه علاقاتٌ، هذه العلاقات هي المسئولة عن تحديد القيمة اللغوية أو الوظيفة اللغوية، فالفاعل مثلاً قيمته أو وظيفته تنتج عن علاقة إسنادِ اسمٍ إلى فعل، وعلامة هذا الإسناد هي الرفع بالضمة أو بغيرها من علامات الرفع.

وقد دفع هذا المنظور دي سوسير إلى أن يمز بين اللغة "Langue" والكلام "Parole"، فاللغة هي النظام، أما الكلام فهو الشكل المادي الذي يختاره المتكلم من بين إمكانيات اللغة الواسعة، وَوُصِفَ منهج دي سوسير بالمنهج البنائي أو البنيوي.

والثورة الثالثة هي تلك التي ربطت اللغة بالحاسوب أو الكمبيوتر "Computer"، وركزت على ذاكرة الحاسوب، وربطت بينهما وبين ذاكرة الإنسان أو عقل الإنسان عامةً، لذا تُوصَفُ بأنها عقليةٌ محضةٌ، كما ركزت على نقطة واحدة هي: كيف ينتج الإنسان جملاً صحيحةً لم ينتجها من قبلُ؟ ويفهم جملاً صحيحةً لم يسمع بها من قبلُ؟ وركزت على ما يُسَمَّى بالحدس، وَيُقْصَدُ به أهمية الخبرة التي يجتازها الإنسان عندما يفهم كلامًا ما، أو عندما ينتج كلامًا ما ، وهذا دفعهم إلى أن يضيفوا عاملاً حاسمًا يميز الإنسان عن الحيوان، هو الكفاءة التي زوَّد الله — تعالى — بها الإنسان، وهي التي تجعله قادرًا — إذا اكتسب الخبرة الملائمة — على الإبداع.

ويقوم الكتاب الذي أعده الدكتور رضوان منيسي عبد الله على دراسة رجلٍ راوية، هو أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت/٢٠٩: ٢١٣هـ)، والذي اشْتُهِرَ بجمع اللغة من البادية، وأفاد من هذا الجمع في تفسير النص المهم في الفكر الإسلامي وهو نص القرآن الكريم، ووضع أول كتاب في هذه الناحية وهو كتاب مجاز القرآن، إذ كشف فيه — فضلاً عن التفسير — عن بعض أوجه الإعجاز القرآني، التي تحدى بها القرآن الكريم لغة العرب.

كما شرح أبو عبيدة أشعار النقائض، خاصةً ما رُوِيَ عن جريرٍ والفرزدق.

لقد اختار الدكتور رضوان المنهج البنائي ليدرس من خلاله فكر هذا الرجل، وقسَّم تراثه إلى عددٍ من المستويات، هي: مستوى الأصوات ومستوى البنية ومستوى التركيب ومستوى الدلالة.

ففي الأصوات حللها إلى أجزائها الذرية، ثم أعاد بناءها في ضوء عدد من القوانين التي أشار إليها في ثنايا بحثه، وفي البنية حللها إلى عناصرها الأساسية، ثم أعاد بناءها في ضوء تقسيم الكلمة إلى مقولاتها المختلفة، وفي التركيب درس الجملة وأنواعها، وقسَّمها إلى جملٍ أساسيةٍ وجملٍ ممتدةٍ، وفي الدلالة تتبع التغيير الذي طرأ على المعاني المدروسة.

وفي الختام نشيد بإجادة المؤلف في تطبيق المنهج الحديث، بثوراته الثلاث على رجلٍ من أوثق الرواة ومن أدق المصنفين.

بقلم: أ.د. صلاح الدين صالح حسنين

أستاذ اللغويات بكلية آداب بني سويف

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

موضوع الكتاب:

هذا الكتاب خلاصة جهد بُذِلَ على مدار ست سنوات متواصلة، تمثل المدى الزمني الذي استغرقته رسالتي للدكتوراه، تلك الرسالة التي كان محورها البحثي يقوم على قراءة الفكر اللغوي المنهجي في ضوء علم اللغة في العصر الحديث، تطبيقًا على التراث اللغوي لأبي عبيدة معمر بن المثنى (المتوفى في الفترة ٢٠٩: ٢١٣هـ)، وقد أوصت لجنة الحكم على الرسالة بطباعتها على نفقة الجامعة، مما شجعني على طباعتها بعد تأخرٍ دام أربع سنواتٍ مضت على تلك التوصية.

وقد حاولت في تلك الدراسة من خلال مفردات المحتوى العلمي أن أقدم مقاربةً منهجيةً وموضوعيةً للتفكير اللغوي عند العرب، وذلك بتسليط الضوء على عَلَمٍ من الأعلام المؤسسين للمنظومة الفكرية المتكاملة في العلوم اللغوية العربية، فأبو عبيدة معمر بن المثنى صاحب مكانة عالية ويتمتع بغزارة إنتاجٍ لغويٍّ، مما جعله موردًا لكثيرٍ من العلماء المعاصرين له والتالين لزمانه يصدرون عنه ويرجعون له في كثيرٍ من مسائل اللغة النظرية والتطبيقية.

وكان من بين تلك الأسباب التي حفزتني لاختيار ذلك الموضوع إضافة إلى ما تقدم:

١ـ أن هناك مقولات متناقضة تتردد في كتب التراث حول أبي عبيدة، فتارة يوصف بأنه ضعيف في علم النحو وعلم الصرف، وتارة أخرى يوصف بأنه كان نحويًّا! فأراد الباحث أن يبين حقيقة هذه القضية.

٢ـ أن هناك عددًا كبيرًا من العلماء القدامى الذين تحدثوا عن أبي عبيدة يصفونه بأنه عالم باللغة ولسان العرب، وقال بعضهم بأنه يتبحر في علوم اللسان، ومع ذلك لا توجد دراسة تكشف لنا جوانب هذا التبحر وتبين مستويات الدرس اللغوي عنده وكيفية تناوله لها.

٣ـ وجود مادة علمية غزيرة لأبي عبيدة ينبه عليها كثير من العلماء، منها المطبوع

والمخطوط والمفقود الذي تتناثر آثاره في كتب التراث المختلفة.

٤ــ أن جل الدراسات التي دارت حول أبي عبيدة تتعلق معظمها بجانبين؛ هما حياته الشخصية ومؤلفاته وشيوخه وتلاميذه أو رواياته ومصادرها ودرجة توثيقها فأراد المؤلِّف أن يغطي جانبًا جديدًا وهو دراسة الفكر اللغوي عنده دراسة تطبيقية تعتمد على ما يقوله أبو عبيدة نفسه وليس على ما يقال عنه.

٥ــ ما ذكره العلماء عن أن يونس بن حبيب، وأبا عمرو بن العلاء كان لهما منهج وأقيسة تجنح إلى الاستقلال عن أقيسة مدرستهما البصرية ثم ما وجده المؤلِّف من اشتهار أبي عبيدة بالتلمذة لهذين العلمين الكبيرين تلمذة مباشرة مما أثار رغبة علمية في رؤية جوانب من هذا الاستقلال عند تلميذهما الذي ربما يكون قد تمثل نهجهما في مؤلفاته اللغوية.

٦ــ ما وجده المؤلِّف في القراءة الأولى لبعض مؤلفاته من وجود بحث صوتي لأبي عبيدة جدير بالوصف والتحليل ولمّا لم يجد المؤلِّف عناية من الدارسين بهذا الجانب أو الحديث عنه رأى أن ذلك يُعدُّ مجالاً جديدًا يجب كشف اللثام عنه والتصريح به.

الدراسات السابقة:

هناك نوعان من الدراسات دارت حول أبي عبيدة دراسات مختصرة في مقدمات التحقيق لبعض مؤلفاته أو مقالات علمية تتعلق بجانب محدد ودراسات أخرى مطولة أفردت لأبي عبيدة ومن النوعين نجد ما يتعلق بحياته أو ما يتعلق بمؤلفاته وأهم هذه الدراسات ما يلي:

١ــ دراسة الدكتور طه الحاجري، وهي عبارة عن ثلاثة مقالات صدرت بمجلة الكاتب المصري في الإسكندرية ١٩٤٩م وأعيد نشرها مرَّةً أخرى ١٩٥١م ، وقد نوّه إليها الأستاذ فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي، وتعرّض لها الدكتور نهاد الموسي بالوصف والشرح وبين أنها تتعلق بالحديث عن الرواية والنقد عند أبي عبيدة.

٢ــ دراسة الأستاذ عبد السلام هارون وهي أول إحصاء تحقيقي شامل لمؤلفات أبي عبيدة في مقدمة تحقيق كتابه العققة والبررة، وصدرت الطبعة الثانية منها ١٩٧٣م ضمن نوادر المخطوطات، وقد اعتمد عليها كثير من الباحثين الذين تحدثوا عن أبي عبيدة في مقدمات كتبه المحققة، و لم يُستدرك على هذا الإحصاء بعده إلا القليل ويدخل ضمن هذا النوع من الدراسات مقدمة بيفان لشرح نقائض جرير والفرزدق، وكذلك مقدمة كتاب المجاز والخيل والديباج، وكذلك ما جاء عنه في تاريخ الأدب العربي لبركلمان، وتاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين، وما أشبه ذلك.

٣ــ دراسة الدكتور نهاد الموسي بعنوان: [أبو عبيدة]، وهي أطروحة لنيل درجة الدكتوراه بجامعة القاهرة ١٩٦٩م، وهي قسمان: الأول يتعلق بالدراسة، والثاني يتعلق بتحقيق كتاب تسمية أزواج النبي ﷺ لأبي عبيدة مضافًا إليه بعض الملاحق ويشمل القسم الأول الجزء الأكبر من الرسالة ويقع في ما يزيد عن ثلاثمائة صفحة وهو مُوَزَّع على ستة فصول وبيانها كما يلي:

١ــ الرجل (١ــ ٨٠) الهويّة والسيرة، الاسم واللقب والكنية والنسب والولاء والمولد والنشأة والوفاة والفكر الاجتماعي.

٢ــ المتعلم (٨١ ــ ١١٥) دوائر التعلم: الشيوخ/ النظراء/ الإخباريون/ المحدثون/ شيوخ عابرون/ الأعراب.

٣ــ المعلم (١١٦ ــ ١٥٣) الحلقة/ الرواد/ التلاميذ/ (بصريون ــ كوفيون ــ بغداديون ــ تلاميذ عابرون).

٤ــ المؤلف (١٥٤ ــ ٢٨٨) أدوات التأليف ــ حياة التأليف ــ المؤلفات (في اللغة ــ في الشعر ــ في الأخبار).

٥ــ الراوية (٢٨٩ ــ ٣٢٣) البواعث/ المصادر/ الدور العلمي/ المادة (الأخبار ــ الشعر ــ اللغة ــ النحو ــ القراءات ــ الحديث).

٦ــ العَالِم (٣٢٤ ــ ٣٩١) من الرواية إلى العلم.. صورة أبي عبيدة عند القدماء وفي الرؤية المعاصرة.. أثر الرواية في الأنظار اللغوية (٣٣٨ ــ ٣٥٣).

ــ أثر الرواية في المعجمية اللفظية ــ أثر الرواية في المعجمية المعنوية.

وانتهت الدراسة في الجانب اللغوي إلى أن الرواية جعلته ينهج نهجًا ظاهريًّا في علوم اللغة يكتفي بالفهم القريب لظاهر النصوص في تخريج أحكام النحو واللغة! والرواية هي التي جعلته يكتفي في تناول علوم عصره (ومن بينها النحو) بالقدر الذي تؤدي فيه وظيفتها لم يتغلغل فيها ولم يمعن لأن ذلك أمر غير ممكن! في تلك الحال من الاستيعاب والتوزيع المترامي الأطراف بين الموضوعات.

ومن خلال النظر في الدراسات السابقة يحاول الباحث أن يتجنب مواطن الزلل فيها قدر الطاقة وأن يُفِيد من جوانب الإفادة ولا يكرر ما سُبِق إليه من حقائق بل يكتفي بالإشارة ويأمل أن يسد الفراغ الموجود في قراءة الفكر اللغوي عند أبي عبيدة قراءة جديدة ومنتجة

مع الوضع في الحسبان أن هذه الدراسة مكملة لتلك الدراسات وللسابق فضل السبق.

المصادر والمراجع:

اعتمد المؤلِّف على صنفين من المصادر التي نقلت الآثار العلمية لأبي عبيدة، الصنف الأول مؤلفات أبي عبيدة وهي بدورها تنقسم إلى قسمين الأول: ما تواترت عليه كلمات العلماء بنسبته لأبي عبيدة مثل المجاز والخيل والعققة والبررة والديباج، ويأتي المجاز على رأس هذه المجموعة في المحتوى العلمي للمقولات المتعلقة بموضوع الكتاب، الثاني ما دار حوله الجدل في اشتراك آخرين في تأليفه ويمثل ذلك شرح نقائض جرير والفرزدق وسنقف عنده بعد قليل لنحدد كيفية التعامل معه.

ـ أما الصنف الثاني من المصادر فهي مصادر لعلماء لاحقين لأبي عبيدة نقلوا مباشرة عن أبي عبيدة أو نقلوا عن طريق رواية تلاميذه أو اطلعوا على مؤلفاته المفقودة[١]، ونصّوا على هذا النقل أو نصّ عليه تلاميذهم من بعدهم وهي مصادر متعددة تأتي في مقدمتها المعاجم وكتب الغريب وكتب التفسير والحديث والمؤلفات اللغوية والنحوية ونحو ذلك.

ـ شرح نقائض جرير والفرزدق:

دار حول هذا المؤلف جَدَلٌ كبير بين العلماء على هيئته التي خرج بها في طبعة المستشرق البريطاني أنتوني أشلي بيفان والتي صدرت في لندن ١٩٠٥م[٢] ثم أعاد الأستاذ عبد المنعم الصاوي طبع الكتاب عام ١٩٣٥ م معتمدًا على نشرة بيفان بعد أن جَرّدها من الحواشي والفهارس[٣]، وقد حظيت طبعة بيفان الأولى بتقريظ الباحثين والمحققين المشهود لهم بالخبرة والاستقصاء من أمثال الأستاذ أحمد الشايب[٤] والدكتور محمود غناوي الزهيري[٥] والأستاذ عبد السلام هارون[٦] ثم قام كل من الدكتور محمد إبراهيم حُوَّر والدكتور وليد محمود خالص بإعادة تحقيق النقائض مرة أخرى ١٩٩٨م برعاية المجمع الثقافي بـ (أبو ظبي)

---

(١) ذكر العلماء أن مؤلفاته كانت متداولة حتى القرن الثالث الهجري ونقلت منها نقول مختلفة في عشرات المصادر انظر: " أبو عبيدة " ١/١٥٨.

(٢) هي النسخة التي اعتمد عليها المؤلِّف.

(٣) انظر: شرح نقائض جرير والفرزدق (ط أبو ظبي) ٨ المرجع السابق ٩.

(٤) المرجع السابق ٩.

(٥) نقائض جرير والفرزدق (رسالة دكتوراه) جامعة القاهرة انظر: المقدمة.

(٦) نوادر المخطوطات ٢/٣٤٨.

مُسْتَدْرِكين ما فات طبعة بيفان ومُنَبِّهَيْنِ على الأخطاء التي وقع فيها[١] وقد اعتمد المؤلِّف على طبعة بيفان حيث بدأ تفريغها في شكل بطاقات علمية منذ وقت مبكر من البحث ووثّق بعض شواهدها بورودها مسبوبة لأبي عبيدة في مصادر أخرى موّثقة وذلك قبل اطلاعه على طبعة " أبو ظبي " الأخيرة وقد أفاد المؤلّف من هذا التحقيق الأخير وكذلك من ملحوظات الدكتور الزهيري.

ـــ وتبين للمؤلّف من حلال التحقيقاتُ المتعددة للنقائض وملحوظات العلماء في رواياتها وأسانيدها وطرق تحملها ملحوظتين رئيستين: الأولى وجود نصوص موثقة ومؤكدة لأبي عبيدة[٢] وعليها اعتماد المؤلّف في شواهده من النقائض ونصوص مؤكدة لعلماء آخرين غير أبي عبيدة وهي ليست مجالاً للبحث.

الثانية: وجود نصوص مبهمة أو غفلاً وأخرى لم يقطع بنسبتها لأبي عبيدة وهي ليست مجالاً للبحث إلا بشروط مثل تواردها مع نصوص من مؤلفاته الموثقة أو تأكيد العلماء اللاحقين بصحة نسبتها إلى أبي عبيدة ويظهر ذلك في هوامش الكتاب.

ـــ كما اعتمد المؤلّف على مجموعة لا بأس بها من المراجع الحديثة تتعلق بمناهج البحث في اللغة على مستوياتها المختلفة لنخبة من علماء العربية المحدثين وكذلك مجموعة من الكتب المترجمة في التخصص أما المراجع الأجنبية وبخاصة عند المدرسة التوليدية أو ما يتعلق بنظرية العمل عند تشومسكي وتعليقات جون ليونز في نظرية الحقول الدلالية وشروح واقتراحات جاكندوف وشلونسكي فإن المؤلّف قد أفاد إفادة مباشرة من جهود أستاذه الدكتور صلاح الدين صالح حسنين وقد بذل الأستاذ جهدًا كبيرًا وشاقًا في تبصير المؤلّف وتوقيفه على تلك المناهج الحديثة وتقديم تطبيقاتها للكشف عن مضامين الفكر اللغوي عند أبي عبيدة.

المنهج:

اتبع المؤلّف المعطيات النظرية لعلم اللغة الحديث في إعادة بناء الجوانب المختلفة للفكر اللغوي عند أبي عبيدة، وتصنيفها من خلال العناصر الأربعة المكونة لجوانب اللغة، وهي: الأصوات والصرف والتركيب والدلالة، وكانت الطريقة هي توظيف تلك المعطيات بما يتناسب مع الموضوعات، ففي جانب الأصوات اتبع طريقة المدرسة التوليدية في صياغة

---

(١) انظر: شرح نقائض جرير والفرزدق ط أبو ظبي ١/١ – ٦٦.

(٢) نص عليها رواة النقائض وتناقلها العلماء السابقون في مؤلفات مختلفة ، وقد أحصى المحققان في طبعة " أبو ظبي " ١٢٠ إسنادًا لأبي عبيدة في نسخة أكسفورد و ١٨ إسنادًا في نسخ ستراسبوغ والقاهرة وبغداد وإسنادًا واحدًا في نسخة لندن ... انظر: شرح نقائض جرير والفرزدق ٥٢/١.

القوانين الصوتية تبعًا للظواهر الصوتية واتبع نفس المنهج في إعادة بناء جموع التكسير بينما وجد المؤلّف طريقة القدماء في تصريف الأفعال وأبنية المصادر والمشتقات مناسبة لإبراز جهده في هذا الجانب وفي الدراسة التركيبية قسم المؤلّف المبحث إلى قسمين الأول يشمل الجملة والثاني يشمل حروف المعاني وكلما وجد المؤلّف ملحوظات أبي عبيدة وتحليلاته متناسبة مع أطروحات نظرية العمل عند تشومسكى قصد إلى تطبيق النظرية للإفادة من محالات عملها في إبراز جوانب التفكير اللغوي عنده.

وفي المبحث الثاني أفاد المؤلّف من منهج " زجوستاً " في إبراز قضية تناوب الصيغ الصرفية فيما بينها على مستوى الدلالة وربط ذلك بتعدد المعنى كما أفاد المؤلّف من منهج جون ليونز في تطبيق نظرية الحقول الدلالية على ظاهرة الأضداد والتزم البحث بالمحافظة على جوهر أراء أبي عبيدة وبيان مصطلحاته وناقش آراءه في ضوء نقد العلماء له أو ثنائهم عليه، كما ناقشها في ضوء معطيات علم اللغة التي أشرنا إليها. كما اتبع الكتاب المنهج الوصفي في بيان الظواهر اللغوية المختلفة وفسرها بطريقة تحليلية تبدأ بالجزئيات وتنتهي بملاحظات عامة على كل قضية من القضايا التي تناولها أبو عبيدة.

والتزم المؤلّف بالربط بين المقولات النظرية والأمثلة التطبيقية على مدار الكتاب وتسجيل الملاحظات وقدّم أمثلة للمقارنة النقدية كما قدّم حلولاً لبعض المشكلات المتعلقة بالقضايا اللغوية وحرص المؤلّف على أن يؤدي كل باب إلى الذي يليه وعلى مستوى الباب الواحد أن يؤدي كل فصل إلى الذي يليه كذلك على مستوى الفصل الواحد ترتبط القضايا فيما بينها فترتبط السابقة باللاحقة. فجعل الكتاب أربعة أبواب، ويشتمل كل باب على بعض الفصول وقد جعل تمهيدًا للكتاب وللباب وللفصل وللموضوع يتعلق بالاصطلاح الذي يقوم عليه موضوع الباب أو الفصل.

وهذا التفصيل الوصفي لمنهج أبي عبيدة في التفكير اللغوي وتقديم منجزاته العلمية بأسلوب معاصر يعتمد على رؤية متكاملة، تقدم لنا شريحةً مهمةً داخل المنظومة الشاملة للتفكير اللغوي عند العرب، يمكّن من خلالها كشف معالم الإبداع العربي في مجال العلوم اللغوية.

تمهيد

أبو عبيدة:

هو معمر بن المثني التيمي، تيم قريش لا تيم الرباب وهو مولىً لهم[١]، ويقال: هو مولىً لتيم بن مُرَّة على خلاف بينهم[٢] ، ويظن أنه وُلِدَ عام ١١٠هجرية في السنة التي تُوفِّي فيها الحسن البصري[٣] ويُرَجَّح أنه وُلِدَ في البصرة[٤]، وعاش حياةً حافلة بالعلم مثيرة للجدل وهو من العلماء القلائل كثيري التصانيف لا يشبهه في ذلك من عصره إلا الجاحظ وأبو الحسن على بن محمد المدائني (١٣٥ـ ٢٢٥)[٥] وتلقى العلم عن شيوخه من أكابر العلماء أمثال أبي عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد ويونس بن حبيب وعيسى بن عمر الثقفي[٦] وحدَّث عن هشام بن عروة، ورؤبة بن العجَّاج، وأبي عمرو[٧].

وناظر العلماء وحاضر الطلاب[٨] ورحل إلي بغداد[٩]، وفيما يظن إلي دمشق[١٠]، واستقدمه الوزراء والخلفاء من أمثال الفضل بن الربيع وهارون الرشيد والأخير من المشاهير الذين تلمذوا له وقرأ عليه مؤلفاته[١١]، وتوفي فيما يظن في الفترة ما بين ٢٠٩ ـ ٢١٣ هجرية، على خلاف بين العلماء في ذلك[١٢].

٢. علمه ومؤلفاته وثقافته

سُئِلَ أبو نواس[١٣] عن أبي عبيدة وعن الأصمعي فقال عن الأول: " أديمٌ طوى على علم " وقال عن الثاني " بلبلٌ في قفص ". وقال الجاحظ[١٤]. " لم يكن خارجيٌّ ولا جماعيٌّ أعلم

---

(١) النقائض ١/١.

(٢) أخبار النحويين البصريين ٦٧ ومقدمة المجاز ٩/١.

(٣) وهناك حكاية عنه تشبه حكاية عمر بن أبي ربيعة في تحديد تاريخ مولده بوفاة عمر بن الخطاب وهي تكشف عن شخصية أبي عبيدة انظر: مقدمة الخيل ١١ (من إنباه الرواة).

(٤) تاريخ التراث العربي /علم اللغة ١١١.

(٥) مقدمة العققة والبررة ٣٣٧، ٣٣٨.

(٦) تاريخ التراث العربي /علم اللغة ١١٢.

(٧) سير أعلام النبلاء ٤٤٥/٩.

(٨) يوجد قدرٌ لا بأس به في المزهر للسيوطي.

(٩) مقدمة العققة والبررة ٣٣٦.

(١٠) " أبو عبيدة " رسالة دكتوراه ٤٣/١.

(١١) ذكر ذلك ابن خلكان انظر: مقدمة العققة والبررة ٣٣٥ وممن التقى بهم الأمير جعفر بن سليمان بن علي انظر: الخيل ١١ وإبراهيم بن إسماعيل كاتب الفضل بن الربيع المرجع السابق ٢٥.

(١٢) انظر: مقدمة تحقيق المجاز ١٠/١.

(١٣) بغية الوعاة ٢٩٤/٢.

(١٤) تاريخ التراث العربي /علم اللغة ١١١.

بجميع العلوم من أبي عبيدة " هذه أقوال الشعراء والأدباء فماذا يقول الفقهاء يقول الإمام يحيى بن معين ـــ من أئمة أهل السنة والجماعة ليس به بأس[١] ولا يفهم من الرسالة التي بعث بها الإمام أحمد بن حنبل[٢] لأبي عبيد القاسم بن سلام (قد بلغني أنك تكتب كتاباً في القرآن أقمت فيه الفراء وأبا عبيدة أئمة يحتج بهما في معاني القرآن فلا تفعل..) الطعن في أبي عبيدة بل التحرز من الأخذ عنه في معاني القرآن.

ويبين الشيخ الذهبي أنه ليس فقيها ولا محدثاً ولا قارئاً ويصفه بأنه بحر من بحور العلم.. " وإنما أوردته هنا لتوسعه في علم اللسان وأيام الناس "[٣].

وأورد السيوطي[٤] عن يزيد بن مُرَّة قوله: " ما كان أبو عبيدة يفتش عن علمٍ من العلوم إلا كان من يفتشه عنه يظن أنه لا يحسن غيره ولا يقوم بشيء أجود من قيامه به".

أما أشهر المحدثين الذين نقلوا وأكثروا من النقل عنه فهو الإمام البخاري شيخ عصره في الحديث وفي كل العصور وكذلك شارح كتابه الإمام ابن حجر حيث نبّه على ما نقله الشيخ في مواضعه واستعان بعلم أبي عبيدة فيما عرض له من شرح وهذا توثيق لعلم أبي عبيدة من أعلى درجات التوثيق.

ولقد أحصى المؤلِّف ما نقله الإمام البخاري وصرّح فيه بقوله " قال معمر" وما تتبعه الإمام ابن حجر وعبارته، هو قول أبي عبيدة في المجاز أو هو قول معمر بن المثني اللغوي، أو ما يشبه ذلك وذلك في كتاب التفسير فقط ما يصل إلى أربعمائة نقل ما بين معنى كلمة أو إعرابها أو اشتقاقها أو الإشارة إلى ضبط بنية علم من الأعلام أو ذكر واقعة أو غير ذلك مما يتعلق باللغة وذلك في المجلد الثامن من فتح البخاري[٥] وأشار الإمام ابن حجر في المقدمة إلى ذلك وتوقف عند الآية ٨٨ في سورة الزخرف ثم قال: وكنت أظنه من جملة قول مجاهد فلم أجده منقولاً عن مجاهد ثم وجدت في كلام أبي عبيدة في المجاز نحوه وهو كثير النقل منه كما علمت[٦] وفي موضع آخر توقف عند حديث عائشة في الواهبات أنفسهن للنبي ﷺ وبين رواية ابن أبي خيثمة عن أبي عبيدة معمر بن المثنى في تسمية بعضهن[٧] كما جدَّ ابن حجر في

---

(١) سير أعلام النبلاء ٩/٤٤٥.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/٢٩.

(٣) سير أعلام النبلاء ٩/٤٤٥.

(٤) بغية الوعاة ٢/٢٩٤.

(٥) انظر: فتح الباري ٨/١٥٥ ـــ ٧٤١.

(٦) المرجع السابق المقدمة ١/٣٣٣.

(٧) المرجع السابق المقدمة ١/٣٣٢.

تحري بعض الآراء اللغوية التي بلغت اثنين وأربعين رأيًا نسبها لأبي عبيدة[١] ويرى المؤلِّف أن ذلك أمرٌ جدير بالنظر والتأمل.

أما علماء اللغة فإنهم في العموم يقدرون علمه ولا يطعنون عليه إلا ما وقع من باب المنافسة واختلاف وجهات النظر وقد لخص لنا أبو الطيب أنه كانت توجد مناوءة بين العلماء المعاصرين ومثَّل بما وقع بين الأصمعي من جهة وأبي عبيدة وأبي زيد الأنصاري من جهة أخرى ثم يقول: [فكلهم كان يطعن على صاحبه بقلة الرواية، ولا يذكره بالتزوير ولا يتهم أحدهم صاحبه بالكذب لأنهم يعدون عن ذلك][٢].

وقال يعقوب بن شيبة: [سمعت عليَّ بن المديني ذكر أبا عبيدة وأثنى فأحسن ذكره وصحح روايته وقال: كان لا يحكى عن العرب إلا الشيء الصحيح][٣].

وقال الفرّاء في حقه: [أما إنه أكمل القوم وأعلمهم بالشعر وأتقنهم للغة وأحضرهم حفظًا][٤]، وأورد ابن جني[٥] في باب صدق النقلة الرواة والحملة توثيقًا لأبي عبيدة ومن آراء العلماء السابقين وهم من مشاهير العلماء سواءً كانوا محدثين أو فقهاء أو شعراء أو أدباء أو لغويين أو مؤرخين يجمعون على غزارة علمه وكان الذَّهبيُّ دقيقًا لقوله أنه يتبحر في علم اللسان وهو أنسب الأوصاف وأعدلها من وجهة نظرنا ومع ذلك نجد أبا عبيدة له رواية محدودة في الحديث على طريقة اللغويين لا المحدثين[٦] وله رواية في القراءات قليلة لكنه عارف بالقراءات المتواتر منها والشاذ وقد راجع **المؤلِّف** ما ورد من ذلك في الأبواب

(١) انظر المرجع السابق (المقدمة) ٣٢٦/١ ـــ ٣٣٦.
(٢) المزهر ٤٠٤/٢.
(٣) سير أعلام النبلاء ٤٤٦/٩.
(٤) المزهر ٤٠٤/٢ ومثله قول أبي الطيب عن الأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد: وكان في العصر ثلاثة هم أئمة الناس في اللغة والشعر وعلوم العرب لم يُر قبلهم ولا بعدهم مثلهم فعنهم أُخِذ جل ما في أيدي الناس من العلم بل كله المرجع السابق ٤٠١/٢.
(٥) الخصائص ٣١٤/٣ والمزهر ٤١٦/٢.
(٦) مثل قوله قالوا: (نادى منادى النبي ﷺ بمنى: (إنها أيام طُعْم ونُعْم فلا تصوموا) المجاز ٣٦٩/١ أو يقول ذُكر أو قيل في الحديث أو وفي الحديث أو نقله إلينا العلماء من المحدثين انظر: في هذه الأحاديث على الترتيب المرجع السابق ٧٧/١ والسابق ١٠٩/١ والنقائض ٣١٩/١ و ٤٠٣. ومع هذا جاءت عنه روايات صريحة في رواية الحديث النبوي مثله قوله في كتاب الخيل حدثنا وكيع بن الجراح (١٩٧) وعبد الله بن مسلمة القعبي (٢٢١ هـ) قال حدثنا زكريا عن الشعبيْ عن عروة البارقي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنم) الخيل /١١٠ وحدث عن عبد الله بن مسلمة ويروى عن أمية بن زيد الأزدي من الطبقة السابعة المرجع السابق ٨٨.

المختلفة للدراسة على كتاب السبعة ومختصر في شواذ القرآن فوجده دقيقًا ومحكمًا وبينه بهوامش الكتاب ولكن الملاحظ أنه لا ينسب القراءات لأصحابها إلا في القليل وبخاصة عن أبي عمرو بن العلاء والشَّعْبي وكان يقول قومٌ يكسرون وقومٌ يضمون أو من قرأه كذا.. فإنه حرج مخرج كذا ومن قرأه.. فإنه يخرج مخرج.. وجاء في اللسان(١): وذكر أبو عبيدة حديث النبي ﷺ حين قال لعمرو بن العاص نعْمًا بالمال الصالح للرجل الصالح وأنه يختار هذه القراءة وهو قوله ـــ تعالى ـــ: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ [النساء: ٥٨]، لأجل هذه الرواية وقد ذكر هذه القراءة عن أبي عبيدة أبو شامة وعزاها لغة للنبي ﷺ(٢) وجاء عنه في الشواذ ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصْبِ﴾ [المائدة: ٣]، بالضم وتسكين الصاد، وكذلك رواها طلحة وعن ابن كثير في رواية(٣).

ذكر صاحب الوفيات أن مؤلفاته تقارب مائتي مؤلَّف في العلوم اللغوية المختلفة وما يتعلق بها من الأخبار والأيام والحوادث وقد أحصي الأستاذ عبد السلام هارون منها مائة وسبعة وعشرين مؤلفاً(٤)، واعتنى المستشرق كارل بروكلمان بذلك في تاريخ الأدب العربي(٥) والأستاذ فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي(٦). وقام الدكتور نهاد الموسي ببيانها وتصنيفها وتحقيق عنواناتها ووصفها(٧).

وسنشير في أبواب الكتاب إلي المؤلفات التي تعالج المستوى اللغوي الذي ندرسه عنده في مواضعها.

ويمثل أبو عبيدة نموذجًا لالتقاء الثقافات فهو فارسي(٨) وكان بالتالي على صلة مباشرة باللغة الفارسية(٩) والحضارة الفارسية القديمة، فإذا أضفنا إلي ذلك ما كانت تموج به البصرة

---

(١) مادة (ن ع م) اللسان ٦/٤٤٨٥.

(٢) اللهجات العربية في التراث ٢/٤٩.

(٣) قال ابن خالويه، وأبو عبيدة عن أبي عمرو مختصر في شواذ القرآن ٣٧.

(٤) مقدمة العققة والبررة ٣٣٨ ـــ ٣٤٩.

(٥) تاريخ الأدب العربي ٢/١٤٣ ـــ ١٤٥.

(٦) تاريخ التراث العربي /علم اللغة ١١٢.

(٧) " أبو عبيدة " رسالة دكتوراه ١٢٤، ٢٨٨.

(٨) تكاد تجمع المصادر المختلفة على هذا الأصل.

(٩) وقد ذكر عشرات الكلمات الفارسية في سياق بيان بعض المعرّبات أو من باب المقابلة بين لفظتين إحداهما فارسية والأخرى عربية، مما يدل على وجود طلاب في حلقته العلمية تغلب عليهم الفارسية، ومن تلك الألفاظ : الشوى ذكيت أي الزرابي المحار ٢/٢٩٦ وشرح الحماسة للمرزوقي ١/٣٩٨ وقال الأستاذ عبد السلام هارون لعل له صلة بكلمة " شادكونه " الفارسية وحرجها من المصادر المختلفة المرجع السابق نفسه الحاشية رقم (٥).

من ثقافات متعددة وخاصة الثقافة اليونانية[١] وما استوعبه من ينابيع العلوم الإسلامية وتاريخ العرب قبل الإسلام — أدركنا ما يتمتع به عقل أبي عبيدة من إبداع وسعة ولذلك هو موصوف عند العلماء بأنه من أوائل المصنفين في كثير من علوم اللغة مثل غريب القرآن[٢] وغريب الحديث[٣] ومجاز القرآن[٤] والأمثال[٥].. ويطول بنا المقام لو أردنا أن نستقصي ذلك بعض الاستقصاء وقد نبّه العلماء إلي اعتماد كثير من المصنفين في علوم اللغة اعتماداً مباشراً على مؤلفات أبي عبيدة[٦].

علم اللسان:

كانت نظرة أبي عبيدة لدراسة اللغة نظرةً سابقة لعصرها وتتميز بالشمول فهو يؤرخ لبداية الدراسة اللغوية وكيف تطورت على يد العلماء في البصرة وأوضح مثال على ذلك حديثه عن علم العربية[٧] ويشير إلى المنطقة الجغرافية التي تَكَوَّنَتْ فيها اللغة العربية " جزيرة العرب ما بين حَفْز أبي موسى بطوراة من أرض العراق إلى أقصى اليمن في الطول، وأما

— وفي قول جرير : إن الفرزدق والبعيث وأمّه وأبا البعيث لشر ما إستارِ

قال : والإستار ورن أربعة وأراد بالإستار جهار بالفارسية النقائض ٣٣٤/١.

(١) بين الدكتور شوقي ضيف أن البصرة التي هي مَرْفَأٌ تجاري على الخليج كانت قريبة من مدرسة " جند يَسَابور " الفارسية التي كانت تدرس فيها الثقافات اليونانية والفارسية والهندية مما جعل جداول من تلك الثقافات تصب فيها ولذلك كان طبيعيًا أن نجد بها أقدم المترجمين.. المدارس النحوية ٢٠، ٢١.

(٢) قال السيوطي — فيما لخصه عن أبي هلال العسكري — أول من صنّف في غريب القرآن أبو عبيدة معمر بن المثنى أخذ ذلك من مسائل نافع بن الأزرق لابن العباس الوسائل إلى معرفة الأوائل ١٢٥ و ١٢٦.

(٣) يقول الدكتور الطناحي : العلماء مجمعون على أن أوّل من ارتاد الطريق وصنف في غريب الحديث هو أبو عبيدة إلا ما ذهب إليه الإمام (أبو عبد الله الحاكم النيسابوري) (٤٠٥) فإنه ذكر أن أول من صنف في الغريب النضر بن شميل (٢٠٣) منال الطالب المقدمة ٨/١.

(٤) ذكر الإمام ابن القيم في الصواعق المرسلة أن أول من نطق بالمجاز أبو عبيدة معمر بن المثنى ، الوسائل إلى معرفة الأوائل ١٣٧.

(٥) وجعل الميداني أول مصادره في الأمثال كتاب أبي عبيدة يقول في المقدمة : فطالعت من كتب الأئمة الأعلام ما امتد في تقصيه نفس الأيام مثل كتاب أبي عبيدة وأبي عبيد والأصمعي.. الأمثال العربية القديمة لزلهايم ٢١٢.

(٦) من ذلك ما أشار إليه ابن درستويه من اعتماد أبي عبيد القاسم بن سلام في معظم مؤلفاته على أبي عبيدة مقدمة الغريب المصنف ٣٩ والمزهر ٤١٢/٢ وهو ما أشار إليه زلهايم في الأمثال العربية القديمة ٨٥ وكذلك ما أشار إليه زلهايم أيضًا من اعتماد ابن الأنباري في كتابه " الزاهر " على أبي عبيدة من جملة ما يعتمد عليه من مؤلفات السابقين المرجع السابق ١٧٨.

(٧) سنشير إلى دلك في التمهيد للدراسة النحوية، حيث يريد بذلك علم النحو وتطور الدراسات فيه.

العرض فما بين رمل يبرين إلى مقطع السماوة "[١] قال أول من فُتقَ لسانه بالعربية المتية هو إسماعيل عليه السلام وهو ابن أربع عشرة سنة[٢] كما أشار إلى اللهجات العربية والقبائل التي تمثلها على تلك المنطقة وأسمى ذلك باللغات[٣].

ويتناول النصوص اللغوية الفصيحة بالوصف والتحليل وأهم تلك النصوص وأوضحها القرآن الكريم في مجاز القرآن والحديث الشريف في غريب الحديث والشعر وأشهر دراساته فيه حول نقائض جرير والفرزدق وشرح ديوان المتلمس[٤]. وغير ذلك من الأمثال السائرة والأقوال النادرة عن العرب[٥].

واتجه في تحليل النصوص المختارة اتجاهًا لغويًّا محكمًا من ناحية الأصوات والتصريف والتركيب والدلالة وهذا هو المجال الأساسي لهذا الكتاب حيث يصنف تلك المستويات اللغوية عنده تصنيفًا جديدًا ومناسبًا، ومع تبصره في تلك المستويات إلا أنه عالج قضايا أخرى عامة ترتبط باللغة والأدب وعلى قدر كبير من الأهمية مثل التأريخ للشعر وتوثيق نصوصه فتحدث عن أوليّة الشعر العربي وعلاقة ذلك بالرجز وكيف تطور الرجز على يد العجّاج بعد ذلك وجعله في الرجز كامرئ القيس في الشعر[٦] وتحدث عن أصحاب المعلقات السبع التي تسمى السمط وهم: امرؤ القيس وزهير والنابغة والأعشى ولبيد وعمرو وطرفة وقال المفضل معقبًا من زعم أن في السبع التي تسمى السِّمط لأحدٍ غير هؤلاء فقد أبطل![٧].

وذكر أبو عبيدة أشعر المقلين في الجاهلية[٨] وأصحاب القصيدة الواحدة[٩] ومن كان

---

(١) اللهجات العربية في التراث ١٩ نقلا عن البكري في معجم ما استعجم.

(٢) ذكر ذلك في حديث عن طريق ابن سلام الجمحي عن يونس، ثم قال: لا أدري رفعه أم لا. المزهر ٣٢/١، وهناك رواية صريحة مرفوعة إلى النبي ﷺ من طريق ابن السكيت عن الأثرم عن أبي عبيدة ثنا مسمع بن عبدالملك عن محمد بن علي بن الحسين عن آبائه عن النبي ﷺ ثم ذكر الحديث... المرجع السابق ٣٤/١.

(٣) أشار العلماء إلى وجود كتاب مستقل لأبي عبيدة تحت عنوان: (اللغات) ونقلت عنه المصادر المختلفة. المزهر ٩٦/١، ٢١١، وانظر: اللهجات العربية في التراث ١٤٥.

(٤) نشرة الأستاذ محمد كامل الصيرفي في مجلة المخطوطات القاهرة ١٩٧٠ الديباج ٩.

(٥) ذكر السيوطي طرفا منها في المزهر تحت عنوان: ملح ومقطعات من كلام فصحاء العرب ٥٠٨/٢ ـ ٥١١.

(٦) المزهر ٤٨٤/٢. (٧) المرجع السابق ٤٨٠/٢.

(٨) المتلمس، والمسيب بن علس وحصين بن الحُمام المُريّ المرجع السابق ٤٨٦/٢.

(٩) أولهم طرفة ومنهم عنترة والحارث بن حلّزة وعمرو بن كلثوم وأصحاب المعلقات المشهورات وعمرو بن معدي كرب والأشعر بن حمران الجعفي وسويد بن أبي كاهل والأسود بن يعفر السابق ٤٨٦/٢ و ٤٨٧.

شاعرًا وأبوه شاعر ككعب بن زهير وعبد الرحمن بن حسان ورؤبة بن العجاج[١] كما أنه أشار إلى وقوع ظاهرة الانتحال والتزيد، في الشعر ونبّه على الأشعار المصنوعة من الأشعار الأصيلة وبيّن أن معرفة ذلك تتوقف على توثيق الرواة ودراية العلماء بالشعر ورواته[٢] ولاشك أن كل ذلك شكّل المادة الأساسية لابن سلام الجمحي في طبقات فحول الشعراء ومن سار على نهجه بعد ذلك ، وحدّد أبو عبيدة عصر الاحتجاج اللغوي ضمنًا بقوله: " افتتح الشعر بامرئ القيس وختم بابن هَرْمة"[٣] وجعل العلماء في مختلف العصور هذا التحديد معيارًا لقبول الشواهد الشعرية.

٣.طباعه الشخصية ومذهبه الاعتقادي

تتوارد المصادر المختلفة على أنه كان حاد الطباع خَشِنَ العريكة يتوقاه العلماء وغيرهم لشدة ملاحظته وقسوة تعبيره[٤] وجَرّ عليه ذلك عدوات كثيرة مثل ما وقع بينه وبين ابن مناذر الشاعر الذي وصفه بأوصاف بالغة القسوة[٥]وكذلك أبو نواس[٦]، وكلاهما ممن أثنى على علمه[٧] ، وليس أدل على طغيان تلك الطباع عليه أن ما أُثر عن حواره مع أستاذه الخليل بن أحمد كان من باب النصائح الأخلاقية (لا تردنّ على مُعْجَبٍ خطأً فيستفيد منك علما ويتخذك عدوًّا)[٨].

ومع ذلك هناك روايات تبين تواضعه ورجوعه عن رأيه إذا تبين وجه الصواب في غيره قال ابن دريد في أماليه[٩]: أخبر أبو حاتم قال جئت أبا عبيدة يومًا ومعي شعر عروة بن الورد فقال: ما معك ؟ فقلت شعر عروة فقال: فارِغٌ حمل شِعْر فقير ليقرأه على فقير وفي الغريب المصنف[١٠] كان يروي: زبقته في السجن أي حبسته (بالزاي) ثم رجع إلي الراء،

(١) المرجع السابق ٢/٤٩١.

(٢) انظر: أمثلة ذلك في المزهر ١/١٧٥، ١٧٦، ١٨٠، ٢/٤٨٧.

(٣) المرجع السابق ٢/٤٨٤.

(٤) انظر: ما نقله رلهايم في ذلك من عدة مصادر الأمثال العربية القديمة ١٠٣ و ١٠٤ وما قاله التوزي) ملازم لبيته ومسجده على سوء خلقه) انظر: المزهر ٢/٤٠٣ و ٤٠٤.

(٥) ومنها الأبيات التي يصفه فيه بـ " سُخّت " وهو من ألقاب اليهود انظر: اللسان مادة (سخ) ٣/١٩١٨ وشرح الدكتور نهاد الموسى علاقته بابن مناذر وما وقع بينهما من شحناء " أبو عبيدة " ١/٣ — ٦.

(٦) وكان يهجوه ويشنع به وكان يردد أبيات الهجاء تلك بعض العلماء المنافسين لأبي عبيدة سير أعلام النبلاء ٩/٤٤٧.

(٧) ذلك مثبت عند الحديث عن علمه.

(٨) " أبو عبيدة " نهاد الموسى ١/٩٧.

(٩) المزهر ١/١٦١.

(١٠) المرجع السابق ٢/٣٢١.

ويظن أنه كان خارجي المذهب لمقولة قالها الجاحظ يفهم ضمناً منها أنه خارجي[١] وأخرى صريحة قال أبو حاتم: " كان يكرمني بناءً عَلى أنني من خوارج سجستان"[٢] وقال بعضهم كان صفريًّا[٣] وبعضهم قال: أباضيًّا[٤] ، ومما قوّى لدى العلماء هذا الظن أنه روي كثيراً من خطب ومقولات الخوارج، ولكنا نجد في المجاز شاهداً في ذم الخوارج ووصفهم بالضلال واستحلال دماء المسلمين وذلك في دلالة لفظة (قَدِمَ) قال الشاعر[٥]: (الرجز)

فقدم الخوارجُ الضُّلالُ إلي عبادِ ربهم فَقَالوا

إن دماءكم لنا حلالُ

ويمكن أن نستخلص من ذلك أنه كانت له ميول نحو الخوارج ربما اقتصرت على رؤيتهم السياسية والاجتماعية من المساواة وتداول السلطة دون أن يتعصب لهم على أن الجاحظ[٦] قد نقل أن أبا عبيدة كان يخبر في الفتن ويستخبر يقول (قال أبو عبيدة: كان ابن سيرين لا يستخبر ولا يخبر وأنا أخبر وأستخبر).

وما قيل عن خارجيته يمكن أن يقال عن شعوبيته[٧] أو أنه ابن اليهودي[٨] أو تلقيبه بـ (سُبَّخت) وهو من ألقاب اليهود[٩].

حيث جَرّ عليه استعداء الناس له بسبب حدة لسانه قدراً كبيراً من تلك الأوصاف وقد غطّى علمه الغزير ورواياته الموثقة على ما سواها.

---

(١) وهي عبارة (لم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلوم منه) بغية الوعاة ٢/٢٩٤.

(٢) سير أعلام النبلاء ٩/٤٤٦.

(٣) الأمثال العربية القديمة لزلهايم ١٠٣.

(٤) بغية الوعاة ٢/٢٩٤.

(٥) المجاز ٢/٧٣، ٧٤.

(٦) البيان والتبيين ٢/١٠٦. وقد أورد الجاحظ طرفًا من ذلك في زيادة أبي عبيدة لبعض الهاربين من الخوارج وتحسس الأخبار المرجع السابق ٣/٢٦٦.

(٧) وذكرت بعض المصادر أنه كان يعتز بولائه إلى تيم قريش ويكبره في نفسه كما ذكر أنه كان يكره تأثر العرب ببعض العادات السيئة للعجم وفي هذا أبلغ الرد على وصفه بأنه شعوبي يبغض العرب انظر: " أبو عبيدة " ١/٧٢ ــ ٨٠.

(٨) ولا يطعن ذلك في علمه فالإسلام يجب ما قبله مقدمة الديباج ١٨ وناقش الدكتور نهاد الموسى الروايات التي تزعم يهوديته وما جاء في دائرة المعارف الإسلامية ومقالات الدكتور الحاجري وكارل بركلمان في هذا الأمر ورد عليها وخلص إلى أنه كان من وسائل القدح فيه لسلاطة لسانه " أبو عبيدة "١/٥ ــ ٢٠.

(٩) المزهر ٢/٤٢٨.

الْبَابُ الْأَوَّلُ

الدِّرَاسَةُ الصَّوْتِيَّةُ

تمهيد:

لأبي عبيدة جُهْدٌ واضِحٌ، في دراسة الأصوات العربية، وما يعتريها من تغيرات، وقد اهتدى البحث إلى أهم معالم الإنتاج الفكري لأبي عبيدة في دراسة الأصوات من خلال ملحوظاته وتعليقاته الصوتية التي تضمنتها مؤلفاته الموجودة أو من خلال ما نُقِل عنه في المصادر اللغوية لمؤلفاته المفقودة.

وقد تناثرت هذه التعليقات، والملحوظات في كتب اللغة والمعاجم والتراجم وشروح الشعر وغيرها.. وكان مما لفت نظر المؤلِّف لهذا الجهد هو ما ذكره كبار علماء التراجم من أن لأبي عبيدة كتابًا مفقودًا في هذا العلم تحت مسمى " الإبدال "[١] كما كشفت القراءة الأولى لكتابيه الكبيرين ، المجاز والنقائض ـــ عن مقولات صوتية على درجة كبيرة من الأهمية مما جعل البحث يتجه نحو العناية بجهوده في هذا المجال وبخاصة أن جُلَّ من تناول أبا عبيدة لم يشر من قريب أو بعيد إلى البحث الصوتي عنده وتركّز الاهتمام على إبداعه في مجال الرواية والمجاز والدلالة وكان مما لفت انتباه المؤلِّف إلى ضرورة العناية إلى جهود أبي عبيدة في الدراسة الصوتية أيضًا ما قدمه الجاحظ من أخبار طريفة ودقيقة يرويها عن أبي عبيدة في أخبار اللكُنِ وينقل معها تعليقات لأبي عبيدة من ذلك ما رواه عن إنشاد زياد الأعجم (زياد بن سَلْمي) حيث يقول[٢]: (الطويل)

فتىً زاده السُّلطانُ في الودِّ رِفعةً إذا غيّر السلطانُ كلَّ خليلِ

قال أبو عبيدة: فكان يجعل السين شينًا والطاء تاءً فيقول (فتىً زاده الشلتان) كذلك ملاحظاته حول لُكْنة سحيم عبد بني الحسحاس[٣] في السين والشين[٤] ولُكْنةُ عبيد الله بن زياد والي العراق[٥] وصهيب بن سنان النمري[٦] (الصحابي) وغيرهم في الحاء والهاء ولكنة أبي مسلم الخراساني في القاف التي يحولها إلى كاف ثم يبين مصادر تلك اللكنة وأنها من تأثير اللغات الرومية والفارسية والنبطية التي كان يرتضخها هؤلاء وقد يكون مصدر اللكنة الأمّ حيث جاءت لُكْنة عبيد الله بن زياد من قبل أمه "مرجانة" وكثير من هذه الملحوظات تفيض

---

(١) انظر: العققة والبررة (نوادر المخطوطات) ٣٣٨/٧.

(٢) البيان والتبين ٧١/١.

(٣) من المعروف أن ديوانه يرويه أبو عبيدة. انظر: ديوان سحيم عبد بني الحسحاس ص ٧.

(٤) ويروى في ذلك عنه: (ما سعرت)، يريد: ما شعرت. المرجع السابق ٧٢/١، وانظر: ديوان سحيم ج١.

(٥) وعبارته (إنك لهائن) يريد لحائن بمعنى هالك.

(٦) وكان إذا أراد أن يقول: قلت لك بالقاف، يقول: (كلت لك) بالكاف. انظر: البيان والتبين ٧٣/١.

بها المؤلفات المختلفة وهي تدل على دقة الملاحظة وعمق التحليل الصوتي وكانت هذه الملحوظات وما يشبهها[1] ما قَوِيّ العزم والرغبة في إبراز هذا الجانب عند أبي عبيدة بالإضافة إلى ما ذكره العلماء.

ولذلك تأتي الدراسة الصوتية لتكشف اللثام عن جانب من جوانب الأديم الذي حُشِيَ بالعلم[2]، وقد اتضح للمؤلِّف بجلاء بعد قراءة متأنية للجذاذات العلمية التي أمكن جمعها من التراث اللغوي لأبي عبيدة ـــ أن هذا اللغوي الفذ يسير وفق إطارٍ منهجيٍّ في تلك الملحوظات والتعليقات الصوتية وأظن أنه ربما وضع ذلك في كتابه المفقود المشار إليه، ولذلك تتطلب إعادة هذا البناء المنهجي حذرًا علميًّا وهو ما يتطلع إليه البحث قدر الطاقة.

ولا يزعم المؤلف أنه أحاط بمنهج أبي عبيدة الصوتي، وذلك لفقد قدر ليس بالقليل من مؤلفاته ولكن يمكن القول: إن تلك الدراسة تقيم بناءً منهجيًا عن رؤية أبي عبيدة في البحث الصوتي.

وقد سارت الدراسة في هذا الباب على الخطوات التالية:

أولاً- تقديم الشواهد العربية التي تناولها أبو عبيدة في قضية من القضايا الصوتية، وعرض تعليقاته وملاحظاته، ثم تحليلها وفق معطيات علم الأصوات، ورصد النتائج التي أمكن الوصول إليها.

ثانيًا- يراعي الكتاب في عرض أية قضية من تلكم القضايا ـــ جانبين:

الأول: هو رؤية أبي عبيدة في الموضوع.

الثاني: هو البناء المنهجي اللازم لصوغ البحث العلمي.

وقد حاولت أن أسدد، وأقارب بين هاتين المعادلتين ما استطعت إلى ذلك سبيلا.

ثالثًا- يرصد الكتاب تميز أبي عبيدة، وتفرده في دقة الملاحظة ومنهجية التعليق، وانسجام ذلك في مؤلفاته المختلفة ولذلك لجأ المؤلِّف إلى توثيق تلك الملاحظات وتحري

---

(١) من ذلك حديثه عن عيوب النطق كما يروي ذلك الجاحظ عنه في مثل اللفف في الكلام والحبسة وأرجح أسبابها نفسية كما قال الشاعر: (الرجز)

كأن فيه لففًا إذا نطقْ من طول تحبيس وَهَمٍّ وأرق

وأسباب اجتماعية . (كأنه لما جلس وحده ولم يكن له من يكلمه وطال عليه ذلك أصابه لفف في لسانه) المرجع السابق ١/٣٨.

(٢) انظر: بغية الوعاة ٢/٢٩٤.

مصادرها ومقارنتها بآراء معاصريه، وكان في حواشي الكتاب المتسع حتى لا يتضخم هذا البحث بأكثر من المطلوب.

وقد دَوّن المؤلِّف الإنتاج الفكري المدروس على النحو التالي:

١ ــ دراسة بعض المقولات لأبي عبيدة في إطار القوانين الصوتية وتبين أن القضايا التي عالجها تأتي على قمة ما ينشغل به علماء الأصوات المحدثون من قضايا.

٢ ــ دراسة الصوامت العربية وما يطرأ عليها من تغيرات والتعاقب بينها وبين نظائرها الصوتية، وقد تبين أن أبا عبيدة قد أولى عنايةً كبيرةً لدراسة الهمزة، وقاربت تعليقاته على الأصوات الحنجرية والحلقية عدْلَ بقية أصوات العربية الأخرى لديه، فوجدت أن الأنسب أن أبدأ بهذه الصوامت التي نالت منه قدرًا أكبر من العناية والتفصيل ثم أتبعت ذلك ببقية الصوامت حتى انتهيت إلى الصوامت الشفوية، وخصَّصت فصلا مستقلاً لأشباه الصوامت والحركات وذيَّلت كل فصلٍ بأهم نتائجه وكذلك على مستوى القضايا الداخلية للفصل الواحد.

٣ ــ استخدمت بعض وسائل الإيضاح النظري للقضايا الصوتية مثل جدول للصوامت التي عالجها أبو عبيدة ووصفها من حيث المخرج والصفة، وكذلك مربع الحركات لبيان علاقة الحركات فيما بينها، وعلامة التحويل (←) تشير إلى التحول الصوتي، واستخدمت وسيلةً رمزيةً لتحليل الأصوات (ص ــَـ) لتشير إلى صامت + حركة قصيرة (ص ــَـ ــَـ) لتشير إلى صامت + حركة طويلة ، (ص ص ــَـ) تشير إلى أن الصامت الأول خالٍ من الحركة بينما الثاني له حركة قصيرة، والعلامة (×) في مكان الصامت تعني حذفه أو إبداله بغيره، وقد كَشَفَتْ هذه الوسائل أصغر وحدات التغير الصوتي، وكان منطلق الرمز يعتمد على نظام المقاطع الصوتية حيث تتبع الحركةُ الصامتَ.

جدول المخارج والصفات:

مصادر الجدول: رؤية أبي عبيدة التي يُبين من خلالها المبحث الصوتي وكذلك الاسترشاد برؤية القدماء وبخاصة ما قدمه السيوطي في المزهر.

٢ ــ مؤلفات علماء الأصوات المعاصرين.

محتويات الجدول:

١ــ يشتمل الجدول على ثلاثة وثلاثين صوتًا، عالجها الكتاب عند أبي عبيدة.

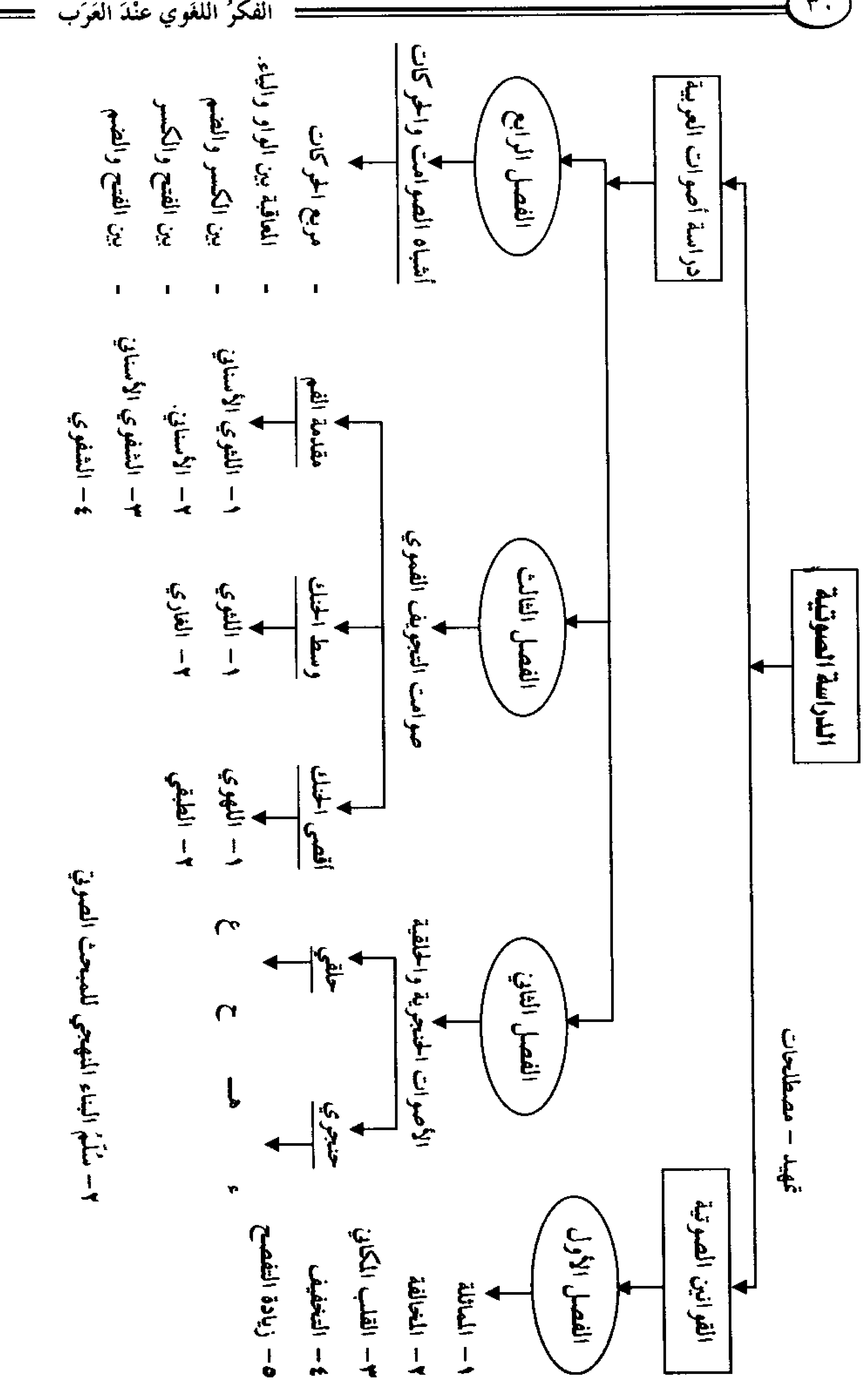
٢ـ رصد الجدول عدة أصوات معروفة في لغات أجنبية مثل الباء المهموسة والكاف المجهورة في الفارسية وتحدث عنها أبو عبيدة ضمنًا أو تصريحًا.

٣ـ اهتم الرسم الشجري الموضع شكل (٢) ببيان موقع الأصوات الحنجرية وعلى رأسها الهمزة من البحث الصوتي عنده وكذلك الصوائت، وأشباه الصوائت، وذلك لثراء التعليقات حولها، مما جعلها قسيمًا لأصوات العربية الأخرى.

٤ـ قسم الكتاب الأصواتَ العربيةَ تقسيمًا جديدًا يعتمد على رؤية أبي عبيدة في البحث الصوتي ومعطيات علم الأصوات حيث يضع الأصوات عميقة المخرج في المقدمة مما ينبه إلى جهود السابقين وعلى رأسهم الخليل بن أحمد الفراهيدي.

جدول المخارج والصفات:

المخارج	شديد				رخو				مركب أو مزدوج	مائع				شبه حركة	ملاحظات
	مهموس		مجهور		مهموس		مجهور								
	مرقق	مفخم	مرقق	مفخم	مرقق	مفخم	مرقق	مفخم		أنفي	شفوي	مكرر	جانبي		
حنجري	ء		ء		هـ										ء: همزة بين بين
حلقي					ح		ع								
لهوي		ق													
طبقي	ك		گ			خ		غ							گ: الگاف الفارسية
غاري			كِ		ش		چ		ج					ى	ك: الجيم القاهرية. چ: الشين المجهورة
لثوي										ن		ر	ل		
لثوي أسناني	ت	ط	د	ض	س	ص	ز								
أسناني					ث		ذ	ظ							
شفوي أسناني					ف										
شفوي	پ										م			و	پ: الباء المشبع الفارسية



٢– سُلّمُ البناء المنهجي للمبحث الصوتي

الفَصْلُ الأَوَّلُ - الْقَوَانِينُ الصَّوتِيَّةُ

١. قانون المماثلة: (Assimilation)

أ ــ المماثلة بين الصوامت:

١ ــ المماثلة الجزئية.

٢ ــ المماثلة الكلية (الإدغام).

ب ــ المماثلة بين أشباه الصوامت:

ح ــ المماثلة بين الحركات.

د ــ الإدغام ولغات العرب.

٢. قانون المخالفة (Disimilation)

١ ــ قلب الواو تاءً عند تتابع الضم.

٢ ــ قلب أحد المثلين حرف لين.

٣ ــ قلب ثالث الأمثال حرف لين.

٤ ــ التفريق بين الأمثال بفاء الكلمة.

٣. قوانين القلب المكاني.

٤. قوانين الحذف والتخفيف.

٥. قانون زيادة التفصح.

يسميه بالمماثلة.

المماثلة: يقصد بالمماثلة أن صوتًا يؤثر على صوتٍ آخر يخالفه فيتحول إلى مماثلٍ له. والمماثلة نوعان: كلية، وجزئية.

ويقصد بالمماثلة الكلية أن صوتًا ما يؤثر على صوتٍ آخر يخالفه في المخرج أو في صفة من الصفات فيتحول إلى مماثل له في المخرج وسائر الصفات. وهو ما يسميه علماء العربية بالإبدال من أجل الإدغام فإن لم يكن التأثير كاملاً وإنما يتعلق بالصفة دون المخرج أو المخرج دون الصفة فهي مماثلة جزئية ومما يجدر ذكره أن يحدث إدغام بين الصامتين المثلين إذا لم يكن بينهما فاصل من حركة لذا فإنه لإدغام مثل هذا النوع تحذف الحركة التي تفصل بين المتماثلين. ويتطلب الإدغام كذلك أن يسبق أول المثلين بحركة، فإذا لم يسبق تنقل حركة أول المثلين إليه. ويضع في مقابله الإبانة، (فبعضهم يبين الحرف وبعضهم يخمده)[1] ويسمى هذه العملية بـ " التحويل "[2].

والناتج عنها صوت مدغم أو حرف مثقل أو مشدد[3] والإدغام عند العلماء المحدثين ضرب من التأثير الذي يقع في الأصوات المتجاورة إذا كانت متماثلة أو متجانسة أو متقاربة[4]، ويعرفه ابن جني بقوله: [الإدغام المألوف المعتاد، إنما هو تقريب صوت من صوت][5]ومن خلال الأمثلة التي تناولها عند أبي عبيدة نجد أنه يتوافق مع التعريفات التي قدمها العلماء المعاصرون للمماثلة.

أ .المماثلة بين الصوامت

١ـ المماثلة الجزئية

من المعروف أن المماثلة تشتمل على جهتين هما جهة المخرج وجهة الصفة، وتنقسم إلى

---

(١) المجاز ٢/٣٠٧.

(٢) مجاز ١/٣١٣و ٢/٢٤٠ وقد نقل عنه تلميذه أبو عبيدة القاسم بن سلام بعض أمثلة الإدغام واستخدام مصطلح التحويل مع ظاهرة المماثلة هذه، انظر: غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي ١/٢٤٦.

(٣) انظر الأمثلة التي نقدمها في هذا الشأن.

(٤) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ١٢٦.

(٥) الخصائص ٢/١٣٩، اللهجات العربية في التراث ١/٢٩٢.

نوعين: مماثلة تقدميّة (progrssive) وفيها يتأثر الصوت الثاني بالصوت الأول، ومماثلة رجعية (ergrssive) وفيها يتأثر الصوت الأول بالثاني فحيثما كان الصوت الأول هو المؤثر فهي تقدمية وحيثما كان الثاني هو المؤثر فيما قبله فهي رجعية[1] وفي ضوء القوانين الفنولوجية التوليدية نناقش بعض الأمثلة التي ذكرها أبو عبيدة:

القانون الصوتي: [يتحول الصامت المهموس إلى مجهور إذا سُبِقَ أو تُلِيَ بصوتٍ مجهور][2].

الأمثلة: قال ـ تعالى ـ: ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾ [القمر: ١٧].
﴿**وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ**﴾ [القمر: ٩]، ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ**﴾ [المدثر: ١]، ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ**﴾ [المزمل: ١]، وقول النبي ﷺ في الحديث في قتلى أحد: ((زَمِّلُوهُم في دمائهم وثيابهم)). قال أبو عبيدة: كل ملفوف في ثياب فهو مزمل[3].

١ ـ مُذْتكِر ← مُدَّكِر[4].

[لما أدغم التاء في الذال تحولت التاء دالاً ثم ثقلت]

٢ ـ اُزْدُجِر ← اُزْتُجر ← زجر (فلما أدغم التاء في الزاي تحولت التاء دالا)

٣ ـ المُدَّثِّر ← المُتَدثِّر (لما أدغم التاء في الدال ثقلت **الدال**)

٤ ـ المُزَّمِّل ← المُتْزَمِّل (أدغمت التاء فثقلت الزاي)

خطوات المماثلة:

١ـ تحولت التاء المهموسة إلى نظيرها المجهور [الدال] في مماثلة جزئية تقدمية تحت تأثير صوت الذال المجهور ثم تحولت الذال إلى دال لقرب المخرج وحدث الإدغام في مماثلة كلية رجعية تحت تأثير الدال.

٢ـ تحولت التاء [في وزن افتعل من زجر] إلى نظيرها المجهور تحت تأثير الزاي المجهورة في مماثلة تقدمية جزئية.

٣ـ تحولت التاء [في المُتَدَثِّر] إلى نظيرها تحت تأثير الجهر السابق واللاحق وإضعافها

(١) هذا هو تقسيم الدكتور عبده الراجحي انظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية ١٢٦ وما بعدها.

(٢) القوانين الفنولوجية ٦٠.

(٣) غريب الحديث للهروي ٢٤٦/١.

(٤) انظر: هذه الأمثلة على الترتيب في المجاز ٣١٣/١و ٢٤٠/٢ و ٢٧٥ و ٢٣٧/٢ وغريب الحديث للهروي ٢٤٦/١.

بالتسكين في مماثلة كاملة.

٤ــ تحولت التاء المتقدمة [في الْمُتْزَمِّل] إلى صوت مجهور بسبب إضعافها بالتسكين وتحت تأثير الجهر السابق واللاحق في مماثلة كاملة ولقد فقدت التاء صفة الشدة وتأثرت بالجهر ولذلك سهل تحويلها إلى الزاي لقرب المخرج.

يتضح مما سبق أن المماثلة حدثت في اتجاهين: تقدمي ورجعي، ومن جهتين: الصفة والمخرج.

٢ــ المماثلة الكلية

القانون الصوتي:

ويمكن أن نصوغ من أمثلة أبي عبيدة قانونًا صوتيًا ينسجم مع رؤية أبي عبيدة في التحليل الصوتي للظاهرة على النحو التالي:

(إذا التقى صوتان مثلان، الثاني منهما متحرك والأول خالٍ من الحركة تحولا إلى صوتٍ واحدٍ مُثَقَّل)

مثال١– قال ــ تعالى ــ: ﴿**لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي**﴾ [الكهف: ٣٨]، مجازه: لكن أنا هو الله ربي، ثم حذفت الألف الأولى[١]، وأدغمت إحدى النونين في الأخرى، فشددت، والعرب تفعل ذلك[٢].

مثال٢– قال ــ تعالى ــ: ﴿**آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [النمل: ٥٩]، مجازه: أم ما تشركون، أي أم الذي تشركون به، فأُدغمت الميم في الميم فثقلت[٣].

ويفهم من كلام أبي عبيدة أنه لا يوجد صامتان مثلان في **[لَكِنَّا]** أو في **[أَمَّا]** المذكورتين في الشاهد وإنما هو صامت واحد مشدد أو مثقل[٤]، وقد نبه

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائيّ: [لكنا] بإسقاط الألف في الوصل وإثباتها في الوقف. وقرأ ابن عامر [لكنا هو الله ربي] يثبت الألف في الوصل والوقف وقال ابن مجاهد لم يُختَلف في الوقف أنه بالألف وإنما اختُلف في الوصل انظر: السبعة ٣٩١ وقد وَضُحَ أن أبا عبيدة لا يريد الألف التي قَصَدَ إليها القُراء وإنما يريد بها الهمزة كما يتضح من تعبيره.

(٢) المجاز ٤٠٣/١. (٣) المجاز ٩٥/٢.

(٤) يقول برتيل مالمبرج : [على سبيل المثال إذا كان على المتحدث أن ينطق تاءين على التوالي كما في (at ten) فهو عادة لا ينطق التاء الأولى نطقًا كاملاً؛ أي غلق يليه انفجار؛ لأن هذا يعني بذل مجهود زائد عن الحاجة وهو فتح مجرى الهواء أولاً ثم غلقه ثانيا للتاء الثانية التي لا تختلف في مخرج نطقها وطريقته عن الأولى،=

"ماريوباي[1]" على ما تحدثه الكتابة الأوربية من تضليل في الإشارة إلى هذه الظاهرة الصوتية، ويقول " فندريس " [إنه من الخطأ أن يقال بأنه يوجد صامتان في atta وصامت واحد في ata وإنما هو صامت واحد تطول فيه مدة الإمساك[2] وتتميز فيه المجموعة الأولى عن الثانية بوجود مسافة بين الحبس والانفجار يمكن للأذن أن تقدرها]، ونخلص من هذه القضية إلى أن التعبير الصوتي عند أبي عبيدة عن هذه الظاهرة وكذلك الرسم العربي[3] منسجم مع القوانين الصوتية وبعيد عن التضليل الذي نجده في الرسم الأوربي.

٣ ــ صيغة [ات + فاعل][4]

قال ــ تعالى ــ: **﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً﴾** [الأعراف: ٣٨]، وقال ــ تعالى ــ: **﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ﴾** [التوبة: ٣٨].

تدارك ← ادَّارك وهو مدغم التاء في الدال.

تثاقل ← اثّاقل أُدغمت التاء في الثاء فَثَقُلت وشددت

ــوعوضا عن ذلك يبقى المتحدث على نقطة الالتقاء الأولى مما ينجم عنه غلق طويل الأمد يتضمن حدا مقطعيا وسط هذا الغلق، وهذه الطريقة تستعني عن حركتين نطقيتين : الفتح للتاء الأولى والغلق للتاء الثانية هذا مثال لطريق مختصرة في النطق سببه التقاء فونيمين متماثلين، الصوتيات [ترجمة د. محمد حلمي خليل] ١١٢.

(١) المدخل إلى علم اللغة ٩٧.

(٢) انظر: شرح رأي فندريس هذا وآراء غيره من العلماء. المرجع السابق ٩٨.

(٣) تعبر اللغة الإنجليزية عن هذه الظاهرة تكرير الحرف في الرسم ففي كلمات مثل , happen , arrive attack بينما عبرت الكتابة العربية عن هذه الظاهرة بحرف واحد يميز عن غيره بالشدة كما نرى في الكلمات العربية وصرّح أبو عبيدة بالعلة الصوتية كما في الأمثلة ونص ابن جني على ذلك حيث يقول : [الحرف لما كان مدغمًا خفي فنبا اللسان عنه وعن الآخر نبوة واحدة، فجريا لذلك مجرى الحرف الواحد] انظر: المدخل إلى علم اللغة ٩٩ ويقول صاحب مراح الأرواح: [المشدد زمانه أطول من زمان الحرف الواحد وأقصر من زمان الحرفين] السابق نفسه.

(٤) الصيغة الفصيحة هي صيغة [افتعل] ويرى بعض اللغويين أن أصلها [ا ت + فعل] ثم حدث فيها قلب مكاني وبقيت بعض الصيغ التي تدل على الأصل القديم. وانظر: القوانين الفنولوجية ٨٠.

خطوات المماثلة(١):

درك ← ات + ← ادّارك.

تحولت التاء المهموسة إلى دال تحت تأثير الدال التالية لها في مماثلة رجعية كاملة بزيادة صفة [+ مجهور].

ثقل: تثاقل ← ات + اثاقل ← تحولت التاء إلى ثاء بعد أن فقدت صفة الشدة وذلك تحت تأثير صوت الثاء الرخوة في مماثلة رجعية كاملة بفقد صفة [ـ شديد].

مثال٣– قال أبو عبيدة في التعليق على عبارة أحد الفصحاء التي جاء فيها (أراد قومُها أن يَثِّئروا بها)، قال: يفتعلوا من الثأر(٢).

خطوات المماثلة:

ثَئِرَ ← يثتئرُ ← يَثِّئِرُوا

فعل ← يفتعل ← يفتعل

بناء صيغة مماثلة: ي ـَـ ث ت ـَـ ء ـِـ ر ـُـ ← ي ـَـ ث ث ـَـ ء ـِـ ر ـُـ

مماثلة تقدمية: تأثرت التاء الشديد بالثاء الرخوة فتحولت إلى مثلها في مماثلة تقدمية وذلك بفقد صفة الشدة في التاء وتقدم مخرجها إلى الأمام.

مثال٤– قال ـ تعالى ـ: ﴿**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**﴾ [مريم: ٦٥].

قانون صوتي: [الصوت الجانبي المجهور إذا سُبِقَ أو تلي بصوت مهموس يمكن أن يفقد صفة الجهر ويتماثل مع ما بعده].

---

(١) هناك أكثر من توجيه لخطوات المماثلة في هذه الأمثلة وما يشبهها، من ذلك ما قدمه الدكتور رمضان عبد التواب يقول بأنه تتأثر التاء بعد تسكينها لتخفيف بفاء الفعل إذا كان صوتًا من أصوات الصفير أو الأسنان ثم قيست على ذلك صيغة الماضي.

يَتَثَاقل ← يَتْثَاقل ← يَثّاقل ← اثّاقل (اثاقل في الماضي)

انظر: المدخل إلى علم اللغة ٣٨و ٣٩ وَقدم الدكتور صلاح حسنين النموذج التالي:

تثاقل ← تثاقل يَتْثَاقل ي ـَ ت ـَ ث ـَـ ق ـَ ل

الحركة القصيرة بين الصوتين المثلين تحذف (القوانين الصولوجية ٧٨).

قاعدة صوتية: إذا التقى صوتان مثلان في بداية الكلمة هناك اتجاهان.

ـ يحذف أحدهما) تجلب همزة وصل فتصير [اثّاقل].

(٢) النقائض ٢١٦/١.

إذا كان بعد هل تاء ففيها لغتان[١]، فبعضهم يُبين لام (هل) وبعضهم يخمدها فيقـول: [هتَّعلم] كأنها أدغمت اللام في التاء فثقلوا التاء[٢].

خطوات المماثلة: هل تعلم < هتعلم:

هــ ـَ ل ت ـَ ع ل ـَ م ـُ ← هــ ـَ ت ت ـَ ع ل ـَ م ـُ

سُبقت اللام المجهورة بالهاء المهموسة وتليت بالتاء المهموسة فتحولت في مماثلة رجعية إلى تاء وسهّل هذا التحول أمران ضعف اللام لسكونها، وقرب المخرج مع التاء.

ونلحظ أن أبا عبيدة في هذا المثال شبه هذا التحول بالإدغام و لم يجعله إدغامًـا مباشـرًا كما عهدنا في الأمثلة السابقة قال: [**كأنها أدغمت**] ويفهم من هذا أنه أدرك التطور الصوتي الحادث في هذا المثال على النحو التالي:

١- مرحلة الإظهار والإبانة لصوت اللام (هَلْ تَعْلَمُ) هـــَ ل ت ـــَ ع ل ـــَ م ـــُ

٢- مرحلة إخماد اللام (هَل تَّعلم) هــ ـــَ ل ت ـــَ ع ل ـــَ م ـــُ

٣- مرحلة إدغام اللام (هَتَّعْلَمُ) هــ ـــَ ت ت ـــَ ع ل ـــَ م ـــُ

وقد اهتم علماء العربية والقراء بالحالة الأولى والثالثة واهتم أبو عبيدة بالمرحلة الثانية.

(ب) المماثلة بين أشباه الصوامت [٣]

مثال ١- قال ــ تعالى ــ: ﴿**أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ**﴾ [البقـرة: ١٩]، ﴿**ذَلِـكَ الـدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾ [التوبة: ٣٦].

---

(١) روى علي بن نصر عن أبي عمرو [هل تعلم] يدغم اللام، ويقول إن شئت أدغمت ما كان مثل هـذا وإن شئت بينته وقال هارون عنه إنه كان يدغم، ثم رجع إلى البيان السبعة ٤١٠، قرأ حمزة والكـسائي، وهمـا كوفيان بالإدغام والكوفة متأثرة بقبائل شرق الجزيرة مثل تميم وأسد، كما أن الكسائي هو مولى لبني أسـد وهي قبيلة آثرت الإدغام، وأورد سيبويه شواهد من بني عقيل البدوية الضاربة في أعماق نجد فالإدغام اشتهر في القبائل البدوية انظر: تفصيل ذلك في اللهجات العربية في التراث ٣٠١/١و ٣٠٢ وكذلك اللـهجات في القرآن ١٢٩ وانظر: السبعة ١٢٠، ١٢٣.

(٢) المجاز ٩/٢.

(٣) يطلق هذا المصطلح على الواو والياء في مثل صَوْت وبَيْت حيث يتحرك ما قبلهما فيقويان بالحركة ويلحقـان بالحروف الصحاح فهما يشبهان الحركات في الصفات [الجهر والوضوح والسمعي] لكنـهما يـسلكان مسلك الصوامت فلذلك يطلق العلماء تسمية أشباه الصوامت بوجه وأنصاف الحركات بوجه آخر. انظر: في تفصيل ذلك الأصوات اللغوية ١٣٢ ــ ١٣٥، والصوتيات مالمبرج ٧٥و ٧٦ وما بعدهما.

وتقديره تقدير [سَيِّد] من صاب يصوب ومجار (القيم) القائم خرج مخرج (سيّد) وهو من ساد يسود، بمنـــزلة قام يقوم، قال علقمة بن عبدة: (الطويل)

سَقَتْكِ روايا المُزْن حيث تصوبُ

وقال رجل من عبد القيس جاهلي: (الطويل) **تنـــزّل من جو السماء يصوبُ**[1].

القانون الصوتي: تتحول الواو المسبوقة بالكسرة أو بالياء الصامتة [نصف الحركة] إلى ياء (وتدغم في الياء السابقة في حالة وجود الياء) وتتحول الواو المسبوقة بالفتحـــة إلى فتحـــة طويلة.

الخطوات:

ـــ سَوِدَ ← سَيْوِدٌ ← سَيِّدٌ

بناء صيغة فيعل مماثلة تقدمية

س ـــَ ي و ـــِ د ـــُ ن ← س ـــَ ي ي ـــِ د ـــُ ن

صوب ← صَيْوِبٌ ← صَيِّبٌ

ص ـــَ ي و ـــِ ب ـــُ ن ← ص ـــَ ي ي ـــِ ب ـــُ ن

مماثلة تقدمية:

مثال٢– قال ـــ تعالى ـــ: ﴿**مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَة**﴾ [الحشر: ٥]، قال أبو عبيدة: أي من نخلة وهي من ألوان النخل، إلا أن الواو ذهبت لكسرة اللام، قال ذو الرُّمَّة[2] (الطويل):

طِرَاق الخوافي مُشْرِفٌ فوْقَ لينةٍ نَدَى لَيْلِه في رِيشِهِ يترقرقُ

الخطوات:

لون ← ألوان (جمع)

لِوْنة (مفرد) ← لينة

ل ـــِ ون ـــَ ت ـــُ ن ← ل ـــِ ـــِ ن ـــَ ت ـــُ ن

مماثلة تقدمية:

مثال٣– قال ـــ تعالى ـــ: ﴿**وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً**﴾ [النساء: ٢١]، قال أبو عبيدة:

---

(١) المجاز ١/٣٣، ١/٢٥٨.

(٢) المجاز ٢/٢٥٦.

الميثاق، مِفعال من الوثيقة[1].

الخطوات:

وَثِقَ ← وثيقة ← مِوْثاقٌ ← مِيْثَاقٌ

(بناء صيغة مفعال) م ـــِ و ث ـــَ ـــَ ق ـــُ ن ← م ـــِ ـــِ ث ـــَ ـــَ ق ـــُ ن

مماثلة تقدمية:

مثال ٤ – قال الفرزدق: (الكامل)

وأبي الذي ورد الكُلاب مُسَوَّمًا   والخيـــلُ تحت عجاجـــها المنـــجال

قال أبو عبيدة: والمنجال، هو المنفعل من الجولان[2].

جـــ ول ← م ن جـــ ول ← منجال

م ـــُ ن جـــَ و ـــِ ل ← م ـــُ ن جـــَ × ل ← م ـــُ ن جـــَ ـــَ ل

ساء صيغة منفعل   مماثلة تقدمية   حذف الواو والتعويض عنها بإطالة الحركة.

ج ـ المماثلة بين الحركات:

يقصد بمماثلة الحركات التجانس Vowel harmony والمقطع في اللغـــات الـــسامية لا يسمح بتجاور الحركات، لذا فالحركات منفصلة دائمًا[3]. ويخضع التجانس الحركي لقواعد محددة.

مثال: (هواي وهَوَيَّ ، وقفاي وقفيَّ).

القانون الصوتي:

تتحول الفتحة الطويلة إلى ياء إذا سُبقت أو تُليت بياء[4]ويمكن صياغة القانون في الظاهرة التي لاحظها أبو عبيدة على النحو التالي: [**تتحول الفتحة الطويلة**] إلى ياء [وهي الكـــسرة الطويلة] إذا سبقت أو تليت بياء].

قال أبو دؤاد: (الوافر)

أَلَمْ تَرْ أنني جاورتُ كعبًا   وكان جوارُ بعضِ الناسِ غيًّا

فأبلوني بَلِيَّتكُمْ لعلي   أُصالِحْكُم واستدرج نَوَيًّا

---

(١) المجاز ١/١٢٠.   (٢) النقائض ١/٢٨٩.   (٣) القوانين الفنولوجية ٦٥.

(٤) السابق ٦٦.

أراد نوايَ فذهب به إلى قَفَيَّ وَهَوَيَّ وهو الوجه الذي يريدونه[١].

وأبو عبيدة يشير إلى شاهدين ترددا كثيرًا في المعاجم والكتب اللغوية قال أبـــو ذؤيـــب الهُذَلي[٢]: (الكامل)

سبقوا هَوَيَّ وأعنقوا لهواهمُ   فَتُخُرِّمُوا ولكل جنب مصرعُ

أما كلمة قَفَيَّ فقد أشار إليها تلميذه أبو عبيدة القاسم بن ســـلام وهـــي منـــسوبة في الحديث[٣] إلى طلحة بن عبيد الله ـــ رضي الله عنه ـــ [فوضعوا اللُّجَّ على قَفَيَّ فبايعتُ وأنا مُكْرَه][٤].

خطوات المماثلة:

هَوَايَ < هَوَيَّ

هـَ و ـَـ ـَـ ×ي ـَـ ـَ ← هـَ و ـَـ ي×ي ـَـ ـَ ← هـَ و ـَـ ي ي ـَـ

تحولت الفتحة إلى كسرة طويلة مزدوجة بتأثير الياء التالية في مماثلة رجعية وأدغمت مع الياء في ياء واحدة مثقلة[٥].

نسبت كتب اللهجات هذه الظاهرة إلى قبيلة هذيل[٦] ونسبت في بعضها لقبيلة طيء[٧] وفي القليل منها إلى قريش[٨] وقد أكد الدكتور أحمد علم الدين نسبتها إلى هذيل دون مـــا سواها لكثرة شواهدها وتواتر المؤلفات على ذلك[٩] ورجَّح الدكتور علم الدين أن لهجـــة هذيل هي الأقدم وأن اللغة الفصحى هي الأحدث، بدليل أن هواي وقفاي فيها انسجام عن [هَوَيَّ وقَفَيَّ] والصيغة المنسجمة أحدث من غيرها فهذيل قد التزمت مرحلة من مراحـــل

---

(١) النقائص ٤٠٨/١ ويؤكد صحتها له في النقائض ورودها في غريب الحديث منسوبة إليه انظر: الهوامش التالية.

(٢) انظر: اللسان مادة هوى ٤٧٢٨/٦ وقال ابن حبيب هوي لغة هذيل وكذلك قفيَّ وعصيَّ.

(٣) غريب الحديث للهروي ١٦٦/٢.

(٤) قال أبو عبيد القاسم بن سلام: وقوله قفيَّ، هي لغة طائية وكانت عند طلحة امرأة طائية ويقال إن طيِّئـــا لا تأخذ من لغة أحد ويؤخذ من لغاتها. غريب الحديث ١٦٦/٢.

(٥) اتبعت في هذه الخطوات رؤية أبي عبيدة في المماثلة مع تطبيق القوانين الفنولوجية.

(٦) انظر: اللهجات في القراءات ١٣٢/١٣٣.

(٧) غريب الحديث للهروي ١٦٦/٢.

(٨) اللهجات العربية في التراث ٥٤٠/٢.

(٩) لا مانع أن تأخذ القبائل بعضها عن بعض كما نرى في تأثر طلحة بن عبيد الله القرشي بلغة زوجته لكي تبقى الظاهرة منتشرة) كما ذكر الدكتور علم الدين) في هذيل.

التطور ثم توقفت أما في الفصحى فقد أخذ التطور مجراه الطبيعي حتى وصلت الصيغة إلى ما نعهده الآن عصاي وهواي[١].

والحقيقة أن الدكتور علم الدين لم يقدم لنا كيف حدث هذا التطور[٢] من [هَـوَيَّ] إلى [هواي] وقد رأينا كيف حدث التطور من [هوايَ] إلى [هَوَيَّ] ولذا لو قلنا بعكس ما قال سيادته لكان ذلك أقرب للصواب فالصيغة الفصحى هي الأقدم وهي الأصل الذي تطورت عنه لهجة هُذيل التي مالت إلى الانسجام الصوتي بينما حافظت الفصحى على الأصل في هذه الصيغة.

د ـ نتيجة

قال بعض العلماء: إن لغة الحجاز والحضر؛ هي الإظهار والإبانة وهي موصوفة عندهم بالجودة والحسن؛ ويرى بعضهم أن الإدغام هو كلام العرب الذي لا يحسنون غيره[٣]، ويتضح من النماذج التي تناولها أبو عبيدة في هذه الظاهرة أنه لم يرد أيًا من اللغتين؛ فهما عنده لغتان أو يقول: العرب تفعل ذلك ـ أي الإظهار والإدغام ـ أو يقول بعضهم يدغم وبعضهم يبين أو يظهر[٤] فهو يقف موقفا علميًا خالصًا في قبول الظواهر اللغوية المختلفة والتعرض لها بالوصف والتحليل ويصدر عن المصادر العربية الموثوقة في استقاء الشواهد اللغوية[٥].

٣. المخالفة (Dissmilation)

يقول " فندريس ": [ينحصر التخالف وهو المسلك المضاد للتشابه في أن يعمل المتكلم

---

(١) اللهجات العربية في التراث ٥٤١/٢.

(٢) ما قدمه الدكتور علم الدين من أدلة مثل قوله بأن القراءات قد وضحت ذلك لا يقوم دليلا فما معنى أن قراءة الجمهور على اللغة المشهورة في قوله: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾، وبعض القراءات على لغة هذيل ﴿ هُـدَيَّ ﴾ اللهجات العربية في التراث ٥٤٢/٢ والإجابة: أن القرآن الكريم مرآة صادقة للهجات العربية كما يقرر الدكتور علم الدين لكنه لا يقوم دليلاً على أن لغة هذيل هي الصيغة الأصلية وأن الفصحى متطورة عنها.

(٣) تعرض الدكتور الراجحي لدراسة هذه الظاهرة من خلال القراءات القرآنية وشواهد الشعر وبين أن القبائل البدوية شرق ووسط الجزيرة) [تميم وأسد وعبّ وعبد القيس وبكر بن وائل وكعب ونُمير] إضافة إلى هذيل في حالة ألف المقصور) كانت تؤثر الإدغام بينما الحجاز والحواضر تؤثر تحقيق الحروف وإظهارها ولكنهم كانوا يذهبون إلى بعض الإدغام (وهو ما يتفق مع التحليل الذي قدّمه) انظر: اللهجات العربية في القراءات ١٢٧ ـ ١٣٣ وانظر: كذلك اللهجات العربية في التراث ٣٠١/١، ٣٠٢.

(٤) انظر: الأمثلة السابقة التي قدمت حول هذه الظاهرة.

(٥) وهذه المصادر من خلال الأمثلة السابقة هي: القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر وأقوال العرب.

حركة نطقية مرة واحدة، وكان من حقها أن تعمل مرتين] ومعنى هذا أنه يُعْمَد إلى صوتين متماثلين تمامًا في كلمة من الكلمات فيغير أحدهما إلى صوت آخر يغلب أن يكون من أصوات العلة الطويلة أو من الأصوات المتوسطة[١].

وإذا كان أبو عبيدة قد استخدم لفظة التحويل والإدغام في التعبير عن المماثلة فإنه استخدم مصطلح القلب[٢] للتعبير عن المخالفة، كما استخدم مصطلحات خاصة للتعبير عن بعض صورها؛ مثل التفريق بين الأمثال،[٣] أو الإبدال من ثالث الأمثال[٤].

١ـ قلب الواو تاءً عند تتابع حركات الضم في بداية الكلمة

مثال ١ – يقال تَوْلَج، ودُوْلَج [للكُناس الذي يلج فيه الوحش]

وهي من وَلَجَ يَلِجُ وَلَيجَةً، قال الشاعر:

متخذًا إيادًا دَوْلجًا[٥].

خطوات المخالفة

وَلَجَ ← وَوْلَج ← تَوْلَج ← دَوْلَج

ـ بناء صيغة مزيدة للإلحاق على وزن [فاعل].

ـ قلبت الواو تاءً للمحافظة على فاء الفعل، وواو الإلحاق وهروبًا من اجتماع المثلين (كما يرى القدماء).

ولكن أرى الذي حدث هنا هو حذف الواو الأولى فبقيت الفتحة دون صامت يسبقها.

---

(١) التطور اللغوي قوانيه وعلله ٥٧.

(٢) العريب المصنف ١/١٢١ وقد لزم أبو عبيد القاسم بن سلام " التلميذ " هذا المصطلح للدلالة على هذه الظاهرة التي نقلها ونسبها لأستاذه " أبي عبيدة " ثم أحد يرددها بدون نسبة بعد ذلك ، غريب الحديث ١/٣٨٣و نقلت مصادر مختلفة أمثلة أبي عبيدة في ظاهرة المخالفة منسوبة إليه في أحيان كثيرة وغير منسوبة أحيانًا أخرى وغلب على المصطلح المنقول عنه للتعبير عن هذه الظاهرة مصطلح القلب انظر: الإبدال لابن السكيت ٥٠ و١٣٠ و ١٣٣ و ١٣٥ و ١٣٩ والشافية ٣/٢٢٩ ، والمزهر ١/٤٦٨ ، والعريب المصنف ١/١٢٠ ، واستخدم بعض العلماء مصطلحات أخرى مثل " التحويل " العريب المصنف ٣/٦٥٦ ، والمزهر ١/٤٦١، ٣٦٢ ، ومصطلح الإبدال المرجع السابق ١/٤٧١و ٤٧٣.

(٣) النقائض ٢/٥٥٠.

(٤) ارتشاف الضرب ١/٢٢٦.

(٥) المحار ١/٢٥٤ قال ابن سيده لا يقولون [وَوْلج] الْبَتَّة كراهية اجتماع الواوين في أول الكلمة، وإنما قالوا [تولج] ثم أبدلوا الدال من التاء المبدلة من واو فقالوا [دولج] انظر: اللسان مادة أهل ١/١٦٥ وانظر: الإبدال لابن السكيت ١٠٣، والمزهر ١/٤٦٤.

لذا نطقت الفتحة محققة بأن اُجْتُلِبَتْ لها تاء فأصبحت الكلمة تَولج.

ـ تأثرت التاء، وهي صوت مهموس، بالأصوات المجهورة بعدها فقلبت إلى نظيرها المجهور " الدال " في مماثلة رجعية.

و ـَ و ل ـَ ج ـُ ن ← ت ـَ ول ـَ ج ـُ ن ← د ـَ ول ـَ ج ـُ ن

مثال ٢– قال أبو عبيدة: (مَا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ تُضْعًا) أرادوا وُضْعًا فقلبوا الواو تاءً[1].

وُضْعٌ ← تُضْعٌ و ـُ ض ع ـُ ن ← ت ـُ ض ع ـُ ن.

ـ قلبت الواو تاءً هروبًا من توالي الضمة مع الواو ومحافظةً على فاء الكلمة.

ـ ساعدت على حدوث المخالفة في هذا المثال زيادة نسبة الوضوح السمعي لحركة الضم وكأنها واو لضعف الحرف التالي للواو بالسكون [خلوهُ من الحركة].

وقد أورد ابن السكيت بابًا[2] أسماه باب الواو تقلب تاءً[3] وهي أول الحروف، واتبع فيه طريقة أبي عبيدة ومنهجه[4] ونظن أنه ربما ورد بعضه، أو معظمه عن أبي عبيدة حيث أصل الباب السابق عليه عن أبي عبيدة[5] أو يحتمل أن يكون ابن السكيت قد اطلع على كتاب مفقود له في الأصوات قد يكون الإبدال أو المعاقبة[6] وقد جاء بعض ما ذكره ابن السكيت في المجاز مثل تراث وتقوى[7].

٣ ـ قلب أحد المثلين حَرْفَ لِين

مثال ١ – قال الفرزدق:

قَدْ كُنْتُ لَو نَفَعَ النَّذيرُ نَهَيْتُهُ ألاَّ يكونَ فريسةَ الريبالِ

الريبال الذي يَتَرَبَّلُ [أي يطلب الصيد وحده لقوته وثقته بنفسه].

وَيَتَرَيْبَلُ أيضًا[8].

---

(١) الوضع أن تحمله على حيض، الغريب ١٢١/١ ، وانظر: المزهر ٤٧١/١. (٢) الإبدال ١٣٩.

(٣) مثل التُّكلان من وكلت، والتراث من وَرِثت، والتخمة من الوخامة وتَتْري من وتْري، وتقوى مَن وقوى وتجاه من وجه والتّلاد (من وُلِدَ عندهم) المرجع السابق نفسه.

(٤) مثال ذلك قول التُّكلان مِنْ وَكَلْتُ وكان أصله وكْلان فأبدلت الواو تاءً).

(٥) باب حروف المضاعف التي تقلب ياءً السابق ١٣٣.

(٦) انظر: العققة والبررة ضمن نوادر المخطوطات ٣٣٨/٧.

(٧) انظر: المجاز في تفسير سورة يوسف ٣١٥/١. (٨) النقائض ٢٨٣/١.

ي ـَ ت ـَ ر ـَ ب ب ـَ ل ـُ ← ي ـَ ت ـَ ر ـَ ي ب ـَ ل ـُ

مثال٢- قال ـ تعالى ـ: ﴿**وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً**﴾ [الأنفال:٣٥].

قال أبو حيان الأندلسي[١]: ذهب الجمهور وأبو عبيدة إلى أن أصله تَصْدِدَةٌ.

خطوات القلب

تَصْدِدَةٌ ← تَصْدِيَةٌ[٢].

ت ـَ ص د ـِ د ـَ هـ ← ت ـَ ص د ـِ ي ـَ هـ

مثال٣- وجاء في أدب الكاتب عن أبي عبيدة[٣] أَمْلَلْتُ الكتاب وأَمْلَيْتُه.

قال الله ـ عَزَّ وجل ـ: ﴿**فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ**﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقال في موضع آخر: ﴿**فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً**﴾ [الفرقان: ٥].

خطوات القلب:

أمللت ← أمليت

ء ـَ م ل ـَ ل ت ـُ ← ء ـَ م ل ـَ ي ت ـُ

قُلبت اللام الساكنة حرف لين.

قال الشاعر: (الطويل)

لدى قَطَرِيَّاتٍ إذا ما تَغَوَّلَتْ بنَا البيدُ غَاوَلْنَ الحزومَ القياقيا[٤].

وتَغَوَّلَتْ: تباعدت ويروى تَغَاوَلَتْ[٥].

خطوات القلب [المخالفة]

وتَغَوَّلَتْ ← تَغَاوَلَتْ

ت ـَ غ ـَ و و ـَ ل ـَ ← ت ـَ غ ـَ ـَ و ـَ ل ـَ ت

(١) ارتشاف الضرب بتحقيق د. رجب عثمان ٣١٥/١. وانظر: الغريب المصنف ٦٥٦/٣ وأدب الكاتب ٣٧٦.

(٢) قال ابن عصفور في الممتع ٣٧٦/١ أصل تصدية تصددة فحولت إحدى الدالين ياء هروبًا من اجتماع المثلين.

(٣) أدب الكاتب /٣٧٦.

(٤) قطريات: إبل منسوبة إلى قطر، الحزوم: ما غلظ من الأرض، القياقي: الأرض الصلبة.

(٥) النقائض ١ ١٧٥.

حذفت الواو الساكنة [حذف صامت] وعُوِّض عن ذلك بإطالة الحركة.

٣ــ وقد يُفك التضعيف بحذف أحد المثلين والتعويض عنه بصوت من أصوات الذلاقة أو الأصوات المائعة.

مثال: وفي لحية كَثَّأة[1] أي طويلة نقل أبو عبيدة لحيّةَ كَنْثأة[2].

ك ــ ث ث ء ــَ هـ ← ك ــ ن ث ــَ ء ــَ هـ

حذف أحد المثلين (صامت الثاء الخالي من الحركة) وعوّض عنه بصوت النون وهو من الأصوات المائعة وحافظ على التركيب.

الأمثلة:

ــ قال ــ تعالى ــ: ﴿**وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾ [الشمس:١٠]، هي من دَسَّسْتُ[3] والعرب تَقْلبُ حروف المضاعف إلى الياء، قال العجاج:

تقَضِّيَ البازي إذا البازي كَسَرْ

وإنما هو: القضاضُ، وتَظَنْيتُ إنما هو: تَظَنَّنْتُ، ورجلٌ مُلبُّ، إنما هو من: أَلْبَبْتُ، أي: أقمتُ بالمكانَ[4]. وقد نقلت عدة مصادر أمثلة أبي عُبيدة وزادوا عليها، من أمثال: ابن السكيت، وأبي حيان الأندلسي[5]، وابن عُصفور[6]، والسيوطي، وابن يعيش[7] وابن جني[8] لكن تلميذه أبو عبيد القاسم بن سلام هو الذي حافظ على نفس مصطلح أبي عبيدة في هذه الظاهرة وأسماه تسمية أبي عبيدة بالقلب أو استثقالاً للأمثال[9].

أمثلة أبي عُبيدة:

دَسَّس ← دَسَّي

د ــَ س س ــَ س ــَ ← د ــَ س س ــَ ــَ " ي ".

(١) اللسان مادة كثأ ٣٨٢٥/٥ ومقاييس اللغة ١٦٢/٥. (٢) ارتشاف الضرب تحقيق رجب عثمان ٥٧/١.

(٣) الدَّسُّ: إدخال الشيء من تحته دسه يدسه دسًّا فاندس ودسَّسه ودسَّاه والأخير على البدل كراهية التضعيف، ويقال قد خاب من دسَّى نفسه فأخملها، اللسان مادة " دسس " ١٣٧٢/٢ /١٣٧٣.

(٤) المجاز ٣٠٠/٢ وجاءت بعض هذه الأمثلة وطريقة عرضها في البيان في غريب إعراب القرآن ٥١٧/٢.

(٥) انظر: الإبدال ١٣٣، ارتشاف الضرب ٢٦٦/١. (٦) الممتع ٣٧٤/١.

(٧) الارتشاف ٢٦٦/١. (٨) الخصائص ٩٠/٢ والمزهر ٤٦١/١ و ٤٦٢.

(٩) غريب الحديث للهروي ٣٨٣/١ وانظر: أيضًا أدب الكاتب ٣٧٦.

حُذفَ الصامت لتكْرار الأمثال فاتحدت الحركتان القصيرتان في حركة طويلة وحُمِلَ على الفعل الناقص المعتل بالألف التي أصلها الياء.

قَصّصَ ← قَصَّي

قـَ ض ض ـَ ض ـَ ← ق ـَ ض ض ـَ ـَ " ي ".

تَظَنّن ← تَظَنّي

ت ـَ ظ ـَ ن ن ـَ ن ـَ ← ت ـَ ظ ـَ ن ن ـَ ـَ " ي ".

لَبّب ← لَبّي

ل ـَ ب ب ـَ ب ـَ ← ل ـَ ب ب ـَ ـَ " ي ".

وقد قاس العلماء بعد أبي عبيدة على طريقته فذكر أبو عبيد القاسم بن سلام(١) [تَمَطّى] من تَمَطّطَ وذكر أبو حيان(٢) [تَقَصّيْتُ] من تَقَصّصْتُ وقال القناني قَصيَّتُ أظفاري في معنى قصصتُها وقال ابن الأعرابي تَلَعّيْتُ من اللُّعّاعة(٣) وأنشد: (الطويل)

تَزْورُ امْرَأً أما الإله فَيَتَّقِي وأما بفعل الصالحين فيأتَمِي

أراد يَأْتَمُّ من قولك: ايتممتُ بفلان؛ أي اتخذته إماما وأورد السيوطي عن ابن السكيت سُرِّيَّة من تَسرَّرتُ(٤) ولكن الشاهد عدهم هو شاهد أبي عبيدة(٥) وكذلك منهجه.

٤. التفريق بين الأمثال بتكرار فاء الكلمة:

قال الفرزدق:

مَوانِعُ للأسرارِ إلا لأهلِها وَيُخْلِفْنَ ما ظَنَّ الغيورُ المُشَفْشَفُ

قال أبو عبيدة: وإنما أراد المُشفَّفَ فكرر الشين كما قالوا دَمْعٌ مُكَفْكَفٌ، وقد تَجَفْجَفَ الشيءُ من الجُفوف وأصله تَجَفَّف، وهذه ثلاثة أحرف من جنسٍ واحد يُكره جمعُها ففرّقوا بينهما بحرف من الكلمة وهو فاءُ الكلمة(٦) ونقلت عنه المصادر [رَبْرَبَ] من رَبَّبَ و [حَثْحَث] من حَثَّثَ(٧).

---

(١) غريب الحديث ١/١٣٦و ١٣٧و ٣٨٣.

(٢) ارتشاف الضرب ١/٣١٢ وانظر: التنبيهات بتحقيق الراجوكوتي ٣٠٧.

(٣) المزهر ١/٤٦٨.

(٤) الإبدال لابن السكيت ١٣٤.

(٥) هو قول العجّاج : تقضي البازي /البيت.

(٦) النقائض ٢/٥٥٠.

(٧) ارتشاف الضرب ١/٢٢٦.

خطوات القلب:

شَفَّ ← شَفَّفَ ← شفْشَفَ فَعَلَ/ بناء صيغة فَعَّلَ/ حدوث مخالفة هروبًا من توالي الأمثال.

ش ـــَ ف ف ـــَ ف ـــَ ← ش ـــَ ف ش ـــَ ف ـــَ

وقد حدث هذا باطراد كما يقرر أبو عبيدة في الأفعال:

[كفّف، وجفّف، وربّب، وحثّث]، والتي صارت من أجل توالي الأمثال: [كفكف، وحفجف، وربرب، وحثحث].

ويتضح مما سبق النتائج التالية:

اتخذت المخالفة عند أبي عبيدة عدة مظاهر نلخصها في الحالات الآتية:

١ــ **الحالة الأولى:** اجتمعت شبه الحركة مع نظيرها أو مع الحركة فَحُذِفَتْ وبقيت الحركة دون صامت يسبقها فاجتلبت التاء في أول الكلمة.

٢ــ **الحالة الثانية:** وهي حالة اجتماع المثلين وسارت فيها المخالفة على اتجاهين: الأول: أن يكون المثلان مُتَّحدين (الحرف المشدد) وفيها يقع القلب على الصامت الخالي من الحركة (وهو الحرف الأول) الثاني: أن يكون المثْلان متحركين وفيه يقع القلب على الحرف الثاني.

٣ ــ **الحالة الثالثة:** وهي حالة اجتماع ثلاثة أمثال وقد سلكت فيها المخالفة مسلكين:

الأول- حذف الصامت الثالث المنفرد وإبقاء حركته.

الثاني- حذف الصامت الثاني المدغم في مثله وإبقاء حركته مع التعويض عنه بفاء الكلمة.

٤ــ توالي الأمثال قد يؤدي أيضًا إلى استبدال اللين بالصامت وقد يؤدي أيضًا إلى استبدال الصامت باللين سواء بسواء ما دام ذلك يحقق المخالفة المطلوبة.

٣ ـ قانون القلب المكاني:

القلب عند أبي عبيدة ــ كما رأينا في قانون المخالفة ــ يعني التحويل[1] وهذا هو المعنى

---

(١) منقول عن أبي عبيدة في الغريب المصنف ٦٥٦/٣ والإبدال لابن السكيت ٥٠، ١٣، ١٣٣، ١٣٥، ١٣٩، والشافية ٢٢٩/٣، والمزهر ٤٦١/١، ٦٢.

الذي ردّده المعجم، فالقلب هو تحويل الشيء عن وجهه[١]، وفي عُرف اللغويين العرب يعني؛ تقديمَ الحرف وتأخيرَ الآخر[٢]، ويصف لنا علماء الأصوات هذه الظاهرة اللغوية وصفًا صوتيًا، يقول " برتيل مالمبرج "[٣] (يحدث في بعض الأحيان أن تتبادل الفونيماتُ أماكنها في السلسلة الكلامية)، ثم بيّن أنّ هذا الإحداث اللغوي يُسَمَّى القلب metathe[٤]، وفسّر بأمرين؛ إما بسبب أخطاء الأطفال وسيادتها بعد ذلك، وإما بسبب إحلال المائعات إحداهما مكان الأخرى مناسبة للحركة. وبالنظر إلى طريقة أبي عبيدة في عوض وصياغة نماذج تلك الظاهرة؛ نجد أنه يأتي بالكلمة، في الشاهد اللغوي، فإن كانت من المقلوب، ذكر الأصل الذي قُلِبَتْ أو حُوِّلت عنه، وإن كانت على الأصل، ولها مقلوبٌ مشهور في لغة العرب، نبّه عليه ثم يتبع ذلك بقوله عن المقلوب وأصله: هما سواء[٥]، أو كلاهما يقالان[٦]، أو يقول هو في رواية كذا[٧].. ويقول في بعض الأحيان (كل ذلك أعرابي)[٨]. النظر في أمثلة أبي عبيدة وتعليقاته يمكن أن نستخلص رؤية نظرية، تشكل أساسًا لصياغة قانون لغوي يتعلق بظاهرة القلب المكاني منطوقة كما يلي:

(يحدث أحيانًا أن تتبادل الأصوات أماكنها على مستوى الكلمة الواحدة مع احتفاظ الكلمة بأصواتها، وهو ما نطلق عليه قانون القلب المكاني ويعمل ذلك القانون على ثلاثة محاور هي:

١ ــ ميل المتكلم إلى السهولة والتيسير، وذلك بتقديم حروف الذلاقة العربية على غيرها.

٢ ــ الهروب من المماثلة.

٣ ــ نواتج المشكلات المتعلقة بالكلمات المعتلة والمهموزة.

---

(١) اللسان مادة قلب ٣٧١٣٥/٥. (٢) القوانين الصولوجية ٨١.

(٣) الصوتيات ترجمة د. محمد حلمي حبيب ١٢١.

(٤) قسم " مالمبرج" القلب إلى نوعين: متقارب (inversion) ومتباعد (metathesis)؛ لكنه فسمي النوعين باسم القلب المتباعد، لأنه هو الغالب، ومثل له باسم العلم الفرنسي rolond، الذي صار في الإيطالية orando انظر: المرجع السابق ١٢١و ١٢٢.

(٥) النقائض ١٤٣/١و ١٨٤. (٦) السابق ٤٢٣/١. (٧) السابق ٥٠٥/١.

(٨) السابق ٤٢٤/١ وقد علّق أحد رواة النقائض في حاشية على عبارة أبي عبيدة فقال: (يعني هذا كلام الأعراب ولغتهم واختيارهم) السابق نفسه.

الأمثلة:

أولاً- تقديم حروف الذلاقة[١]:

نقل العلماء عن أبي عبيدة أمثلة للقلب وردت ضمن شروحه للشعر فعندما يقول (الْعوطَبُ، والعوبطُ من أسماء الداهية)، يقول ابن دريد[٢]: كأنه مقلوب عنده، وكذلك عندما يقول الدِّمقس والمدَقس، هو كل ثوب أبيض، يعد ابن الأنباري[٣] ذلك من المقلوب، ومن أمثلة ما جاء في النقائض على هذا النمط قول عنترة: (الطويل)

أَبَيْنَا أَبَيْنَا أَنْ تَضِبَّ لِثَاتُكُمْ   عَلَى مُرْشِقَاتٍ كالظباء عَوَاطِيَا

قال أبو عبيدة[٤]: (حاء تضبُّ؛ جاء تَضِبُّ وتَبضُّ لِثَتُه، جميعًا يقالان ...والبضُّ والضَّبُّ: السيلان،وكل هذا أعرابي)[٥].

وقال جرير[٦]: (الطويل)

رَكُودٌ تَسَامِي بالمَجَالِ كَأَنَّهَا   شُمُوسٌ تَذُبُّ القائدين وتَضْرَمُ

ويروي: تَبُدُّ وقال جرير[٧] أيضًا: (الوافر)

وَهَلْ كَانَ الفَرَزْدَقُ غَيْرَ قِرْدٍ   أَصَابَتْهُ الصواعِقُ فاسْتَدَارا

فقال أبو عبيدة[٨]: (ولُغَتُه الصَّواقع) وروي لجرير كذلك الأَغْرَل.

والأرغل[٩] ومن الأمثلة التي ذكرها الدُّلامِصُ[١٠] والدُّمالص والعُلُط والعُطُل[١١]، والأشابة، والأباشة[١٢]

---

(١) المقصود بحروف الدلاقة هو ما جمعه علماء العربية في جملة (مَرَّ بنفل) وهي عبارة عن الأصوات المائعة مضافًا إليها صوت، الباء والفاء انظر: مادة دلق في اللسان ١٥١٢/٣. ونقل العلامة السيوطي عن علماء العربية قولهم: ألا ترى أنك لا تجد بناءً رباعيًّا مصمت الحروف إلا بناءً يجيئك بالسين وهو قليل جدًّا مثل (عسجد)، فأما الخماسي ، فإنك لست واجده إلا بحرف أو حرفين من حروف الدلاقة من مخرج الشفتين أو أسنة اللسان انظر: المزهر ١٩٤/١.

(٢) السابق ٤٧٧/١.
(٣) شرح القصائد السبع ٣٥.
(٤) النقائض ٤٢٣/١.
(٥) السابق ٤٢٤/١.
(٦) السابق ٥٠٥/١.
(٧) السابق ٢٥١/١.
(٨) السابق نفسه.
(٩) النقائض ٢٣١/١.
(١٠) السابق ١٤٣/١.
(١١) السابق ١٨٤/١، وانظر: كذلك المزهر ١٨٤/١.
(١٢) النقائض ٤٥٠/١.

خطوات القلب في الأمثلة السابقة[١]:

ـــ العُطُل ← العُلُط[٢] ، العَوْطَب ← العَوْبَط[٣].

ع ـــُ ط ـــُ ل ← ع ـــُ ل ـــُ ط ، ع ـــَ و ط ـــَ ب ← ع ـــَ و ب ـــَ ط

في المثالين السابقين تقدم صوتا اللام والباء، وكلاهما من أصوات الذلاقة، على صوت الطاء الموصوف بالشدة والتفخيم.

ـــ الدُّلامِصُ ← الدُّمَالص

د ـــُ ل ـــَ ـــَ م ـــِ ص ← د ـــُ م ـــَ ـــَ ل ـــِ ص

بين أبو عبيدة أن أصل الكلمة دلاص صفة للدرع (بمعنى مُلْس) وأنهم قد زادوا بها الميم ثم ذكر مقلوبها[٤]، وفيه تقديم الميم الشفوية على اللام الجانبية.

الدِّمقسِ ← المِدَقس ء ـــَ د د ـــِ م ـــَ ق س ـــُ ← ء ـــَ ل م ـــِ د ق ـــَ س ـــ

تخلّص من الصوت التشديد المُضعَّف بتقديم الميم وهو من الأصوات المتوسطة.

ـــ أغرل[٥] أرغل ء ـــَ غ ر ـــَ ل ← ء ـــَ ر غ ـــَ ل

(ص + ح ق + ص) (ص + ح ق + ص) ← (ص + ح ق + ص)

في هذا المثال التقى صامتان من الأصوات المتوسطة (وهما الراء واللام في مقطع واحد مغلق من النوع الثالث بحركة قصيرة فلجأت اللغة إلى إقامة عازل، كما يسميه فندريس[٦] بين الصوتين المتقاربين هو صوت الغين

---

(١) اقتصرتُ على الأمثلة التي ذكرها أبو عبيدة في النقائض أما ما ذكره رواة النقائض في بعض تعليقاتهم قياسًا على ما ذكره أبو عبيدة فلم أدرجه هنا حتى لا يتضخم البحث مثال ذلك ما قاله أبو عبيد الله : يقال تزحلف وترلحف (تقدم اللام وهي من المائعات على الحاء وهي حلقية) انظر: النقائض ٥٦٩/٢، وما ذكره أبو عثمان : يقال حد الأمر بزامحه وبزابجه أي بأجمعه (تقدم الميم من الموائع على الجيم وهو صوت مزدوج انظر: النقائض ٢٥١/١ وواضح أنهم يتابعون أبا عبيدة في منهجه.

(٢) العُطُل : الخلو من القلادة، انظر: اللسان مادة عطل ٢٩٩٨،٤ ويقال قوس عُلُط وعُطُل، لا وتر فيها، وكذلك ناقة عُلُط وعُطل انظر: المزهر ٤٧٧/١.

(٣) من أسماء الداهية انظر: الأمثلة.

(٤) النقائض ١٤٣/١.

(٥) العُرْلة: القُلْفة كالرُّعلة، والأرغل، الأقلف وهو مقلوب الأغرل. انظر: اللسان (ر غ ل) ١٦٨١/٣، ١٦٨٢، وكذلك مادة (غ ر ل).

(٦) انظر: التطور اللغوي ٧٢.

تَذُبَّ ← تُبذُّ   ت ـــَـ ذ ـــُـ ب ب ـــُـ ← ت ـــَـ ب ـــُـ ذذ ـــُـ

تَضِبُّ ← تَبِضُّ   ت ـــَـ ض ـــِـ ب ب ـــُـ ← ت ـــَـ ب ـــِـ ض ض ـــُـ

الأشابة ← الأباشة ء ـــُـ ش ـــَـ ـــَـ ب ـــَـ هـــ ← ء ـــُـ ب ـــَـ ـــَـ ش ـــَـ هـــ

الضَّبُّ ← البض ء ـــَـ ض ض ـــَـ ب ب ـــُـ ← ء ـــَـ ل ب ـــَـ ض ض ـــُـ

وفي هذه الأمتلة تقدم صوت الباء وهو من حروف الذلاقة على أصوات مختلفة وهي الذال الأسانية والضاد المطبقة والشين المتمشية وكان بعضها مُشَدَّدًا أو مصحوبًا بالهمزة.

الصواعق←الصواقع (لغة تميم) ص ـــَـ و ـــَـ ـــَـ ع ـــِـ ق← ص ـــَـ و ـــَـ ـــَـ ق ـــِـ ع

ـــ اللغة الفصحى مالت إلى التفريق بين الأصوات المطبقة المهموسة وهما الصاد والقاف بعازل مجهور مرقق هو العين.

ـــ لغة تميم قدمت صوت القاف المستعلي (يخرج من اللهاة قرب الطبق) على صوت العين المرقق وهو اتجاه عكس قانون القلب المكاني مما يمكن أن نسميه زيادة تفصح.

ونسجل هنا ملاحظة لأبي عبيدة، حول ظاهرة، القلب المكاني حيث اهتمَّ بهذه الظاهرة عند جرير، ولاحظ أنه قد ترك لغة تميم الصواقع وقال الصواعق على اللغة الفصحى، وإذا تتبعنا ملاحظات أبي عبيدة حول جرير سنجد أنه يشير إلى أن هذا الشاعر كان يتحرى اتجاه الفصحى أو يبالغ في طلبها فيقع في القياس الخاطئ أحيانًا وهذا سيتضح لنا من خلال معالجة القضايا الصوتية المختلفة.

ثانيًا – القلب المكاني في الكلمات المهموزة والمعتلة[1]

الأمثلة:

جاء في باب المقلوب في الغريب المصنف[2] عن أبي عبيدة:

(أشاف الرجل على الأمر، وأشفى؛ إذا أشرف عليه، واعتام؛ إذا اختار، واعتاقه الشيء واعتقاه إذا حبسه، وفي موضع آخر[3] قال أبو عبيدة: رَجُلٌ هاعٌ لاعٌ وهائع لائع ، كما

(١) ذهب شارح الشافية إلى كثرة وقوع القلب في المعتل والمهموز وكذلك مذهب العلماء انظر: شرح الشافية ٢١/١.

(٢) الغريب المصنف ٣ ٦٤٨ وانظر: المزهر ٤٧٩/١.   (٣) الغريب المصنف ٦٥١/٣ والمزهر ٤٨٠/١.

جاء عنه في النقائص[١] شَمْلٌ وشَمَال وشَمْأل وشَأْمَل، وكذلك ، مَلأك، ومَألك، والهمـزة فيه مخلفة[٢].

خطوات القلب:

١ـ في المعتل: أشتفى ← أشاف[٣] ء ـَ ش ف ـَ ـَ ← ء ـَ ش ـَ ـَ ف ـَ

تم نقل الحركة الطويلة من نهاية الكلمة إلى وسطها فبدلاً من أن تتبع الفتحة الطويلة عين الكلمة تابعت فاء الكلمة وترَّتب على ذلك تحويل الفعل الناقص إلى فعل أجوف.

ـ عمى ← اعتمى ← اعتام[٤].

بناء صيغة افتعل قلب مكاني ء ـِ ع ت ـَ م ـَ ـَ ← ء ـِ ع ت ـَ ـَ م ـ

تم في هذا المثال تقصير حركة الصامت الأخير والتعويض عنه بإطالة حركة السابق عليه وفقًا لقانون الحذف والتعويض. وتَرَتَّبَ على ذلك أيضًا تحويل الفعـل النـاقص إلى فعـل أجوف.

ـ عاق ← اعتاق ← اعتقى[٥].

بناء صيغة افتعل / قلب ء ـِ ع ت ـَ ـَ ق ـَ ← ء ـِ ع ت ـَ ق ـَ ـَ

ـ تم في هذا المثال تقصير الحركة الطويلة في وسط الكلمة والتعويض عن ذلك بإطالـة الحركة للصامت الأخير وتَرَتَّب على ذلك تحويل الفعل الأجوف إلى فعلٍ ناقص ويظهر ممـا تقدّم أن القلب في هذه الأمثلة اعتمد بشكل أساسي على موقع الحركة وكميتها وهذا مـا

---

(١) النقائص ١ /٣٣. (٢) المجاز ١ /٣٥.

(٣) جاء في اللسان مادة (شفي) وأشاف على الشيء وأشفى أي أشرف عليه وفي مادة (شوف) وأشـاف علـى الشيء هو قلب أشفى عليه انظر اللسان ٤ /٢٢٩٤و ٢٣٦١.

(٤) جاء في اللسان : واعتمى الشيء، اختاره، وهو قلب الاعتيام ، انظر: مادة عمى ٤ /٣١١٨ وهـذا يؤكـد انسجام القوانين الصوتية عند أبي عبيدة حيث ينطبق على قانون المخالفة والقلب ضرب من ضروبها.

(٥) اعتقى الشيء، احتبسه ، مقلوب عن اعتاقه انظر: اللسان مادة عقق ٤ /٣٠٥٢ وناقش صاحب اللسان رأيًـا لأبي عبيدة يبين أن أصل المادة يمكن أن يكون من عقّق، وقد فك التضعيف بحـرف لـين فأصـبح عَقَّـى، واستشهد بقول المتنخل الهذلي : (البسيط)

عقّوا بسهم فلم يشعر به أحدٌ ثم استفاءوا وقالوا: حبّذا الوضَحُ

ذكره " مالمبرج " بأن القلب يقع أحيانًا باعتبار الحركة[١].

٢ ـ القلب في المهموز

هائع من الهيع ولائع من اللوع[٢]:

هـ ـَـ ء ـِ ع ـُ ن ← هـَ ـَ × ـ ع ـُ ن ← هـَ ـَ ع ـُ ن

حذف الهمزة وحذف حركتها

ل ـَ ـَ ء ـِ ع ـُ ن ← ل ـَ ـَ × ـ ع ـُ ن ← ل ـَ ـَ ع ـُ ن

حذف الهمزة وحذف حركتها:

روى أبو عبيدة (هاعٌ لاعٌ) بالرفع، وتفسيره عند العلماء أنه من باب تخفيف الهمزة[٣] وحذف حركتها فيكون عند غيره من المقلوب وعنده من باب تخفيف الهمزة.

١ ـ شمل ← شمال ← شمأل شامل ← شأمل

مد الحركة القصيرة   نبر الحركة الطويلة قلب

٢ ـ ش ـَ م ـَ ل ← ش ـَ م ـَ ـَ ل ← ش ـَ م ء ـَ ل

٣ ـ ش ـَ ـَ م ـَ ل ← ش ـَ ء م ـَ ل

ملك ← مالك ← مألك

ملاك ← ملأك

ـ مد حركة فاء الكلمة نبر الحركة الطويلة

ـ مد حركة عين الكلمة

في المثالين السابقين يفهم من عرض أبي عبيدة أنه ليس من باب المقلوب ولكنه نوع من همز ما لا يهمز زيادة في التفصح حيث أطيلت الفتحة القصيرة لفاء الكلمة فصارت شَمَل شَامل وملك، مالك ثم نُبرتْ بعد ذلك، ومرة أخرى كان تطويل الحركة لعين الكلمة فصارت شمل شمال وملك ملاك، ثم نُبرتْ الحركة الطويلة بعد ذلك فيما سماه أبو عبيدة بالهمزة المجتلبة وقد آثرت أن أذكر هذه الأمثلة في باب القلب لكثرة ما دار حولها من خلاف بين العلماء، فأردت أن أقدم حلا صوتيا لهذه المشكلة من خلال رؤية أبي عبيدة .

---

(١) الصوتيات ١٢١.

(٢) انظر: شرح الشافية ٢١/١ والمزهر ٦٠١/١.

(٣) انظر آراء العلماء في عرض شارح الشافية بما فيها رواية الرفع، الشافية ١ ٢٥.

٤ـ قوانين التخفيف والحذف

قانون التخفيف في الصوامت والحركات

أطلق أبو عبيدة مصطلح التخفيف(١) ، وأورد به حذف صامت أو حركة من بنية الكلمة، وهو ما نطلق عليه قاعدة الحذف(٢) ، وأوضح أبو عبيدة من خلال الأمثلة أن هذا القانون يعمل عندما تتوفر له بعض الأسباب منها:

١ ـ كراهية التضعيف والتثقيل أو لصعوبة الحرف ذاته(٣).

٢ ـ التقاء صوتين متلين فيلقون أحدهما تخفيفًا.

٣ ـ التقاء ساكنين أحدهما صوت مد ولين والآخر مُدْغَمٌ.

٤ ـ ظاهرة القُطْعَة،والترخيم.

٥ ـ خصائص لهجية عند القبائل.

وقد عرضتُ لأنماط عمل هذا القانون من خلال رؤية أبي عبيدة ومناقشاته وتوصل إلى أهمية هذا القانون عنده من خلال عدة نقاط:

١ـ فَسّر أبو عبيدة بهذا القانون الصوتي كثيرًا من الظواهر اللغوية مثل ظاهرة التداخل اللغوي المترتب على تخفيف الهمزة(٤).

٢ـ وَجَّه كثيرًا من القراءات القرآنية التي احتدم الجدل حولها مثل توجيه لكسر النون في الفعل المسند إلى واو الجماعة والمضاف إلي ياء المتكلم في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**فَبِمَ تُبَشِّرُونَ**﴾ [الحجر: ٥٤]، أو ما جاء بكسر الحرف الأول مثل (ظِلْتَ وقِرْن).

٣ـ قدّم تفسيرًا عميقًا لبعض الظواهر الإعرابية مثل حذف التنوين من المنادي، العلم المفرد، فيما يطلق عليه النحاة البناء على الضم.

٤ـ رصد وتحليل بعض الظواهر اللغوية من خلال قانون التخفيف مثل حذف ياء

---

(١) انظر: الأمثلة. (٢) القوانين الفنولوجية ٧٤.

(٣) مثل صوت الهمزة قال ابن الحاجب : اعلم أن الهمزة كما كانت تجري مجرى التهوع ثقلت بذلك على لسان المتلفظ بها فخففها قومٌ، وهم أكثر أهل الحجاز، ولا سيما قريش رُوي عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: نزل القرآن بلسان قريش وليسوا بأصحاب نبر، ولولا أنّ جبرائيل عليه السلام نزل بالهمز على النبي ﷺ ما همزنا، وحققها غيرهم والتحقيق هو الأصل، كسائر الحروف، والتخفيف استحسان انظر: الشافية ٣/٣١ و ٣٢.

(٤) انظر: تفصيل ذلك في الفصل الخاص بالهمزة.

الإضافة وإثباتها عند القراء، وجود ظاهرة سكون العين وتحركها في الاسم وكذلك في الفعل المبنى للمجهول بالإضافة إلى رصد ظاهرة الترخيم.

أولاً– التخفيف في الصوامت:

١ــ تخفيف الصامت المُثَقَّل بحذفِ الخالي من الحركة.

مثال: قال أبو عبيدة[1] (والسَّلْوى: طائرٌ يظنون أنه السُّمَّاني وعلى التخفيف سُــمَاني، تقول الصبيان ــ إذا نصبوا له يستدرجونه ــ: سُمَاني لُبَادي؛ أي يلبد بالأرض لا يبرح).

خطوات التخفيف

سُمَّاني ← سُمَاني

س ـــُ م م ـــَ ـــَ ن ـــَ ـــَ ← س ـــُ م ـــَ ـــَ ن ـــَ ـــَ

ــ حذف صامت الميم الأول الخالي من الحركة في لغة الأطفال.

ــ ساعد على عمل قانون التخفيف الاتباع في وزن (لُبَادي).

٢ ــ التخفيف بحذف أحد المثلين وفيه اتجاهان:

الأول- حذف الصامت المتحرك مع حركته.

الثاني- حذف الصامت ونقل حركته.

الأمثلة:

مثال ١ - قال ــ تعالى ــ **﴿الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾** [طــه: ٩٧].

قال أبو عبيدة[2]: (يفتح أوله قومٌ، إذا ألقوا إحدى اللامين ويجزمون اللام الباقية؛ لأنهم يدعوها على حالها في التضعيف قبل التخفيف كقولك: ظَلْت[3]، وقومٌ يكسرون اللام فيقولون: ظِلْتُ عليه[4].

وقد تحذف العرب التضعيف قال: (الوافر)

خلا أنّ العِتَاقَ من المطايا أَحَسْنَ به فَهُنَّ شُوسُ

أراد أحْسَسْن به.

---

(١) المجاز ٢٢٩/١و ٢٣٠. (٢) المجاز ٢٨/٢. (٣) هي قراءة سبعية.

(٤) هي قراءة عبد الله بن مسعود، وقتادة والأعمش، ويحيى بن يعمر وقرأ أُبَيٌّ ظَلَلْتَ بلامين انظر: مختصر في شواذ القرآن ٩٢.

ريجس ١٩٦٢ .

خطوات التخفيف والتحويل

ــ الحذف والنقل:

ــ أَحْسَسْنَ ← أَحَسْنَ ءـــَ ح ســـَ س ن ـــَ ← ءـــَ ح × ـــَ س ن ـــَ حذف السين الأولى.

ءـــَ حـــَ س ن ـــَ [نقل حركة السين إلى الحاء]

ــ ظَلِلْتُ ← [ظَلْتُ] أو [ظِلْتُ]

[ظَلِلْتُ] ظ ـــَ ل ت ـــُ ← ظ ـــَ × ـــِ ل ت ـــُ [ظ ـــِ ل ت ـــُ (ظِلْتُ)]

١ـ حذف اللام الأولى وأبقى حركتها

٢ـــ نقل حركة اللام المحذوفة إلى فاء الكلمة في مماثلة رجعية اتجاه الحذف فقط:

ظ ـــَ ل ـــِ ل ت ـــُ ← ظ ـــَ × ـــِ ل ت ـــُ [(ظَلْتُ) ظ ـــَ ل ت ـــُ]

ــ حذف اللام الأولى وحذف حركتها.

ــ الحذف والمعاقبة

(أ) جبلاً ← جُبُلاً

ج ـــِ ب ـــِ ل ل ـــَ ن ← ج ـــِ ب ـــِ × ل ـــَ ن

ج ـــُ ب ـــُ ل ـــَ ن

ــ حذف اللام الساكنة

---

(١) البحار ١٣٧/٢ وجاء في السبعة ٥٢٢ بكسر القاف هي قراءة ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وقرأ نافع وعاصم بفتح القاف. السابق نفسه.

(٢) البحار ١٦٤/٢ وقد جاءت الكلمة في سورة يس /٦٢ قال ابن مجاهد : واختلفوا في التخفيف والتثقيل من قوله تعالى (جبلاً كثيرًا) فقرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي مضموم الجيم والباء مخففة اللام. وقرأ أبو عمرو وابن عامر (جُبْلاً) بتسكين الباء وضم الجيم وتخفيف اللام. وقرأ نافع (جِبلاً) بتسكين الباء وضم الجيم وتخفيف اللام. وقرأ نافع (جِبِلاًّ) بكسر الجيم والباء، ومشددة اللام انظر: السبعة ٥٤٢.

ـ المعاقبة بين الكسرة والضمة

(ب) جبِلاً ← جُبْلاً ج ـــِ ب ـــِ ل ل ـــَ ن ← ج ـــِ ب ـــِ × ل ـــَ ن
ج ـــُ ب ل ـــَ ن

١ـــ حذف اللام الساكنة (حذف أحد المثلين).

٢ـــ حذف حركة الباء (تخفيف الحركة بحذفها).

٣ـــ المعاقبة بين الكسرة والضمة في فاء الكلمة.

ومما تجدر ملاحظته أن أبا عبيدة قد ذكر في موضع آخر أنه قد جاء في القرآن الكريم ضَلَلْتُ وفَرَرْت، والمضارع منها تَضِلُّ تقدير تَفِرُّ، أما ضَلِلْتُ[1] تَضَلُّ في تقدير مَلِلْتُ تَمَلُّ وهما لغتان[2].

ويفهم من عرض أبي عبيدة هذا؛ أن القانون قد عمل في ظَلَلْتُ و لم يعمل في ضَلَلْتُ وكذلك الحال بالنسبة لـ " قرِن وفرِن " وهذا يوضح لنا بجلاء الإدراك البعيد لقواعد الاختيار اللغوي التي لا تقوم على الحتمية واللزوم في كل مظاهرها بل تخضع للاختيار والاستحسان، ومن الطريف في شواهد عمل القانون وتوقف عمله هو التطابق شبه التام بين ظَلِلْتُ وضَلِلْتُ وكذلك [قرِن وفرِن] ومع ذلك يعمل في هذه ولا يعمل في تلك.

٣ ـ (حذف أشباه الصوامت)

مثال: قال ـــ تعالى ـــ: ﴿الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ﴾ [يس: ٣٣]، قال أبو عبيدة: (مخففةً، والمَيِّتُ، وقال قومٌ: إذا كان قد مات فهو خفيف، وإذا لم يكن مات فهو مثقل، وقومٌ يجعلونه واحدًا، والأصل الثقيل، وهذا تخفيفها، مجازها مجاز هَيْنٌ، ولَيْنٌ كما قال ابن الرَّعْلاء الغساني: (الخفيف)

لَيْسَ مَنْ ماتَ فاستراحَ بِميْتٍ إنـما المَيْتُ ميِّتُ الأحيـاءِ

فجعله خفيفًا جميعًا، موضع قد مات، وموضع: لم يمت ثقَّل الخفيف)[3] وقال في موضع آخر في قوله ـــ تعالى ـــ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣]. فقال: مخففة، وهي تخفيف مَيِّتة ومعناهما واحد خُفِّفت أو ثُقِّلت[4]، وذكر إلى جانب ذلك كلمات

---

(١) جاءت بها القراءة في الشاذ انظر: مختصر في شواذ القرآن ٤٣.
(٢) المجاز ١/١٩٣.
(٣) المجاز ١/١٦٠، ١٦١.
(٤) المجاز ١/١٤٩، ١٥٠.

أحرى مثل ضَيِّقٌ[١] وهَيِّنٌ وَلَيِّنٌ والتي تصير بعد التخفيف إلى ضَيْق، وهين ولين، وقد جمع السيوطي[٢] معظم هذه الكلمات في باب واحد وأورد قول الأصمعي بأنها خففت إيجازًا واختصاراً وكذلك قول ابن خالويه والأصل في طَيْف طَيِّف فأسقطوا الياء وكلاهما يتفق مع ما قاله أبو عبيدة.

خطوات التخفيف:

مَيِّتٌ ← مَيْتٌ م ـَ ي ي ـِ ت ـُ ن ← م ـَ × ـ ي ت ـُ ن

م ـَ ي ت ـُ ن

ـ حذف الياء (وهي من أشباه الصوامت) وكذلك حركتها تخفيفًا.

ـ الصيغتان المثقلة والمخففة لا تفترقان في المعنى.

٤ ـ حذف أحد المثلين إذا سُبِقَ بحرف مَدٍّ ولين

مثال: قال ـ تعالى ـ: **﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾** [الحجر: ٥٤]، قال أبو عبيدة[٣]: (قومٌ يكسرون النون[٤] ، وكان أبو عمرو يفتحها، ويقول: إنْ أُضيفت لم تكن إلا بنونين؛ لأنها في موضع رفع، فاحتج من أضافها بغير أن يُلحق فيها نونًا أخرى بالحذف -حذف أحد الحرفين- إذا كانا من لفظ واحد، قال أبو حيَّة النميري: (الوافر).

أبالموت الذي لابُد أنِّي مُلاقٍ لا أباكِ تُخَوِّفِيني

و لم يقل تخوفينني (لا أباك: أي لا أبا لك ، فجاء بقول أهل المدينة)

وقال عمرو بن معد يكرب: (الوافر)

تَراه كالثُّغام يُعَلُّ مِسْكًا يَسوءُ الفالياتِ إذا فَلَيْنِي

أراد فلَيْنني فحذف إحدى النونين).

وقال أبو عبيدة في موضع آخرـ تعقيبًا على هذه القضية ذاتها: (وهذا مجاز ما قرأته

---

(١) سورة النحل /١٢٧ (ولا تك في ضيق مما يمكرون) قال أبو عبيدة : مفتوح الأول هو تخفيف ضيِّق بمنزلة ميِّت وهيّن وليِّن.. انظر: المجاز ١/٣٦٩ و ٢/٧٦و ١٦٤. وانظر: قراءات التشديد والتخفيف في ضيق السبعة ٢٦٨.

(٢) المزهر ٢/٢٧٢.

(٣) المجاز (٣٥٢/١) ٣٥٣.

(٤) قرأ نافع وابن كثير كسرًا في (تُبَشِّرُونِ) غير أن ابن كثير شدد النون وخففها نافع.وقرأ أبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي (فبم تبشرونَ) نصبًا انظر: السبعة ٣٦٧.

الأئمة بلغاهَا فجاء لفظه على وجهين أو أكثر من ذلك قرأ أهل المدينة (**فَــبِمَ تبــشرونِ**) فأصافوا بغير نون المضاف بلغتهم..)[١].

وقال في مناسبة أخرى على نفس القضية: (وقد سمعت من العرب من إذا اجتمعت نونان ألقى إحداهما)[٢].

وفي قوله ــ تعالى ــ: ﴿**قَالَ أَتُحَاجُونِّي فِي اللَّهِ**﴾ [الأنعام:٨٠].

قال أبو جعفر النحاس[٣]: قال أبو عبيدة: (وإنما كَرِهَ التثقيل من كرهه[٤] للجمع بــين ساكنين، وهما الواو والنون فحذفوها) وقد ردَّ أبو جعفر هذا الرأي وقال: ولا ينكر الجمع بين ساكنين ؛ إذا كان الأول حرف مد ولين والثاني مُدغما).

خطوات التخفيف

أتحاجونني ← أتحاجوني

ج ــُـ ــُـ ن ــَـ ن ــِـ ــِـ ← ج ــُـ ــُـ ــِـ ن ــِـ

ج ــُـ ــُـ ن ــِـ ــِـ ← ج ــُـ ــُـ ن ــِـ ــِـ

ــ حذف أحد المثلين سواء كان مُدغمًا في مثله أو محركًا

تبشرونني تبشرونِّي ← تبشرون

ر ــُـ ــُـ ن ــَـ ن ــِـ ــِـ ← ر ــُـ ــُـ × ــــ ن ــِـ ــِـ

ر ــُـ ــُـ ن ــِـ

ــ حذف نون الرفع + الحركة التابعة لها.

ــ قصر الحركة الطويلة المتصلة بنون الوقاية.

ونسجل على هذه الجزئية الملحوظات التالية:

١ــ لم يُضَعِّف أبو عبيدة أيًا من القراءتين، ولكنّه احتجّ لمن كسر النون لأن أبا عمرو قد أغلظ القول لمن كسر النون، حتى أن ابن النحاس قد حكى عنه أن كسرها لحن.

---

(١) المجاز ١٣/١. (٢) المجاز ٣٥٣/١. (٣) إعراب القرآن ٧٨/٢.

(٤) قرأ نافع وابن عامر (أتحاجُوني) الأنعام ٨٠، (تأمُرُونِي) الزمر /٦٤ ، مخففتين وقرأ الباقون مُــشَدَّدَتين انظــر: السبعة ٢٦١.

٢ـ أكدّ أبو عبيدة، أن ذلك لغة من لغات العرب، وعليها قراءة أهل المدينة، وجاء بالمنثور من كلام أهل المدينة والمنظوم من غيرهم.

٣ـ فسَّر قراءة الأئمة بقانون الحذف والتخفيف، ولم يُرِدْ بقوله (كره التثقيل من كرهه..) أن يجعل قانون الحذف مُلْزمًا في كل مثلين سُبقا بحرف مد ولين ولكن منطوق عبارته يفيد أن عمل القانون اختياريًا أي كره التثقيل من لغته التخفيف أما من لغته التثقيل فلا يلزمه الحذف ولذلك كان إنكار أبي جعفر النحاس لرأي أبي عبيدة في غير محله.

٥ ـ حذف الصامت الأخير من الكلمة قَطْعَةً أو ترخيمًا

الأمثلة: مثال١ – قال جرير: (الوافر)

وحَط المِنقَريُّ بها فَقَرّت على أم القفا والليل عاتِ

قوله: والليل عاتِ، يريد والليل عاتمٌ[1].

مثال٢ – وقال جرير أيضًا: (الكامل)

هذا تَقَدُّمنا وزجريَ مالكا لا يُرْدينّك حَيْنُ قينِكَ مالِ

قوله: (مالِ) يريد مالك بن حنظلة[2].

مثال٣ – قال قعنبُ[3]: (رَأْسَكَ مازِ والسيفَ)

أراد يا مازنيُّ رأسك والسيف[4] .

عاتِمُ ← عاتِ ع ــَـ ــَـ ت ــِـ م ــُـ ← ع ــَـ ــَـ ت ــِـ ــِـ

١ـ حذف الصامت المتطرف + حركته.

٢ـ إشباع القافية.

مازِنيُّ ← مازنُ ← مازِ

م ــَـ ــَـ ز ــِـ ن ــِـ ي ي ــُـ ← م ــَـ ــَـ ز ــِـ ن ــ ×× ــُـ (حذف ياء النسب المشددة)

م ــَـ ــَـ ز ــِـ ن ــُـ ← م ــَـ ــَـ ز ــِـ

---

(١) النقائض ٢/٧٧٨.

(٢) السابق ١/٢٩٦ ومعنى البيت أي هذه موعظتي لكم وهذا زجري.

(٣) فارس من فرسان يربوع قوم جرير.

(٤) السابق ١/٢٠٢.

مثال ٤ – قال الفرزدق: (الكامل)

فَلْيَبْرُكَنْ يا حِقُّ إن لم تنتهوا   من مالكِيَّ غُدانةً كَلْكلُ

حِقَّةُ: امرأة من بني غدانة، ولكنه رَخَّم[1].

خطوات التخفيف:

مَالكُ ← مالِ م ـَـ ـَـ ل ـِـ ك ـُـ م ـَـ ـَـ ل ـِـ

ــ حذف الصامت المتطرف + الحركة.

حِقَّةُ ← حِقُّ ح ـِـ ق ق ـَـ ت ـُـ ← ح ت ق ق ـَـ × ـُـ حذف صامت

← ح ـِـ ق ق ـُـ مماثلة رجعية

ونلحظ على هذا النموذج ما يلي:

١ــ أن شواهد حذف الصامت المتطرف أو القطعة قد جاءت نثرًا وشعرًا على لسان بني يربوع.

٢ــ صرّح أبو عبيدة في شاهد الفرزدق بظاهرة الترخيم و لم يصرح بها في حي بني يربوع مما يرجع لدينا تفشي هذه الظاهرة فيهم وعلى هذا لاحظ عملية الحذف والاختصار عندهم على كونها قطعة أو ظاهرة لهجية أما عند غيرهم فسماها ترخيمًا.

ــ حذف التنوين[2]:

ومما يلحق بهذه الظاهرة ظاهرة ترك التنوين عند بعض القبائل، قال أبو عبيدة: [3] (بعض العرب يقول: يا قومِ يكسرها ولا يطلق ياء الإضافة، كما حذفوا التنوين من نداء المفرد قالوا يا زيدُ أقبل)

وقال الكميت: (الطويل)

---

(١) النقائض ٢٠٢/١ ومعنى لأبْرُكَنَّ بصدري على قومك إن لم ينتهوا.

(٢) بين ابن عصفور الإشبيلي أن العرب قد تزيد النون فيما لا ينصرف والاسم المبنى للنداء، وفي بعض الأسماء والأفعال للترنم كما أنها قد تحذف النون لالتقاء الساكنين أو إجراء الوقف مجرى الوصل والإضافة ومثل للحالتين (زيادة النون وحذفها) من القراءات والشعر انظر: في أمثلة الزيادة ضرائر الشعر ٢٢) ٣٢ وفي أمثلة النقصان السابق ١٠٥) ١١٥ ويرى أبو عبيدة أن ذلك إنما يكون في لغتين من لغات العرب.

(٣) المجاز ١٥٩/٢.

إذا نَحْنُ في تَعْدَادِ خَصْلِكَ لَمْ نَقُلْ خسا أوزكا أعْيَيْنَ منا المُعَدِّدا

قال أبو عبيدة[1]: (تركُ التنوين في خسا وزكا أحسن وقد ينون أيضًا)

ح ـَـ س ـَـ ن ← خ ـَـ س ـَـ ـَـ

حذف النون وعوض عنها بإطالة الحركة.

زيدٌ ← زيدُ (ز ـَـ ي د ـُـ ن) ← ز ـَـ ي د ـُـ

حذف النون و لم يعوض عنها.

ثانيًا - التخفيف في الحركات

١- تقصير الحركة الطويلة مراعاة للفاصلة القرآنية أو القافية المقيدة

في الشعر أو من باب حمل الوقف على الوصل وقد عبر أبو عبيدة عن ذلك بقوله: (كفُّ الياءات المكسورة والمفتوحات من الأرداف)[2].

الأمثلة:

١- قال ــ تعالى ــ: **﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾** [الفجر: ٤]، قال أبو عبيدة: [3] العرب تحذف هذه الياء في موضع الرفع ومثل ذلك (لا أدر).

٢- وقال ــ تعالى ــ: **﴿قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾** [يس: ٢٠]، قال: (بعض العرب يقول يا قومِ يكسرها ولا يطلق ياء الإضافة..)[4] وبعضهم ينشد بيت زهير: (الطويل)

تَبَيَّنْ خليلِ هل ترى من ظعائن تَحَمَّلْنَ بالعلياء من فوق جُرْثُم

ثم قال: تكفُّ ياء الإضافة ها هنا كما تكفها في قوله ــ تعالى ــ: **﴿وَلا يُنْقِذُونِ﴾** [يس: ٢٣]، وفي آية أخرى: **﴿رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾** [الفجر: ١٥]، **﴿رَبِّي أَهَانَنِ﴾** [الفجر: ١٦].

---

(١) السابق ٢/٢٩٧ وانظر: مادة خسا في اللسان ٢/١١٥٩.

(٢) المجاز ٢/١٥٩ وكتب أحد قُرّاء المجاز في الحاشية بجانب كلمة الأرداف اللواتي لسن من الأصل وهن زوائد.

(٣) المجاز ٢/٢٩٧ ومذهب الفرّاء أن كل ياء أو واو تسكنان ، وما قبل الواو مضموم؛ وما قبل الياء مكسور؛ فإن العرب تحذفهما وتجتزئ بالضمة من الواو وبالكسرة من الياء، وأسماه ابن عصفور الاكتفاء بالحركات عن حروف المد واللين المجانسة لها الكائنة في أواخر الكلم.. وانظر: ضرائر الشعر ١١٩ ، ١٢٠ والحاشية رقم ١ بالمرجع السابق .

(٤) المجاز ١/١٦٠.

قال الأعشى: (المتقارب)

ومِن كاشحٍ ظاهرٌ غِمْرُه إذا ما انتسبتُ لَه أنْكَرَنْ

وقال لبيدُ بن ربيعة: (الرمل)

وَقَبيل من لكيز شاهدٌ رَهْطُ مَرْجومٍ لَه أَنْكَرَنْ

أراد المُعلَّى[1].

٣ــ قال ـــ تعالى ـــ: ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّه﴾ [يوسف: ٣١]، قال أبو عبيدة[2]:

(الشين مفتوحة[3]، ولا ياء فيه، وبعضهم يُدخل الياء في آخره[4] كقوله: (الكامل)

حاشى أبي ثوبانَ أنَّ به ضنًّا عن المَلْحَاة والشتمِ

خطوات قصر الحركة الطويلة:

يسري ← يسرِ يـ ـــَ س ر ـــِ ـــِ ← يـ ـــَ س ر ـــِ

قَصر الحركة الطويلة مراعاة للفاصلة القرآنية.

ومن ذلك الأمثلة الأخرى:

لا أدري ← لا أدرِ ، أكرمني ← أكْرَمَنِ أهـانني ← أهـانن فـاسمعوني ← فاسمعَون

المُعَلَّى ← المُعَلّ م ـــُ ع ـــَ ل ل ـــَ ـــَ ← م ـــُ ع ـــَ ل ـــَ

أنكرني ← أنكـرن ء ـــَ ن ك ـــَ ر ـــَ ن ـــِ ـــِ ← ء ـــَ ن ك ـــَ ر ـــَ ن

ــ تقصير الحركة الطويلة في القافية المقيدة وحذف حركة الحرف الأخير

يا قومي ← يا قومِ حاشي ← حاش

خليلي ← خليلِ ح ـــَ ـــَ ش ـــَ ـــَ ← ح ـــَ ـــَ ش ـــَ

---

(١) ٢/١٥٩ و ١٦٠.

(٢) المجاز ١/٣١٠ وقال: معناه معنى التنـزيه والاستثناء من الشر يقال حاشيته، استثنيته.

(٣) هي قراءة الستة (حاش لله) بغير ألف في آخره.

(٤) هي قراءة أبي عمرو وحده (حاشا لله) بألف وقال ابن مجاهد: حدثني عبيد الله بن علي قال حدثنا نصر بن علي قال أخبرنا الأصمعي قال سمعت نافعًا يقرأ (حشا لله) فيها ألف ساكنة. انظر: السبعة ٣٤٨.

ل ـــِ ـــِ ← ل ـــِ [حمل الوصل على الوقف].

ونسجل على هذه الجزئية الملحوظات التالية:

١ـــ جاء الحذف على ثلاثة أنماط:

ـــ حذف الياء والاجتزاء عنها بكسرة ما قبلها وقفًا ووصلاً.

ـــ حذف الألف اللينة والاجتزاء عنها بفتحة ما قبلها.

ـــ حذف الحركة الطويلة (ياءً كانت أو ألفًا) وتسكين ما قبلها ويكون ذلك في القافية المقيدة.

٢ـــ قال الفراء وكذلك ابن عصفور أن ذلك الحذف يكون في الواو والياء ولم يقدما أيَّة أمثلة لحذف الواو نسجل هنا دقة أبي عبيدة في قوله (كف الياءات المكسورات)[١].

٣ـــ قال سيبويه[٢] وتابعه كثيرٌ من النحاة أن حذف الياء في الوصل ضرورة في الشعر وقال أبو عبيدة بأنها لغة للعرب وخالفهم أبو عبيدة بطريق غير مباشر فجاء بحذف الياء من القراءات القرآنية وأثبت الياء في شاهد الشعر وذلك واضح بشكل جلي في كلمة (حاشي).

٢ـــ حذف حركة الصامت تخفيفًا على لغات بعض القبائل في عين الكلمة:

ذهب أبو عبيدة إلى أن (أهل الحجازُ يُفخمونَ الكلام كله)[٣] وفي بعض الآثار، أن القرآن قد نزل بالتفخيم، وقد فسر الدكتور أحمد علم الدين هذه المقولة بقوله[٤]: (المقصود، هو نطق الحركات كاملة دون الجور عليها بالتسكين، وتلك سمة حجازية) وبين العلماء أن ظاهرة حذف الحركات من عين الكلمة، هي خاصية تميمية، وقد تشاركها بعض القبائل البدوية من قيس وأسد في ذلك[٥] وقد وصف أبو عبيدة هذه الظاهرة على أساس أنها تنوع لهجي وأن ساكن العين ومتحركها سواء على مستوى الأداء الدلالي، إلا إذا خصصت كل كلمة منها بمعنى في مرحلة لاحقة. ونلحظ أنه جمع بين معالجة هذه الظاهرة في الشواهد على مستوى القراءات واللهجات ونعرض لبعض الأمثلة التي سجلها أبو عبيدة في إطار قانون التخفيف.

---

(١) انظر: المجاز ١٥٩/٢) ١٦٠ وانظر: ضرائر الشعر ١١٩) ١٢٢. (٢) الكتاب ٩/١.

(٣) الإتقان ٩٥/١ (٤) اللهجات في التراث ٢٤٧/١. (٥) السابق ٢٥١/١.

الأمثلة:

مثال ١ – قال ـــ تعالى ـــ: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ [الأعراف: ١٦٩]، قال أبو عبيدة[١]: (ساكن ثاني الحروف، وإن شئت حَرّكت الحرف الثاني، وهما في المعنى واحد، كما قالوا أَثْر وأَثَر وقومٌ يجعلونه إذا سكنوا ثاني حروفه، إذا كانوا مشركين، وإذا حركوه جعلوه خلفًا صالحًا) وجاء عنه أيضًا[٢] وَقْلٌ وَوقَلٌ، ونَدْسٌ ونَدَسٌ، وجَدْثٌ وَجَدَثٌ، وَفَرْدُ وَفَرَدُ.

مثال٢ – قال ـــ تعالى ـــ: **﴿طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾** [طـه: ٧٧]، قال أبو عبيـــدة[٣]: متحرك الحروف بالفتحة والمعنى يابسًا ويقال شاةٌ يَبَسٌ بفتح الباء، أي يابسةٌ ليس لها لـــبن وبعضهم يسكن الباء قال علقمة بن عبدة: (الطويل)

تَخَشْخَشُ أَبدَانُ الحديدِ عليهِمُ   كما خَشْخَشتْ يبْسُ الحصادِ جَنُوبُ

وذكر ذلك ابن قتيبة[٤] نقلاً عنه وأضاف (وماله قَدْرٌ ولا قَدَرٌ) وكذلك قَدْرٌ الله وقَدَرُه

مثال٣ – قال ـــ تعالى ـــ: **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾** [فاطر: ٣٤].

قال أبو عبيدة[٥]: (وهو الحُزْنُ مثل البَخَل والبُخْل[٦]، والنَّزَل والنُّزْل[٧].

وقال أيضًا[٨]: (والعُمُرُ والعُمْرُ والعَمْرُ ثلاث لغات).

كما قال[٩]: (الهَلَكُ والهُلْكُ واحد).

مثال٤ – وجاء عنه في التنبيهات[١٠] (جِلْدٌ وجَلَدٌ، وشِبْهٌ وشَبَهٌ وأنشد بيـــت العجـــاج: (الرجز)

---

(١) المجاز ١/٢٣٢.　(٢) انظر: المجاز ٢/٧٢.　(٣) المجاز ٢/٢٤.

(٤) انظر: أدب الكاتب ٤٢٢.　(٥) المجاز ٢/١٥٥.

(٦) في قوله تعالى: ﴿بالبُخْلِ﴾ الحديد /٢٤ قرأ حمزة والكسائي (بالبَخَل) أي محركة مثقلة وقرأ الباقون: بالبُخْل مضمومة خفيفة انظر: السبعة ٦٢٧.

(٧) وفي قوله تعالى: ﴿هذا نُزُلُهُمْ﴾ الواقعة /٥٦، قال عباس: سألت أبا عمرو، فقرأ: (هذا نُزْلُهُمْ) خفيفًا وقـــرأ الباقون: (نُزُلُهُمْ) مثقلا، وكذلك اليزيدي عن أبي عمرو. انظر: السبعة ٦٢٣.

(٨) المجاز ١/٢٧٦ وقال ابن مجاهد في قوله تعالى: ﴿ولا ينقص من عُمُره﴾ سورة فاطر /١١: روى عبيد عـــن أبي عمرو من عُمْره خفيفًا، وكذلك روى عبد الوهاب بن عطاء عن أبي عمرو أنه أسكن الميم من عُمُـــره، وقرأ الباقون عُمُره مثقلاً (أي محركا بالضمة) السبعة ٥٣٤.

(٩) المجاز ١/٦٨.　(١٠) انظر: التنبيهات لعلي بن سليمان ٢٧٨.

كأنه في جَلَدٍ مرُقَّل مُنْهَرتِ الأشداق غضب مُؤْكل

مثال ٥ – وأنشد لمعبد بن قرط العبدي: (البسيط)

تَلْتَهِمُ الوَسْقَ مشدودًا أشِطَّتهُ كأنما وجَهُهَا قد سُفْعَ بالنار

قال أبو عبيدة: الرواية، بسكون الفاء في سُفِعَ[1].

مثال ٦ – قائمة بشواهد تخفيف حركة العين وخطوات التخفيف:

١ــ [خَلَفٌ ← خلْفٌ] ــ [أثر ← أَثْرٌ] (حذف حركة العين)

خ ــَ ل ــَ ف ــُ ن ← ح ــَ ل ف ــ ُ ن

٢ــ [جَلَدٌ ← جَلْدٌ] ، [شَبَهٌ ← شِبْهٌ] حذف حركة العين + المعاقبة بين الفتحة والكسرة

٣ــ [هَلَكٌ ← هُلْكٌ] ، [حَزَنٌ ← حُزْنٌ]حذف حركة العين + المعاقبة بين الفتحة والضمة

٤ــ [عُمُر ← عُمْر ← عَمْر] ــ حذف حركة العين ــ المعاقبة بين الضمة والفتحة

٥ــ سُفِعَ ← سُفْعَ س ــُ ف ــِ ع ــَ ← س ــُ ف ع ــَ حذف حركة العين لتقارب الضمة والكسرة.

٦ــ إطِلٌ ← إطْل ء ــِ ط ــِ ل ــُ ن ← ء ــِ ط ل ــُ ن حذف حركة العين لتوالي الكسرتين

ونلحظ على هذه القائمة ما يلي:

١ــ حَزَن وعُمُر بالتثقيل لغة حجازية وجاءت بها معظم القراءات هُلْك، وحُزْن وعُمْر لغة تميم وجاءت بها القراءات أيضًا في خَلْفٌ، بُخْلٌ فمع أنها في الأصل لغة تميم إلا أن معظم القراءات قد جاءت بها.

٢ــ دخل التفريع في هذه الصيغ لأخذ القبائل بعضها عن بعض.

٣ــ يمكن عمل قوائم بهذه المفردات في المعجم العربي والإفادة من معرفة لغات العرب والتطور الصوتي لتقريب ضوابط جموع التكسير.

٤ــ بين أبو عبيدة أن أهل العالية (يريد بذلك قريشًا) قد يخففون وأهل نجد قد يحركون

(١) العققة والبررة ضمن نوادر المخطوطات ٣٦٥/٧.

ويثقلون مثال ذلك كلمة (الهدي) [١].

٥ـ نبه أبو عبيدة أن عملية التداخل بين المفرد والجمع على لغات القبائل فقال في قوله ـ تعالى ـ: ﴿قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ [يونس: ٢٧]، إذا أسكنت الطاء فمعناه بعضًا من الليل، والجميع[٢]: أقطاع من الليل، ومن فتح الطاء فإنه يجعلها جميع قطعة والمعنيان واحد.

٥. قانون زيادة التفصح (over correcteness)

مصطلح زيادة التفصح، أو الغلو في مراعاة الصحة اللغوية؛ هو اصطلاحٌ اتخذ لدى علماء اللغة لأنماط من الكلمات أُنتِجَتْ بسبب الحرص الشديد على محاكاة اللغة الأدبية. فإذا رَدَّ كلمة إلى أصلها القديم؛ أصاب، أما إذا فعل مع الكلمات التي احتفظت بالأصل القديم، فإنه يكون حينذاك متحذلقًا[٣] ولم يكن بعيدًا عن علماء العربية، تناولُ ظاهرةِ المبالغة في التفصح، ويبدو أن يونس بن حبيب وتلميذه أبا عبيدة ـ من أوائل من رصد هذه الظاهرة، من ناحية الاصطلاح والتطبيق [٤]، والمأثور عنه في ذلك (وربما خرجت بهم فصاحتهم لأن يهمزوا ما ليس بمهموز) وقد اهتم أبو عبيدة بتلك الظاهرة من خلال مستويات ثلاث وهي:

١ـ المستوى العام وذلك يفهم من ملحوظاته على اللغة الفصحى.

٢ـ المستوى اللهجي من خلال بيانه للظاهرة عند قبيلة من القبائل أو بيئة من البيئات وخير مثال على ذلك لغة الحجاز ولغة تميم.

٣ـ المستوى اللغوي الخاص بفردٍ بعينه كما نجد من اهتمامه بهذه الظاهرة وتتبعها عند

---

(١) قال أبو عبيدة معلقًا على بيت لعنترة: (الطويل)

هَدِيُّكُمُ أباً مِنْ أَبِيكُمُ أَبَرُّ وَأَوْفَى بِالجِوارِ وأَحْمَدُ

قال (أهل العالية يخففون الهدي إلى بيت الله عز وجل وأهل نجد يحركونه ويثقلونه) انظر: النقائض ١٠١/١ وانظر: اللسان مادة (هدى) وكذلك اللهجات العربية في التراث ١١٨/١.

(٢) يريد بكلمة الجميع: الجمع. (٣) التطور اللغوي ١١٥.

(٤) نقل السيوطي من الجمهرة، وإصلاح المنطق، والصحاح نصوصًا عن يونس وأبي عبيدة توضح هذه الظاهرة تحت باب أسماه (ذكر ما ترك فيه الهمز وأصله الهمز وعكسه ،وهذا الباب بتلك التسمية تتواتر المصادر اللغوية على نسبته لأبي عبيدة) وقد عالجته في دراسة الهمزة) وجعل السيوطي أصل الباب لأبي عبيدة ثم نقل عبارة عن الصحاح منطوقها: (وربما خرجت بهم فصاحتهم لأن يهمزوا ما ليس بمهموز) ثم أتى بمعظم الشواهد ليونس ولأبي عبيدة ونسجل ملاحظتين على مناقشة السيوطي: الأولى هي أن قانون زيادة التفصح يعمل عكس العرف اللغوي. الثانية أنه خروج عن الفصاحة طلبًا للفصاحة: انظر: المزهر ٢٥٢/٢) ٢٥٣.

جرير في النقائض. وأكثر التطبيقات الخاصة بهذه الظاهرة عند أبي عبيدة في باب الهمزة [١]، وقد عبر عنها أبو عبيدة بالهمزة المجتلبة للمبالغة في الكلام ويسميه أحيانًا بإشباع الكلام أو محاولة تفخيم الكلام وقد لاحظ العلماء المحدثون ذلك في باب الهمزة، يقول الدكتور" رمضان عبد التواب " [فبعد أن صار الهمز شعار العربية الفصحى تسابق العرب في النطق به، فأدى ذلك إلى همز ما ليس أصله الهمز] ...[٢] .

وقد فسر لنا الدكتور " صلاح الدين حسنين " هذا القانون صوتيًّا في باب الهمز حيث يقول: [لما ظهرت الفصحى ساد فيها الهمز وأصبح فونيمًا من فونيماتها، ومن ثم عمل الحجازيون على الاقتراض من الفصحى، فحاولوا نطق الهمزة، وكانت الطريقة التي لجأوا إليها هي الضغط على الحركة (نبر الحركة] فيؤدي هذا إلى تقسيمها قسمين سواء أكانت حركة طويلة أو حركة مزدوجة، وفي هذه الحالة ينطق الجزء الثاني مستقلا عن الأول، وهذا يؤدي إلى حدوث سكتة بعد الانتهاء من نطق الجزء الأول، ويظهر صوت شبيه بالهمزة الصعيفة، ليست له خصائص الوقفة الحنجرية [٣] ، وهو ما يسمى بزيادة التفصح، وذلك أهم يضعون الهمر في غير مواضعه، إذا قُورِنَتْ الصيغُ الحجازية بالصيغ التميمية] [٤].

ولما كانت معظم التطبيقات لهذا القانون في باب الهمزة عند أبي عبيدة فقد أرجأتُ تحليل مظاهر هذا القانون وتفاصيل أنماطه في عدة مجموعات من الكلمات تجيء في عقيب دراستنا لصوت الهمزة عند أبي عبيدة في الفصل الخاص بالصوامت الحنجرية والحلقية.

*****

(١) انظر. المجموعة الرابعة من الكلمات في صوت الهمزة عند أبي عبيدة.

(٢) التطور اللغوي ١١٧و ١١٨.

(٣) في بعض صور زيادة التفصح انظر: الجزء الخاص بهمز ما لا يهمز.

(٤) الهمزة دراسة صوتية تاريخيه ٣٠٨ و ٣٠٩.

الْفَصْلُ الْثَّانِي – الْمُعَاقَبَةُ فِي الأَصْوَاتِ الْحَنْجَرِيَّةِ وَالْحَلْقِيَّةِ

أ ــ الهمزة.

ــ تقديم

أولاً – حذف الهمزة

ــ دراسة موضوع حذف الهمزة في ضوء تقسيمها إلى ثلاث مجموعات:

١ــ المجموعة الأولى (اجتماع الهمزتين وإبدال الهمزة ياءً)

٢ــ المجموعة الثانية (تداخل الأصول بسبب حذف الهمزة)

٣ــ المجموعة الثالثة (ما ترك فيه الهمز وأصله الهمز)

ثانيًا – همز ما لا يهمز (زيادة التفصح في الهمزة)

١ــ همز ما ليس أصله الهمز.

٢ــ بين الهمزة والهاء.

٣ــ بين الهمزة والعين.

المبحث الثالث منهج أبي عبيدة في دراسة حذف الهمزة وهمز ما لا يهمز

ب ــ الأصوات الحلقية (بين العين والحاء)

١.الهمزة

تقديم:

حظي صوت الهمزة بعناية كبيرة من فكر وتأمل أبي عبيدة، وللملحوظات الصوتية الثرية والتنوع اللهجي الذي تناوله أبو عبيدة — قيمةٌ تاريخية إضافةً لقيمتها العلمية، وسنعرض لقضية الهمزة في فكر أبي عبيدة عَلَى النحو التالي: تقديم نتبعه بمصطلح أبي عبيدة ثم بالقضايا التي تعرض لها ثم نختم ببيان منهجه في القضية.

صوتُ الهمزة من الأصوات التي دار حولها جدلٌ كبير بين علماء العربية القدامى منهم والمحدثين، وتختلف فيها اللهجات والقراءات اختلافًا، وقد استعصت عَلَى النطق، والرسم، والوصف الصوتي، عَلَى مدار تاريخ الدرس اللغوي عند العرب، وما فتئ العلماء يقدمون الحلول لمشكلة الهمزة عَلَى هذه المستويات مجتهدين ما وسعهم الاجتهاد ونلخص ما اتفق عليه جمهور الباحثين حول صوت الهمزة من ناحيتين:

الأولى- الوصف الصوتي وقد خلص جدلهم إِلَى التمييز بين حالتين لإنتاج الهمزة:

١ـ وقفة حنجرية وفيها الهمزة صوت شديد مهموس مرقق [١].

٢ـ تضييق حنجري، وفيها الهمزة صوت ترددي مجهور مرقق [٢].

الثانية- الانتماء اللهجي، وفيه خلص الباحثون إِلَى عدة أسس وهي:

١ـ القبائل الحجازية الحضرية — ومنها قريش والمدينة — تُسهِّل الهمزة أو تتركها ويطلق عليها العلماء مجازًا العربية الغربية[٣].

---

(١) معنى ذلك أن مخرج الهمزة هو فتحة المزمار؛ أي الفراغ الواقع بين الحبلين الصوتيين، فالأوتار الصوتية تقوم بدور الشفتين، فانطباقهما يؤدي إِلَى حجز الهواء وراءهما وانفتاحهما يؤدي إِلَى تسريح الهواء، وفي أثناء ذلك يتعذر اهتزاز الوترين، ذلك الاهتزاز المنتظم الذي يحدث الجهر في الأصوات الموصوفة بذلك وعليه فالهمزة صوت مهموس.

انظر: الهمزة دراسة صوتية تاريخية ٢٧٤، ٢٧٨. وانظر: كذلك المدخل إِلَى علم اللغة ٥٦.

(٢) ذهب الدكتور /سليمان العاني والدكتور /مُحَمَّد محمود عاني اعتمادًا عَلَى الدراسة الآلية للأصوات بأن صوت الهمزة صوت ترددي وليس انحباسيًا بمعنى حدوث عملية حجز للهواء ثم تسريح ثم حجز تتبع بتسريح "إذا أتبعت بحركة". انظر: الهمزة دراسة صوتية تاريخية ٢٧٦.

أما ملاحظة الجهر فقد لاحظ سيبويه وغيره من العلماء: وهو لا يكون إلاّ فيما يعرف همزة البين بين أو التضييق الحنجري هذا، أما في حالة انغلاق الوترين وانفتاحهما فهو مستحيل استحالة مادية/السابق نفسه.

(٣) أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون) أي لا يهمزون) وقف عليها عيسى بن عمر، فقال: ما آخذ من قوم تميم إلاّ [بالنبر] وهم أصحاب النبر، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا. انظر: اللسان مادة [نبر] ومشكلة الهمزة ٨، والهمزة دراسة صوتية تاريخية ٢٧٩.

٢ـ القبائل النجدية البدوية ـ ومنها تميم وقيس وأسد ـ تحقق الهمزة وقد تُبالغ في تحقيقها، ويطلق عليها مجازًا العربية الشرقية.

٣ـ اللغة الأدبية اختارت تحقيق الهمزة.

٤ـ التداخل اللغوي حادث لا محالة بين الشرقية والغربية وفي شواهد الفصحى فيما بيںها كذلك.

مصطلح أبي عبيدة في هذه القضية:

١ـ مصطلح الهمز: ويقصد به تحقيق الهمزة أو الوقفة الحنجرية المعروفة عں الهمزة وقد عبر بالهمز أو قوم يهمزون [١] أو بالقطع [٢] أو مں همز [٣] قال....

٢ـ ترك الهمزة: وعبر عنه بترك الهمز [٤] أو عدم الهمز[٥] أو لا يهمزون[٦]، ولم يهمزوا أو لا يقطعون الألف [٧] أو بغير همزة [٨] ويقصد به ترك الهمزة كليةً وحذفها وإسقاطها من الكلام أو تسهيلها ونقل حركتها إِلَى غيرها، أو تركها مع الإبدال.

٣ـ الهمزة المجتلبة للمبالغة: ويقصد بذلك ما يقصده النحاة همز ما لا يهمز وما نقصده اليوم بقانون زيادة التفصح أو المبالغة في التفصح، وكان تعبيره عنه عَلَى النحو التالي: الهمزة المجتلبة [٩] أو أشد مبالغة [١٠] أو يهمزون لأنهم يشبعون الكلام [١١] ويفخمونه[١٢].

أولاً- حذف الهمز

يمكن دراسة موضوع حذف الهمزة في أمثلة أبي عبيدة في ضوء تقسيمها إلى ثلاث مجموعات:

١ـ المجموعة الأولى (اجتماع الهمزتين)،

---

(١) النقائض ٨٥٢/٢، والمجاز ١٥٩/١، ٢٨٤/١.

(٢) المجاز ١٧٨/٢.

(٣) النقائص ٥١٨/١، والمجاز ١٥١/٢.

(٤) وقد نقل أبو عبيد القاسم بں سلام بابًا عں أبي عبيدة بهذا المعنى فقال: باب ما تُرِك فيه الهمز وأصله الهمز. الغريب المصنف ٦٨٤/٣.

(٥) المجاز ١٤٥/٢ والغريب المصنف ٦٨٤/٣، والنقائض ١٣٦/١، والنقائض ٤٣٧/١.

(٦) المجاز ٤٩/١، ١٤٨، ٢٨٧. ١٥١/٢.

(٧) المجاز ١٧٨/٢.

(٨) النقائض ٨٥٢/٢.

(٩) المجاز ٣٥/١، ٣٥١.

(١٠) المجاز ٢١١/١.

(١١) الغريب المصنف ٦٨٤/٣.

(١٢) انظر: المزهر ٩٥/١. وانظر: اللهجات العربية في التراث ٢٤٧/١.

٢ــ قال ــ تعالى ــ: ﴿لإِيلافِ قُرَيْشٍ﴾[2] [قريش: ١]، العرب تقول: آلفت وألفت، ذاك لغتان [3]. وقال الفرزدق(الطويل)

وَلَمَّ بكَ الهجرانُ حَتَّى كأنما تَرى الموتَ في البيتِ الذي كنت تَيْلَفُ

وهي لغة تميم[4].

٣ــ قال ــ تعالى ــ: ﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لأَيْكَةِ﴾ [ص: ١٣]، وبعضهم يقول: [لَيْكة] لا يقطعون الألف، و لم يعرفوا معناها[5].

٤ــ قال ــ تعالى ــ: ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥].

الياء من [كأيِّن] مُثَقَّلَة، وهي قراءة الستة، ويخففها آخرون [6].

---

(١) النقائض ١١٨/١ وانظر: الإبدال لابن السكيت ١٣٦ والمزهر لسيوطي ٣٢/٢و٤٦٣/١.

(٢) قرأ عاصم في رواية أبي بكر :{لإئلاف قريش} {إئلفهم} بهمزتين الثانية ساكنة في وزن الإعلاف. ثم رجع عنه فقرأ مثل حمزة. وقرأ ابن عامر: لإلف بقصرها لا يجعل بعد الهمزة ياءً خلاف لفظ الأولى.
وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم لإيلف بياء قبلها همزة (إيلفهم مثلها).
انظر: السبعة ٦٩٨ وجاء في الشواذ إلفهم وإلافهم وإإلافهم ولِيَالَف قريش. انظر: مختصر شواذ القرآن ١٨٠ و ١٨١.

(٣) المجاز ٣١٢/٢ وذكر ابن منظور في آلفت وألفت أقولاً تتطابق مع مقولة أبي عبيدة، فقال: آلفت الشيء كألفته. وقال أبو عبيد: ألفت الشيء وآلفتُهُ بمعنى واحدٍ لزمته فهو مؤلَّف ومألُوفٌ. اللسان مادة [ألف] ١٠٨/١.

(٤) النقائض ٥٤٨/٢.

(٥) المجاز ١٧٨/٢. وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر (كذّب أصحابُ لَيْكَه) في الفرقان /١٧٦ وفي ص /١٣ بغير همز والهاء مفتوحة ولا ألف. وروى عن نافع (الايكةِ) هاهنا وفي سورة ق متروكة الهمزة مفتوحة اللام بحركة الهمزة والهمزة ساقطة، وقرأ أبو عمر وعاصم وحمزة والكسائي (الأيكة) في كل الآيات انظر: السبعة ٣٦٨

(٦) قال ابن مجاهد · واختلفوا في الهمز من قوله: ﴿ وكأيِّن من نبي ﴾ آل عمران ١٤٦/٣، فقرأ ابن كثير وحده: (وكائِن) الهمزة بين الألف والنون في وزن كاعن. وقرأ الباقون (وكأيِّن) الهمزة بين الكاف والياء مشددة في وزن كعَيِّن. السبعة لابن مجاهد ٢١٦.

قال دو الرمة: (الطويل)

وكائِنْ تخطّت ناقتي من مفازةٍ وقْلباجةٍ لا يُطلِع الهمَّ رامكُ

ومعناها وكم من قرية[١].

٥ــ قال ــ تعالى ــ: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذي كَفَرَ بآياتنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَــداً﴾ [مــريم: ٧٧]، إذا استفهموا بــ "رأيت"[٢] فمنهم من يَدَعُها عَلَى حالها كأنه لم يعده أحدث فيهــا شيئًا كما أحدث في "يرى" فيبقي همزها، ومهم من يرى أنه أحدث فيها شيئًا فيدع همزها، قال أبو الأسود(المتقارب).

أرَيْتَ امرءًا كنتُ لم أبْلُهُ أتاني فقال اتخذني خليلا

فخاللتُه ثم أكــرمته فلم أستفد من لديه فتيلا

ألستُ حقيقًا بتوديعه واتباع ذلك صَرْمًا جميلا

وقال المتوكِّل الليثي: (الكامل)

أرأيتَ إن أهلكتُ مالي كلَّه وتركت مالك فيم أنت تلومُ [٣]

خطوات تسهيل الهمزة أو حذفها:

١ــ الأزأنيُّ ← اليَزْأنِيُّ ء ــَـ ز ء ــَـ ← ي ــَـ ز ء ــَـ ×مخالفة.

٢ــ إألاف ← إيلاف ء ــِـ ء ل ــَـ ــَـ ف ← ء ــِـ ــِـ ل ــَـ ــَـ ف

ــ حذف الهمزة والتعويض عنها بحركة للحفاظ على الوحدات الصوتية [٤]:

تَأْلَفُ ← تالف ← تيلف

الهمزة الساكنة المسبوقة بمتحرك تحذف مع تطويل الحركة السابقة لها [٥]:

ت ــَـ ء ل ــَـ ← ت ــَـ ــَـ ل ــَـ ثم تُنبر الحركة الطويلة نبر توتر فتتحول إلَى حركــة مركبة.

تالف ← تيلف taa → tay

---

(١) المجار ٥٣/٢.

(٢) جاء في الاتحاف قرأ نافع [أرأيت] بتسهيل الثانية، وقرأ الكسائي [أرَيْت] بغير ألف وهمز، وقرأ البــاقون [أرأيت]ــ هامش السبعة ٦٨٩.

(٣) المجاز ١٠/٢ و ١١. (٤) الهمزة دراسة صوتية ٢٨٦. (٥) المرجع السابق٢٩١.

المشهور الكثير في لغة تميم تحقيق الهمزتين سواء أكانتا متجاورتين أم غيرَ متجـــاورتين، وأهل التخفيف يسهلون دائما المتجاورتين، وغالبا غير المتجاورتين " بينهما صامت "[1].

وقد لاحظ الدكتور أحمد علم الدين أن قريشًا تميل إِلَى قلب الهمزة ياءً[2] كمـــا هـــي ملاحظة أبي عبيدة في الشاهدين الأوَّل والثاني في كلمة [الأزأني] حَيْثُ تقال اليزْأني

وتألف صارت [تيلف] أما موقفه من تميم وهو الخبير بلهجتها وأنماط الكلام فيها فإنـــه يسجل ما في ظاهره شيئًا من التناقض فكيف يذكر لجرير مبالغته في تحقيق الهمـــزة حَتَّـــى تصير الياء عنده همزة ــ كما في المثال [الأزأني] ــ ثم يعلق عَلَى بيت الفرزدق الذي خفف فيه الهمزة إِلَى الياء [تيلف] ويقول هي لغة تميم!

إن أبا عبيدة يقرر من خلال الشاهدين أن تحقيق الهمزة والمبالغة ــ متفقًا في ذلك مـــع الجمهور من علماء العربية ــ لغة تميم، ولكنه يزيد ملاحظة أخرى وهي: أن هناك في كلام تميم من يخفف، فهي لغة فيهم وإن كانوا هم في الأصل أهل التحقيـــق. وســـنرى نفـــس الملاحظة التي يقدمها مع لغة قريش التي الأصل فيها التخفيف.

والحق أن أبا عبيدة لا يقف وحده في نسبة لغة التخفيف إِلَى تميم كما نسبت إِلَى عامة العرب بعد ذلك بل اتفق معه في هذا " السيرافي " "وابن جني"، وصاحب المصباح المنير، من القدامى والمستشرق "رابين" من المحدثين، وقد ارتاب الدكتور أحمد علـــم الـــدين في أمـــر الشواهد التي ذكروها[3]، ولكن ما قدمه أبو عبيدة من رواية لشعراء تميم بالتخفيف ونـــصه

---

(١) تمثل القراءات القرآنية لهجات العرب خير تمثيل. انطر: في قضية الهمزتين المجتمعتين في كلمة عند القراء السبعة، كتاب السبعة ١٣٦، ١٣٧. وانظر تفصيل ذلك: الهمزة دراسة صوتية تاريخية ٢٨٠، ٢٨٧.

(٢) انظر: اللهجات العربية في التراث ٣٢٤/١ وتحدث بعض العلماء عن طريق تخفيف الهمزة فـــذكروا مـــها أن الهمزة الثانية في التخفيف تُجعل بين الهمزة والياء، السابق ٣٣٥/١.

(٣) ذكر "السيرافي" في شرحه لكتاب سيبويه كلامًا قال فيه: [وبنو تميم من لغتهم تخفيف الهمزة] لكن الـــدكتور أحمد علم الدين رجَّح أن ناسخ السيرافي هو الذي ربما حرَّف في الكتابة. أما في سر الصناعة: فقد روى بيت من الشعر لأعلم بن جرادة السعدي من الرِّباب فيه تخفيف الهمزة وتحقيقها في الفعـــل [رأي] في المـــضارع وقومه كانوا يحققون المضارع، فشك الدكتور الجندي في الرواية، ورواية البيت كما في الصناعة:

ألم ترِ ما لاقيت والدهر أعصـــــر ومن يتمل العيش يرأ ويسمع

وقال تعليقًا عَلَى قول صاحب المصباح [من أن تميم يتركون الهمز في كلمة الرأس لزومًا] قال يجب أن نحذر من هذا الكلام. وكان نفس الحذر والشك من رأي رابين. انظر في تفصيل هذه القضية: اللهجات العربية في التراث ٣٣٠/١ ــ ٣٣٢، ٣٣٧.

عَلَى أنها من لغتهم ثم ما يقرره العلماء القدماء من قدامى ومحدثين بما فيهم الدكتور الجندي نفسه من تداخل اللهجات وأخذ بعضها عن بعض ـ لجدير بأن يزيل الريبة من نفس أستاذنا ويقوم دليلاً على أن التخفيف عند تميم ظل يتسرب إليهم حتى صار لغة فيهم كما هو الحال عند بقية القبائل.

٣ــ الأيكة ← الَيْكة ءـَ ل ء × ـَ ى ك ـَ هـ ← ءـَ ل ـَ ى ك ـَ هـ

حذفت الهمزة وبقيت حركتها فانتقلت إلَى اللام السابقة عليها، وحافظ التركيب عَلَى بقية السمات ويفهم من الشاهدين اللذين ساقهما أبو عبيدة[1] أن ترك الهمزة في (أيكة [لا يتم إلاّ في درج الكلام أما في ابتداء الكلام فإنهم يقطعون الألف وكذلك إذا أدى ترك الهمزة إلى خلل في النظام المقطعي كما في قول الشاعر: (الكامل)

أفمن بُكاءِ حمامةٍ في أيكةٍ يَرْفَضُّ دَمْعُكِ فوقَ ظهرِ المَحْمَلِ

٤ ــ وكأيِّن ← كائِّن ← كاين ← كائن

يوضح لنا الدكتور صلاح الدين حسنين ملاحظة أبي عبيدة في إطار القوانين الصوتية فيقول:

هناك اتجاهان في لغة أهل الحجاز في شأن الهمزة الواقعة بين حركتين غير قصيرتين: اتجاه يميل إلَى حذف الهمزة ودمج الحركتين اللتين كانت الهمزة تقع بينهما. اتجاه آخر يحافظ عَلَى بقاء الحركتين كما هما فتنشأ سكتة بعد نطق الحركة الأولى ثم صاغ لنا هذه الحالة في شكل القانون التالي:

فتحة + همزة + كسرة ـَ ء ـِ ← ـَ ـَ

أ ــ تتماثل الكسرة مع الفتحة فتنتج فتحتان ـَ ـَ [فتحة طويلة]

ب ــ يحافظ عَلَى الحركتين وينشأ صوت انتقالي هو الياء[2] وتطبيقه عَلَى الصيغة عَلَى النحو التالي:

١ــ الصيغة الأساسية كأيِّن.

٢ــ حذفت الهمزة الواقعة بين فتحتين فنشأت فتحة طويلة وأصبحت: [كائِّن].

= وقد جاء في الشواذ في قوله تعالى: ﴿فلما ترآءا الجمعان﴾ الشعراء /٦٢. قد قرئت ﴿فلما ترأى﴾ بكسر الراء والهمز خلاد عن الكسائي ﴿فلما ترى﴾، قال عيسي: هي لغة تميم. انظر: مختصر شواذ القرآن ١٠٨.

(١) المجاز ١٧٨/٢.

(٢) الهمزة دراسة صوتية ٢٩٥، ٢٩٦.

٣ـــ خفف حرف الياء المضعَّف بحذف الياء الساكن فأصبحت الصيغة: [كاين].

٤ـــ حُمِلَتْ (كاين) عَلَى اسم الفاعل فهمزت الياء المكسورة فأصبحت: [كائن].

خطوات تسهيل الهمزة في صيغة [أَرَأَيْتَ]:

١ ـــ ءـــَ ر ـــَ ءـــ× َ ى ت ـــَ ← ءـــَ ر ـــَ ـــَ ى ت ـــَ ← [ص + ح ط]

← ءـــَ ر ـــَ ى ت ـــَ

أرأيت ← أرايت ← أرَيْتَ ’ra ayta ’ raayta ’ rayta

١ـــ التقت همزتان غير متجاورتين بينهما فاصل [صامت الراء][١].

٢ـــ حُذفت الهمزة الثانية فطالت الحركة[٢].

٣ـــ وقعت الحركة الطويلة بين صامتين فَقُصِّرت[٣].

ومن خلال دراسة الأمثلة السابقة وملحوظات أبي عبيدة حولها نرصد النتائج التالية:

١ـــ يترتب عَلَى تحقيق الهمزة وحذفها نشوء أصلين في الجذر الواحد بمعنى واحد؛ مثل: ألف وآلف.

٢ـــ قبيلة تميم العربية التي عُرِفت بتحقيق الهمزة واستعارت اللغة الفصحى منها كانت تتخفف من الهمزة أحيانا بسبب التأثير والتأثر.

٣ـــ دقة ما رواه أبو عبيدة في أمر القراءات وإن لم ينسبه.

٤ـــ إدراك أبو عبيدة لعلاقة حذف الهمزة والتعويض عنها بالياء في لغة من يخفف مع مراعاة موانع التعويض ففي كلمات مثل: الأزأني والإئلاف كان التعويض ساريا، وفي كلمات مثل: الأيكة وكأيِّن كان التعويض ممنوعًا.

٥ـــ فسَّر أبو عبيدة التحقيق والتسهيل في صيغة [أرأيت؟] و [أريت ؟] تفسيرًا دقيقًا معتمدًا عَلَى معرفة شاملة بالقراءات واللهجات ويمكن أن نصوغ عبارته في شكل قانون

---

(١) احتارت الفصحى صيغة [أرأيت] وهي في الأصل للقبائل الشرقية والنجدية وقد راجعت هده الصيغة عَلَى القراءات السبع وبعض شواذ القرآن فوجدتها هي الصيغة الأولى في الاستخدام. الكهف /٦٣، ومريم /٧٧، والفرقان /٤٣، والشعراء /٢٠٥، والجاثية/٢٣، والنجم /٣٣، والعلق /٩و١١و١٣.

(٢) [عند النحاة تقلب الهمزة ألفا].

(٣) مثل ما ورد في الاتحاف وما ذكره أبو عبيدة كما بينا في عرض الأمثلة [عند النحاة إذا التقى ساكنان: أحدهما مد والآخر لين يحذف حرف المد أو اللين].

لعوي له اتجاهان:

الأَوَّل– أن فريق التحقيق للهمزتين سواء كانوا من العرب أم من القراء إنما يرجعون إِلَى الأصل دون اعتداد لما لحق بالتصاريف الأخرى للصيغة من تطور نحو إلقاء الهمزة أو تسهيلها فهم يقيسون عَلَى الأصل.

الثاني– الفريق الثاني من العرب ومن بعض القراء الذين يسقطون الهمزة الثانية من الصيغة(أَرَأَيْتَ) فيقولون [أَرَيْتَ؟] ينظرون إِلَى تطور الفعل نحو إسقاط الهمزة وخاصة في المضارع[(١)] ولا يعتدون بالأصل ويحفزهم في ذلك تقارب الهمزتين.

٦ـ تعامل أبو عبيدة مع اللغتين التحقيق والتسهيل [أو الحذف] بلغة علمية محايدة[(٢)] فاستشهد عَلَى [أرأيت] ببيت للمتوكل الليثي واستشهد عَلَى التخفيف بشاهد لأبي الأسود دون أن يضعف اللغة القليلة بل بدأ بالاستشهاد لها من كلام العرب.

٢ـ المجموعة الثانية [تداخل الأصول]

الأمثلة:

١ـ أورد ابن جني في باب حذف الهمز وإبداله[(٣)] محكيًّا عن أبي عبيدة: [دعه في حرِآمّه][(٤)] ثم ذكر في باب هجوم الحركات عَلَى الحركات[(٥)] ما حكاه أبو علي الفارسي عن أبي عبيدة أنه سمع [دعه في حرُآمّه] وذلك أنه نقل ضمة الهمزة بعد أن حذفها ــ عَلَى الراء وهي مكسورة، فنفى الكسرة وأعقب منها ضمة[(٦)].

التناؤس والتناوش

٢ـ قال الله تعالى: **﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾** [سبأ:٥٢].

قال أبو عبيدة[(٧)]: يجعله مَنْ لم يهمزه مِنْ [نُشْتَ تنوش] وهو التناول.

قال غيلان: *** فَهْيَ تنوش الحوضَ نوشاً مِن علا ***

ومن همزه جعله من [نأشتُ إليه] وهو من بُعد المطلب.

قال رؤبة: (الرجز)

---

(١) انظر: المقاربة اللهجية التي أجراها الدكتور أحمد علم الدين في الفعل [يرى] اللهجات في التراث ١/٣٣٠- ٣٣٢.

(٢) انظر: الأمثلة التي في بداية القضية. (٣) الخصائص ٣/١٥١. (٤) السابق ٣/١٥٣.

(٥) السابق ٣/١٣٨. (٦) السابق ٣/١٤٣. (٧) المجاز ٢/١٥١.

أقْحمني جارُ أبي الخاموش إليك ناشي الغدر النوؤش

٣ـــ الشئان والشَّنان

قال ـــ تعالى ـــ: ﴿**وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا**﴾[1] [المائدة: ٨].

قال أبو عبيدة: ومجاز شنئان قومٍ؛ أي بغضاء قوم، وبعضهم يحرك حروفها، وبعضهم يسكن النون الأولى كما قال الأحوص: (الطويل)

وما العيْشُ إلَّا أن تَلَذَّ وتشتهي وإن لام فيه ذو الشَّنانِ وفنَّدا

وبعضهم يقول: [شَنَانُ قومٍ] تقديره [أبان]، ولا يهمزه، وهو مصدر شنيت، وله موضع آخر معناه شنئت حقَّكَ أقررتُ به، وأخرجته من عندي كما قال العجَّاج: (الرجز)

زلَّ بنو العوَّام عن الحكْمْ وشنئوا الْمُلْكَ لِمَلْكٍ ذي قَدم

شنئوا الملك: أخرجوه وأدّوه وسلَّموا إليه[2].

٤ـــ لُؤيّ ولُوَيّ

قال البعيث: (الطويل)

غداةَ لقينا مِنْ لُوَيّ بنِ غالبٍ هِجانِ الغواني واللقاء عَلَى شُغْلِ

قال أبو عبيدة:

من همز لؤي بن غالب؛ أخذه من تصغير الَّلأْي وهو الثَّور من الوَحْش، ومن ترك الهمزة، أخذه من لويت الشيء[3].

٥ـــ جاء في الأثر: [اللَّهُمَّ اُشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ].

---

(١) قرأ السبعة [شنئان] مهموزة واختلفوا في تسكين النون وتحريكها. انظر: السبعة ٢٤٢.
وجاء في الإتحاف وقف حمزة وحده بدون همز [شانيك] في سورة الكوثر /٣ وهمزها الباقون في الوقف والوصل السبعة ٦٩٨وقرأ الأعشى في الشواذ (إن شانيك هو الأبتر) انظر: مختصر شواذ القرآن ١٨٢.

(٢) المجاز ١٤٨/١.

(٣) النقائض ١٣٦/١ قال أبو يوسف يعقوب بن السكيت: [لؤيّ، والعامة تقول لُوَى بلا همزة] علق عليه علي بن حمزة بقوله: وهذا غلط منه فالعرب في لؤي مختلفون ثم ذكر ما قاله أبو عبيدة] فمن جعل اشتقاقه من اللأي همزه واللأي هو الثور الوحشي.. [ثم قال علي بن حمزة: وما للعامة في هذا صنع، وهم في ترك همزه مصيبون وللعرب متبعون. انظر: التنبيهات ٢٨٥و ٢٨٦وقد ورد نص كلام أبي عبيدة في اللسان مع الإشارة إلى تعليق علي بن حمزة. انظر: اللسان مادة [لأى] ٣٩٧٨/٥ ومادة [لوى] ٤١٠١٠/٥.

وقال بعضهم: وَطَدَتك[1].

٦ــ أهل وآل

قال جرير: (الطويل)

تعالوا نُحَاكُمْكُم وفِي الحقِّ مَقْنَعٌ إلى الغرِّ مِنْ آل البطاحِ الأكارمِ

تقول هم آل فلان، وأهل بلد كذا وكذا، ويُدْخَلُ أهل عَلَى آل ولا يُدخل آل في موضع أهل[2].

ــ خطوات حذف الهمزة في الأمثلة السابقة وفق القوانين الصوتية:

١ ــ دعه في حِرِأُمِّه ← دعه في حِرِامِّه

← دعه في حِرَامِّه[3]

ح ـ ر ـِ ء ـُ م م ـِ هـ ← ح ـِ ر ـِ × ـُ م م ـِ هـ ← ح ـِ ر ـِ ـِ م م ـِ هـ

ح ـِ ر ـِ م م ـِ هـ   مماثلة تقدمية+ تقصير الحركة الطويلة

---

(١) المحار ٢٠٨/٢ جاءت هذه الرواية عن حمَّاد بن سلمة والمعنى أي حدهم أخذًا شديدًا. اللسان مادة وطأ ٤٨٦٣/٦.

(٢) جاء في اللسان: وآل الرجل: أهله وآل الله وآل رسوله أولياؤه، أصلها أهل ثم أبدلت الهاء همزة فصارت في التقدير [أأل]= فلما توالت الهمزتان أبدلوا الثانية ألفًا اللسان مادة [أهل] ١٦٤/١.

ثم عقَّب قائلاً: " فإن الألف لو كانت منقلبة عن غير الهمزة المنقلبة عن الهاء (كما قدمناه) لجاز أن يستعمل آل في كل موضع يستعمل فيه أهل" وواضح أن ابن منظور وكذلك ابن سيده قد اعتمدوا في مناقشة قضية الإبدال الصوتي اتباعًا لمقولة أبي عبيدة حَيْثُ جعل الأصل [أهل] أكثر استعمالا وأعم من المتطور عنه وهو [آل]. المرجع السابق نفسه.

(٣) ذكر أبو عبيدة ما يترتب عَلَى إسقاط الهمزة من تغير صوتي في مثل لكن أنا هو الله ربي التي صارت بعد إسقاط الهمزة [لكنا هو الله ربي] الكهف /٣٨ وقد ذكرناه في قضية المماثلة.

ونقل لنا الدكتور صلاح الدين حسنين شواهد عديدة لهذه الظاهرة بعد إسقاط الهمزة من المصادر العربية المختلفة مثل:

مَنْ أبوك > مَنَ بُوك

مَنْ أمُّك > مَنُ مُّك

قالتْ أُخْرَاهم > قالتُ خْراهم الأعراف /٣٨

قلْ أُعوذُ > قُلَ عُوذُ الفلق /١

انظر: هذه الشواهد ومصادرها في الهمزة دراسة صوتية ٢٨٩. وانظر: ما قدمه ابن خالويه من أمثلة عَلَى هذه الظاهرة في مختصر شواذ القرآن ١٨٣.

أو: ح ــِ ر ــُ م م ــِ هــ مماثلة رجعية + تقصير الحركة الطويلة

١ــ حُذفتْ الهمزة وبقيت حركتها الضمة.

٢ــ تأثرت الضمة بالكسرة قبلها وتحولت إِلَى كسرة في مماثلة تقدمية. فكانت صيغة (حرِامِّة).

٣ــ تأثرت الكسرة التابعة لصامت الراء بالضمة التالية لها وتحولت إِلَى ضمة في مماثلة رجعية. فكانت صيغة حرُامِّه.

٤ ــ قصّرت الحركة [الكسرة والضمة] لوقوعها بين صامتين.

٢ ــ التناوش من نتنت تنوش[1] نأش ← ناءَش ← تناؤش

صيغة فاعل المصدر (التفاعُل) ن ــَ ــَ ءــَ ش ← ن ــَ ــَ ء ــُ ش

قانون صوتيّ[2]:

الهمزة الواقعة بين الفتحة الطويلة والضمة، تحذف الهمزة في لغة أهل الحجاز وينشأ التركيب: "ــَ ــَ و" يُحافظ عَلَى التركيب وينشأ الصوت المزدوج ويصبح التركيب ــَ ــَ و ــُ التناوُش ن ــَ ــَ × ــُ ش ← ن ــَ ــَ و ــُ ش

٣ ــ الشنئان والشَّان

ش ــَ ن ــ ء ــَ ــَ ن [تخفيف الهمزة] ← ش ــَ ن ــَ × ــــَ ــَ ن مماثلة [توالي ثلاث فتحات] ← ش ــَ ن ــَ ــَ ن[حذف حركة]

١ــ وقعت الهمزة بين حركتين من طبيعة واحدة؛ إحداهما قصيرة والأخرى طويلة.

٢ــ نظرًا لتوالي الأمثال بعد حذف الهمزة تحذف إحدى الحركات.

٣ــ أصبح عندنا صيغتان للمادة: شَنِيء وشَنِيَ واتجهت الدلالة نحو تخصيص كلٌّ بمعنى خاص كما وضّح أبو عبيدة.

٤ــ لُؤَي ← لُوَيّ

---

(١) نقل اللسان عن ثعلب وعن أبي حنيفة أن التناوش بلا همز هو الأخذ عن قرب وبالهمز التناول عن بعد وكذلك في مادة نأش. وهي نفس المعاني التي ذكرها أبو عبيدة كذلك ما رواه اللسان عن أبي عبيد القاسم بن سلام. انظر: مادة [نأش ونوش] في اللسان. وذكر أبو عبيد القاسم بن سلام التفريق بين المهموز وغير المهموز في هذه المادة وهو قريب جدًا مما قاله أبو عبيدة.

(٢) الهمزة دراسة صوتية ٢٩٨.

قانون: الهمزة المفتوحة المسبوقة بكسرة أو بضمة] ــِ ء ــَ [ــُ ء ــَ [تحذف الهمزة عند من يخفف وينشأ صوت انتقالي هو الياء مع الكسرة، والواو مع الضمة[١].

ل ــُ ء ــَ ← ل ــُ و ــَ

١ــ أدّى سقوط الهمزة ونشوء الصوت الانتقالي إِلَى تداخل أصلين من المواد اللغويــة مُعجميًّا.

ــ وَطْأتك ← وَطْدتك و ــَ ط ء × ــَ ت ــَ ك ــَ ← و ــَ ط د × ــَ ت ــَ ك ــَ

والإبدال بين الهمزة والدال بعيدٌ فلم تنقل آثار لغوية كثيرة توضــح أن الهمــزة إذا مــا حذفت فإنه يعوض عنها بالدال فما السر في ذلك إذن؟ ويزول عجبنا إذا علمنا أن الطــاء القديمة التي وصفها القدماء بأنها مجهورة وهي اليوم في عرفنا صوت مهموس. هــذه الطــاء يمكن أن تتحلل إِلَى عنصرين في التركيب الصوتي السابق للحفاظ عَلَى التركيب بعد سقوط الهمزة[٢]، ولعل ما يدعم ذلك ما وصل إليه الدكتور تمام حسان[٣] في دراسته للطاء العربية فقال: [إنها صوت مهموز وقد شرح ذلك ببيان حدوث العلاقة بين الطاء والهمزة وبين أن ذلك أوقع العلماء في لبس فتارة يقولون مهموسة ومرة أخرى يقولون مجهورة وإنما مرجــع ذلك إِلَى شبهها بالهمزة]ولا نستطيع أن نقول أن الطاء والدال في "وَطْدَتَكَ"ــ كانا ينطقان سطقنا الحالي للطاء والدال وإنما هو شبيه بنطق التاء[٤] والدال في الإنجليزيــة في مثــل at dawm[٥] أي غلق طويل نسبيًا يليه انفجار وتعمل الأوتار الصوتية في منتــصف هــذه المرحلة فتهتز محدثة الجهر.

ومما يؤيد هذا التفسير وهو تحلل صوت الطاء القديمة المجهورة "أو ذات النطق المهمــوز"

---

(١) أورد الدكتور صلاح الدين حسنين أمثلة متعددة عَلَى هذا القانون، ومن أمثلة ذلك في القــراءات [مُؤَجَّــل وتُؤَده، فؤاد] قالوا فيها [مُوَجَّل ، تودَه ، وفواد]انظر: في ذلك الهمزة دراسة صوتية ٢٩٤.

(٢) العنصران هما [ط] الحديثة؛ أي صوت شديد مهموس مطبق، و [د] صوت شديد مجهور مرقق ولكنهما في مجموعهما يقاربان الطاء العربية القديمة وقد يزيدان عنها قليلا لكنهما لا يصلان إِلَى مساواة الطــاء والــدال الحاليتين.

(٣) انظر: رأي الدكتور تمام حسان في المدخل إِلَى علم اللغة ٧٧و ٧٨.

(٤) بالطبع ما نريد هو صوت الطاء في العربية.

(٥) انظر: تحليل مالمبرج لهذا التركيب الصوتي في "الصوتيات" ١١٢وقياسًا عليه نستطيع تمثيله على النحو التالي:

wat ata a wat dataka

إِلَى عنصرين هما: الطاء المهموسة والدال المجهورة ـــ أن القانون الصوتي المتعلق بحذف الهمزة يؤدي في إحدى صوره إِلَى التعويض عن حذف الهمزة بتضعيف الصوت السابق عليها[١].

وقد أدى هذا التطور الصوتي إِلَى تداخل أصلين في المعجم العربي هما "وَطَأَ وَطَـــدَ" و لم يشر أبو عبيدة إِلَى هذا التداخل في هذا المثال لكنه يفهم من الأمثلة السابقة[٢].

ـــ أهل ← أأْل ← آل ء ـــَ هـــ×ل ـــُ ← ء ـــَ ء×ل ـــُ ← ء ـــَ ـــَ ل ـــُ

إبدال إطالة الحركة القصيرة

عند التقاء الهمزتين تحذف الثانية منهما مع التعويض عنها بإطالـــة الحركـــة الـــسابقة للمحافظة عَلَى الوحدات الإيقاعية[٣].

ونستطيع أن نسجل الملاحظات التالية حول آراء أبي عبيدة في هذه المجموعة الصوتية المتعلقة بحذف الهمزة وهي:

١ـــ يترتب عَلَى حذف الهمزة تغير صوتي محض لا يتبعه أي تغير دلالي مثـــل الـــشنئان والشنان كما في المثال الأَوَّل والخامس.

٢ـــ يترتب عَلَى حذف الهمزة تغير صوتي ودلالي مما يؤدي إِلَى تداخل أصلين مثل لُؤَي ولُوَى أو تعدد معجمي مثل التناوش والتناؤش أو توزيع دلالي لتخصيص الدلالة أو تعميمها؛ مثل: آل من أهل حَيْثُ آل أخص من أهل.

٣ـــ يتجه أبو عبيدة نحو تحميل القراءات عَلَى لهجات العرب فيقول فمنهم من يقـــول كذا ومنهم من يقول كذا يريد بذلك العرب والقرّاء.

---

(١) الهمزة دراسة صوتية ٢٨٦. (٢) انظر: مادة وطأ و وطد في اللسان. (٣) الهمزة دراسة صوتية ٢٨٦.

٣ـ المجموعة الثالثة (ما تُرِكَ فيه الهمز وأصله الهمز)

الأمثلة:

ما تُرِك فيه الهمز وأصله الهمز[1]:

١ـ قال أبو عبيدة: [ثلاثة أحرف تركت العرب الهمز فيها وأصلها الهمز: البريَّة للخلق؛ وهي من برأ الله الخلق. والنبيُّ؛ أصله من النبأ، وقد نبّأت أخبرت، والخابية أصلها الهمز من خبأت. قال: وقال يونس: أهل مكة يخالفون غيرهم من العرب يهمزون النبيء والبريئة، وذلك لأنهم يشبعون الكلام][2].

٢ـ قال تعالى: ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ﴾ [سبأ: ١٤][3]، وهي العصا، أصلها من نسأت بها الغَنَم، وهي من الهمز الذي تركت العرب الهمزة من أسمائها. وينْسأ بها الغنم؛ أي يسوقها، قال طرفة بن العبد: (الطويل)

وَعنْسٍ كَألواحِ الإرانِ نسأتُها عَلَى لاحِبٍ كأنَّه ظهرُ بُرْجُدِ

نسأتها: نسقتها ، ويهمزون الفعل منها كما تركوا همزة النبيّ، والبرية والخابية، وهي من أنبأت ومن برأت وخبأت قال الشاعر: [البسيط]

إِذا دَبَبْتَ عَلَى المِنْسَاةِ مِنْ كِبَرٍ فَقَدْ تَبَاعَدَ عَنْكَ اللَّهْوُ وَالْغَزَلُ

وبعضهم يهمزها، فيقول مِنْسَأَة، قال: [البسيط]

---

(١) جعل أبو عبيد القاسم بن سلام أصل الباب بهذا العنوان وأدرج جميع أمثلته من مقولة أبي عبيدة مسندة إليه. وقد جاءت في المجاز عنه أيضًا. انظر: الغريب المصنف ٦٨٤/٣.

(٢) المرجع السابق نفسه، ونشير هنا إِلَى أنه قد ورد عن سيبويه[وقد بلغنا أن قومًا من أهل الحجاز يحققون الهمزة في نبيئ وبريئة] وقد تردد هذا النص في المصادر المختلفة مثل كتب اللهجات والمعجمات. انظر: اللهجات العربية في التراث ٦٤/١و٣٣٩و٣٤٠ وذكر السيوطي أن ابن دريد ذكرها في الجمهرة وذكرها الجوهري في الصحاح وابن السكيت في إصلاح المنطق منسوبة لأبي عبيدة انظر: المزهر ٢٥٢/٢.

(٣) واضح من تعليق أبي عبيدة أنه اختار قراءة التسهيل عَلَى غيرها، وكذلك كان إثبات الآية بغير همزة هو ما يريده أبو عبيدة وهي قراءة نافع وأبي عمرو [مِنْساته] بغير همز، وقرأ الباقون [مِنْسأته] مهموزة مفتوحة الهمزة، وروى ابن ذكوان عن ابن عامر تسكين الهمزة. انظر: السبعة ٥٢٧ ومختصر في شواذ القرآن ١٢٢.

أَمِنْ أجلِ حَبْلٍ لا أباكَ ضربتَه بمنسأةٍ قد جر حَبْلُكَ أَحْبُلا[١]

٣ـ قال ـ تعالى ـ: ﴿**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا**﴾[٢] [البقرة: ١٠٦].

من النسيان نذهب بها، ومن همزها جعلها من نؤخرها ومن قال ننسوها، كان مجازهـا نُمضيها. وقال جرير (البسيط)

لولا عظامُ طَريفٍ مَا غَفَرْتُ لكم يَوْمِي بِأُودَ ولا أَنْسَأْتُكُم غَضَبِي

ونسأت الناقة: سُقْتُها[٣].

٤ـ قال ـ تعالى ـ: ﴿**بَادِيَ الرَّأْيِ**﴾[٤] [هـود: ٢٧]، مهموز لأنه من بدأت عـن أبي عمرو[٥]، ومعناه: أول الرأي، ومن لم يهمز جعله ظاهر الرأي، من بدا يبدو، وقال الراجز:

وَقَدْ عَلَتْنِي ذُرْأَةٌ بَادِي بَدِيْ[٦]

فمن لم يهمز جعلها من بدا[٧].. ويقال بدأت وبديت وبعضهم يقول بَديا لغة[٨].

أ. الأمثلة السابقة في إطار القوانين الصوتية:

القانون الأوَّل: إذا وقعت الهمزة بين فتحتين ثم حذفت تتحد الفتحتان في حركة واحدة هي الفتحة الطويلة[٩] ومثاله كلمة مِنْسأة س ـَـ ء ـَـ ← س ـَـ ـَـ

القانون الثاني: إذا وقعت الهمزة بين حركتين مختلفتين [الكسرة والفتحـة] ثم حـذفت فإنهما تتماثلان في حركة واحدة وقد ينشأ صوت انتقالي[١٠].

ـِـ ء ـَـ ← ـِـ ـَـ ← ـِـ ـِـ [ي] [حذف الهمزة + مماثلة تقدمية]

وقعت الهمزة في كلمة [بادئ والخابئة] بين الكسرة والفتحة فتماثلت الفتحة مع الكسرة

---

(١) المجاز ٢/١٤٥.

(٢) قال ابن مجاهد: واختلفوا في قوله [نُنْسها] في ضم النون الأولى وترك الهمزة وفتح النون مع الهمزة، فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو [نَنْسأها] بفتح النون مع الهمزة، والباقون [نُنْسها]. انظر: السبعة ١٦٨.

(٣) المجاز ١/ ٤٩و٥٠. (٤) سورة هود /٢٧.

(٥) قال ابن مجاهد: واختلفوا في الهمز وتركه في قوله: ﴿ بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ فقرأ أبو عمرو وحده (بادئ) مهمـوزًا، والراي لا يهمزه، وكلهم قرأ الرأي مهموزًا غيره. وقرأ الباقون (بادي الرأي) بغير همز. انظر: السبعة ٣٣٢

(٦) الذُّرأة: الشمط القليل في سواد، مِلْحٌ ذُرْآنِيٌّ الكثير البياض، وكـبش أذرأ، ونعجـة ذرآء في أذنهـا بيـاض المجاز ١/٢٨٧.

(٧) المجاز ١/٢٨٧و٢٨٨. (٨) السابق ١/٢١. (٩) الهمزة دراسة صوتية٢٩٥.

(١٠) الهمزة دراسة صوتية٢٩٤.

في كسرة طويلة د ـِ ءـَ ← د ـِ x ـَ ← د ـِ ـِ ب ـَ ءـَ ← ب ـِ x ـَ ← ب ـِ ـِ

أما في كلمة [نَنْسَؤُها] وقعت الهمزة بين حركتين مختلفتين هما الفتحة والضمة [ـَ ء ـُ ← ـَ و ـُ]ثم حذفت الهمزة ونشأ صوت انتقالي هو الواو في مماثلة رجعية لحركة الهمزة.

أما في كلمة [السيئ والبريئة] فقد وقعت الهمزة بين حركتين الأولى طويلة والأخرى قصيرة. فحذفت الهمزة وعُوِّض عنها بصوت انتقالي.

ن ـَ ب ـِ ـِ ءـُ ← ن ـَ ب ـِ ـِ ي ـُ ← ن ـَ ب ـِ يي ـُ

ب ـَ ر ـِ ـِ ءـَ ← ب ـَ ر ـِ ـِ ي ـَ ← ب ـَ ر ـِ ي ي ـَ

حذف الهمزة　　　مماثلة تقدمية　　　" التضعيف"

والتضعيف هنا ناتج عن الضغط النبري الذي يسمى بنبر التوتر[1].

ويلاحظ عَلَى أمثلة أبي عبيدة في هذه المجموعة أنه يمكن النظر إليها من زاوية واحدة باعتداد الأصل كما قال أبو عبيدة إلاَّ أن الصيغ الاسمية هي التي جاءت مسهلة من غير همزة فالكلمات بدأ، وبرأ، وخبأ، ونبأ، ونسأ يحكمها قانون صوتي واحد: هو القانون الأوَّل المشار إليه حَيْثُ تقع الهمزة بين الفتحتين وتسقط وتتحول إلَى حركة واحدة من الفتحة الطويلة فتصير الكلمات [بَدَى، وبَرَى، وخَبَى، ونَبَى، ونَسَا][2] ولم يُسْتَخدم من هذا إلاَّ الصيغ الاسمية.

بدأ ب ـَ د ـَ ءx ـَ ← ب ـَ د ـَ ـَ [(ى) الألف اللينة] [بدى] ← بدا

[ب] الملحوظات المتعلقة بالجوانب اللغوية الأخرى:

١ـ يميز أبو عبيدة في مجموعة الكلمات السابقة بين الصيغ الاسمية والفعلية؛ فالصيغ الاسمية مسهلة الهمزة وأفعالها محققة الهمزة في لغة جمهور العرب مما يؤكد كثرة الاستعمال لهذه الألفاظ منذ وقت مبكر جدًّا.

٢ـ بين أبو عبيدة من خلال الأمثلة عملية التداخل المعجمي المترتب عَلَى حذف الهمزة، فمادة [نبأ] من الإخبار تتداخل بعد سقوط الهمزة بمادة [نبا ـ ينبو نبوة] التي تعني

---

(١) الهمزة دراسة صوتية ٣٠٧.

(٢) رَسمْتُ هذه الكلمات مسهلة الهمزة بالياء فرقًا لها عن الكلمات المتداخلة معها، أما [نسا] فرسمتها بالألف فرقًا لها عن قرنيها التي ترسم بالياء.

ـــ نسا الغنم

ـــ نسأ الشهر الحرام [نسا] بعد سقوط الهمزة

ـــ نَسِيَ بمعنى ترك [نَسَى][1]

واعتمد أبو عبيدة في التمييز المعجمي عَلَى السياق اللغوي في كل الأمثلة السابقة.

٣ ـــ وضَّح أبو عبيدة في هذه المجموعة من الكلمات ملاحظة منهجية تخص الانتماء اللهجي فأشار نقلاً عن يونس أن قريشًا كانت تحقق الهمزة في بعض الكلمات مُخَالَفَةً للعرب إشباعًا وتفخيمًا للكلام[2] مما يمكن أن نسميه [زيادة التفصح] حَيْثُ اختارت الفصحى النبر وهم إذا اصطنعوا الفصحى أو اضطروا نبروا كما هو ذائع مشهور، وبهذه الملاحظة يكتمل منهج أبي عبيدة حَيْثُ لاحظ أن تميمًا ــ ولغتهم تحقيق الهمزة ــ يسقطون الهمزة في بعض الكلمات حَتَّى صار ذلك لغة فيهم:

ثانيًا – همز ما لا يهمز [زيادة التفصح]

١ ـــ نَبْر أشباه الصوامت [أولئك / أزآبي / آد / أصد / كُفُؤًا / ذأى]

الأمثلة:

١ ـ قال الفرزدق: (الكامل)

بأولاكَ تُمْنَعُ أن تُنَفِّقَ بعدما قَصَّعْتَ بين حزونةٍ ورمالِ

يُقال: أولئك، وهي لغة قريش، وبها نُزِّل القرآن. وأولاك، وألآك، وأولالِك، وألآئِك بمعنى واحد، وأنشد لجَنْدل بن المثنى: (الرجز)

وكلُّ ألآئِك غيرُ مُنْزَوِبْ في الجَمْر لمَّا يُنْجِهِ شِعْبٌ لَصِبْ[3]

٢ ـــ قال جرير(الطويل)

---

(١) انظر: مادة [نسأ] و [نسا] في اللسان مقارنة مع ما ساقه أبو عبيدة من شواهد.

(٢) رجَّح الدكتور أحمد علم الدين أن التفخيم هو محاولة نطق الحروف والحركات كاملة دون الجور عليها. انظر: اللهجات العربية في التراث ١/٢٤٧، والمزهر ١/٩٥.

(٣) معنى اللَّصِب: الضَّيِّق. النقائض ١/٢٨٨.

إذا فَزِعوا لم تُعْلَفِ القتَّ خيلُهُمْ وَلَكِنَّ صدورَ الأَزْأَنِيِّ نُسومُها

يقال الأَزْأَنِي واليَزْأَنِي أَيْضًا[١]

٣ــ قال ــ تعالى ــ: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[٢] [ص: ١٧].

ذا الأَيدِ: ذا القوة، وبعض العرب تقول: آد[٣] قال العَجَّاج: (الرجز)

مِنْ أَنْ تبدَّلْتَ بِآدي آدا[٤]

٤ــ قال تعالى: ﴿نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾ [البلد: ٢٠]، قال أبو عبيدة: آصَدْتَ البابَ وأَوْصَدْتَه إذا أطبقته[٥] ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، قال: (كفؤًا وكفيئًا وكفاءً واحد وقول الله: (أحد) ؛ أي واحد[٦] ويقال ذأي البقل يَذْ أي بلغة أهل الحجاز ويقول أهل نجد قد ذوى يَذْوى ذُوِيًا حكاها أبو عبيدة عن يونس[٧].

في المثال الأَوَّل يرى كثير من العلماء أن [أولى] هي لغة تميم[٨] وكما هي في شاهد أبي عبيدة وبناءً عَلَى ذلك فالصيغ التي ذكرها أبو عبيدة مثل [أولاك] و [أولالك] و[ألاك] و[ألالك][٩] هي صيغ تميمية زيدت فيها الكاف مرة أو زيدت اللام مع الكاف مرة أخرى،

---

(١) النقائض ١/١١٨.

(٢) قرأ الأعمش والحسن في الشواذ ﴿ أولى الأيْد ﴾ الآية ٤٥ بغير ياء. انظر: مختصر في شواذ القرآن ١٣١.

(٣) قال ابن خالويه [الإدُّ والأُدُّ العُجْبُ والأَيْد والأَدّ القوة] مختصر في شواذ القرآن ٨٩. وأظنه يريد الآد في الأيد.

(٤) المجاز ٢/١٧٩وجاء عن الكسائي أنه سمع العرب تقول قطع الله أديْه في يديه ويقال للرجل الرقيق اليدين إنه لَيَدِيٌّ وَأَدِيٌّ انظر: الإبدال لابن السكيت ١٣٧.

(٥) المجاز ٢/٢٩٩. (٦) المجاز ٢/٢١٦.

(٧) الإبدال لابن السكيت ١٣٨ ومما تجدر ملاحظته في ذلك أن ابن السكيت قد ذكر ملاحظة أبي عبيدة هذه وهي قلب الواو المتحركة أو الساكنة همزة ثم أردف بعدها أمثلة للفراء على نفس الطريقة مثل ما أَبَهْتُ له وما وَبَهْتُ له ويقال آحيته وواحيته ويقال وشاح وإشاح ووسادة وإسادة وولِدة وإلدة مما يدعم قصد أبي عبيدة نحو الإبدال في اللغتين.

(٨) قال الشيخ محيي الدين تعقيبًا عَلَى كلام ابن هشام [ولجمع المذكر والمؤنث هؤلاء بالمد في لغة الحجازيين وبها نزل القرآن وبالقصر لغة تميم]. قال: جميع ما في القرآن من اسم إشارة الجمع ممدود وذلك لان القرآن نزل بلغة أهل الحجاز وهم يمدونه. انظر: شذور الذهب ١٧٠ في ص ١٧١. وقد ذكر هذا القول عن ابن هشام هو القصر لغة تميم والمد لغة الحجاز إلاَّ أنه عُلِّق عليه في حاشية فقال صاحب الحاشية: [في لغة تميم وقيس وأسد وربيعة]. ثم قال: ذكر ذلك الفراء في كتابه لغات القرآن ولم يخصه بتميم. ويبدو أن هذا التعليق لأحد القدماء الذين اطلعوا عَلَى كتاب الفراء المفقود. انظر: في ذلك اللهجات العربية في التراث ١/١٤٢، واللسان مادة [أولى وألاء] ١/١٧٦.

(٩) الصيغ الأولى في مثال النقائض السابق، والصيغة الأخيرة عن اللسان في مادة [أولى ألا] ١/١٧٦.

ومن ناحية الرسم رسمت بالواو مرة وبغير الواو مرة أخرى.

ويرى الدكتور "رمضان عبد التواب" أن لغة تميم هي الأصل الذي تطورت عنه صيغة [أُولاء] عند الحجازيين عَلَى طريقة الحذلقة والمبالغة[1] حَيْثُ قاسوا [أُولَى] عَلَى صحراء وحمرا التي قالوا فيها صحراء وحمراء في اللغة الأدبية، فقالوا: أولاء زيادة في التفصح وبالتالي يمكن أن نفسر الصيغ الأخرى التي ذكرها أبو عبيدة وهي صيغة [أولئك] و [ألائك] وهي الصيغ التي انتشرت في قريش فلما جاء القرآن نزل بها كما يقول أبو عبيدة وأصبحت [أولئك] هي اختيار الفصحى وكذلك صيغة [هؤلاء] بزيادة الهاء[2].

ومع هذه الملاحظات الخاصة بزيادة التفصح في بعض الكلمات إلا أن الأصل عنده كان نسبة المد إلى أهل نجد وتميم والقصر إلى اللغة الفصحى ومثال ذلك في قوله ــ تعالى ــ: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى﴾ [الإسراء: ٣٢]، قال أبو عبيدة[3] مقصور، وقد يُمد في كلام أهل نجد، قال الفرزق (الطويل).

أبا حاضر من يَزن يُعْرف زناؤه   ومن يشرب الخرطوم يصبح مُسَكَّرا

وقال الفرزدق (الكامل)

أخضبت عَرْدَك للزناء وَلَمْ تَكُنْ   يَوْمَ اللّقاء لِتَخْضِبَ الأبطالا

وقال الجعدى: (الكامل)

---

(١) قدَّم لدكتور رمضان عبد التواب) بالإضافة إلى أقوال العلماء السابقين وتقوهم) دليلاً من اللغات السامية حَيْثُ اسم الإشارة في العبرية `ellu وفي السريانية ha`len وفي الحبشية `ellu ودليلاً من نص كلام أهل الحجاز حَيْثُ قالوا: مِلْطاء في [مِلْطَى] التي يقولها التميميون بالقصر. انظر: في ذلك مشكلة الهمزة ١٤٦

كذلك ما حكاه أبو عبيدة عن يونس من أن أهل نجد يقولون دويَ القلْ يَدوى دويًا ودأي القلْ يَدْأي لغة أهل الحجاز الإبدال لابن السكيت ١٣٨.

ومما يدعم الدليل الثاني المذكور: ما لاحظناه في تعليقات أبي عبيدة من أن بعض القرشيين كانوا ينبرون بعض الكلمات مخالفة= = لعرب حَيْثُ يبالغون في الكلام، أو يتسعونه أو يفخمونه، وهي مصطلحات واحدة ترددت في المصادر عن أبي عبيدة وقد أثبتها في مواقعها.

(٢) يمكن أن نفسر في ضوء هذا القانون ما أورده أبو عبيدة في بعض الصيغ مثل [الحفا والحفأ] قال مقصور وممدود، وهو البرْديّ الأبيض. غريب الحديث للهروي ٦٠/١، والمقصور والممدود لأبي علي القالي ٢٧٠.

كذلك ما روي عن أبي عبيدة في المحسطي بغير همز [امستطيء للشيء] ، والمحسطِئ بالهمز وهو عظيم البطن، وتداخل الصيغ في ذلك كثير. انظر: غريب الحديث للهروي ٨٤/١.

(٣) انظر: المجاز ١ ٣٧٧ و ٣٨.

المثال الثاني:

الأصل في كلمة [الأزأني] هو [اليزأني] نسبة [لذي يزأن] أو [ذي يَزَن][1] وقد بالغ جرير في الهمز مرتين وخالف المشهور عند العرب عندما نسبه لذي يزأن ثم عندما أبدل الياء همزة تفصحًا.

المثال الثالث: بين أبو عبيدة أن الأصل في [آد] في بيت العجاج إنما هو [أيد] كما هو في القرآن الكريم وهي إشارة إِلَى زيادة التفصح بقلب الياء همزة ظنًا أنها في الأصل همزة وهو من القياس الخاطئ وخطوات التحويل كما يلي:

أَيْد ← أَأْد ← آد ءـَ ى د ← ءـَ ء د ← ءـَ ـَ د

زيادة تفصح حذف الهمزة وإطالة الحركة

المثال الرابع:

الأمثلة التي عرضناها لأبي عبيدة في النموذج الرابع هو مما تتداخل فيه اللغتان وبعضه كثير الاستعمال وبعضه قليل بالنسبة للغة المشتركة ونلحظ على هذا النموذج أن صوت الواو وهو من أشباه الحركات قد نُبِرَ في أوضاع مختلفة في أول الكلمة ووسطها وآخرها وحركته إما قصيرة وإما طويلة وإما خالٍ من الحركة على النحو التالي:

١ـ الواو الخالي من الحركة: أوصد ← أأصد ← آصد

ءـَ و صـَ دـَ ← ءـَ ء صـَ دـَ ← ءـَ ـَ ص دـَ

نبر الواو ـ التقاء همزتين ـ حذف إحداهما وإبدالها بحركة

٢ـ الواو المتبوعة بالحركة القصيرة

كُفُوًا ← كُفُؤًا كـُ فـُ وـَ ن ← كـُ فـُ ءـَ ن

٣ـ الواو المتبوعة بالحركة الطويلة

ذوي ← ذأي دـَ وـَ ـَ ← ذـَ ءـَ ـَ نبر الواو

وَاحَدٌ ← أحد وـَ ـَ حـَ د ← ءـَ ـَ حـَ د ← ءـَ حـَ د

نبر الواو تقصير الحركة

---

(١) ذو يزن " ملك من ملوك حمير، أصله يَزْأَن من لفظ الزؤان ويقال رُمْحٌ يزني وأيزني وآزني عَلَى القلب، وكذلك يَزْأني وأزأنيُّ. انظر: اللسان مادة [زأن] ١٨٠١/٣.

١ــ نبر الحركة الطويلة زيادةً في التفخم:

ــ الكلمات التي رصدها أبو عبيدة: [ملاك وشمال وميشار واتمارَّ وياجل] والتي صارت [ملأك وشمأل ومئشار واتمأرَّ ويأجل].

الأمثلة:

١ــ قال ــ تعالى ــ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ﴾ [البقرة: ٣٠]، قال أبو عبيدة[١]: الهمزة فيها مجتلبة؛ لأن واحدها ملك بغير همزة، قال الشاعر فهمز: (الطويل)

ولستَ لإنسيٍّ ولكنْ لملأكٍ تَنَزَّل من جوِّ السماءِ يصوبُ

٢ــ قال جرير: (الكامل)

وُجِدَ الكتيفُ ذخيرةً في قبره والكَلْبتانِ جُمعنَ والميشارُ

يقال من ذلك مِئْشار مهموز ومِيشَار بلا همز[٢].

قال الفرزدق: (الكامل)

قد كنتُ لو نفعَ النذيرُ نهيتُهُ ألاَّ يكونَ فريسةَ الرِّيبَالِ

قال أبو عبيدة: الريبال الذي يَتَرَبَّل ويترَيْبَلُ أَيْضًا[٣].

وفي بيت لجرير]يروى[: (الوافر)

وآبيلُ البلاد يخفنَ زَأْرِي وحيّة أرْيَحاءَ لي استجابا

قال أبو عبيدة: هي جمع رِئْبال بالهمز[٤].

٣ــ قال البعيث: (الطويل)

أتى أبَدٌ من دون حِدْثَان عهدنا وجَرَّت عليها كلُّ نافجةٍ شَمْلِ

قال أبو عبيدة[٥]: يقال ريح شَمْلٌ وشمال، وشَمْأَل، وشَأْمَل.

٤ــ قال ــ تعالى ــ: ﴿قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ * قَالُوا لا تَوْجَلْ﴾[٦] [الحجر: ٥٢، ٥٣].

---

(١) المجاز ١/٣٥. (٢) النقائض ٢/٨٥٢. (٣) السابق ١/٢٨٣.

(٤) السابق ١/٤٥١. (٥) السابق ١/١٣٣.

(٦) جاء في الشواذ: لا تُوجَلْ بضم التاء الحسن، لا تواجل بألف أصحاب عبد الله. لا تاجل أبو معاذ، قال ابن خالويه ذكر النحويون فيه أربع لغات تَوْجل وتيجل وتِيجل وتاجل. انظر: شواذ القرآن ص٧٥.

قال أبو عبيدة[١]: يقال: لا تَيْجَلْ، ولا تَاجَلْ بغير همز ولا تأجلْ يُهمز[٢]، يجتلبون فيها همزة، وكذلك كل ما كان من قبيل وَجِل يَوْجل، ووَحِل يَوْحَل، وَوَسَخَ يَوْسَخُ.

٥ـ قال الفرزدق:

رأت كمرًا مِثلَ الجلاميد فُتِّحَتْ أحاليلها لمَّا اتمأرّتْ جذورُها

اتمأرَّت امتدَّتْ ويروى اسْمَأدَّتْ ويقال: اتمأرت انتفخت[٣].

خطوات التحويل:

ـ ملك ← مَلاَك ← ملأك مالك ← مألك

١ـ الصيغة الأصلية ملك.

٢ـ ومُطِلَتْ حركة اللام فأنتجت صيغة ملاك.

٣ـ نُبرت الحركة الطويلة فصارت مَلأَك.

م ـَ ل ـَ ك ← م ـَ لَ ـَ × ـَ ك ← م ـَ ل ء ـَ ك

وقد تُمدُّ حركة الميم م ـَ ـَ × ل ـَ ك ثم تَصيرُ م ـَ ء ل ـَ ك

فتنتج صيغة مألك[٤] وقد ظن البعض أنها من ألك[٥].

---

(١) المجاز ٣٥١/١.

(٢) جاء في بعض نسخ مختصر في شواد القرآن تاجل وتأجل. انظر: الحاشية رقم ٢ في مختصر شواد القرآن٧٥.

(٣) النقائض ٥٢٧/١

(٤) روى ابن سيده فقال: رأيت في بعض الأشعار "مَألَك الموت" في "ملك الموت" وهو قوله:

عدا مالكٌ يبغي نسائي كأنما نسائي لِسَهْمي مَألَك عَرَضَاب

ثم قال: وهذا عندي خطأ، وقد يجوز أن يكون من جفاء الأعراب وجهلهم؛ لأن ملك الموت يخفف من مـلأك. اللسان مادة ملك ٤٢٦٩/٦، وبصرف النظر عن تخطئة الأعراب فإنه يقوم دليلا عَلَى ما أشارت إليه عبارة أبي عبيدة في التطور الصوتي من اجتلاب الهمزة.

(٥) قال الكسائي: أصله مألك بتقديم الهمزة من الألوك، وهي الرسالة ثم قلبت وقُدِّمت اللام فقيل ملأك. ومثل ذلك قول ابن بَرِّي، وقال ابن السيرافي تركت همزته لكثرة الاستعمال فقيل ملك فلما جمعوه ردوها إليه فقالوا ملائكة وملائك، وكان الشاهد الأساس للساد هو بيت أبي عبيدة في المجاز. انظر: اللسان مادة [ألك] ومادة [ملك].

لذا نقول بأن المادة الأصلية من ملك وأن جمع ملائك وملائكة إنما هو ناتج عن المدة الزائدة في المفرد نتيجة لمطل حركة اللام في [ملاك] ثم أصبح الجمع بالصيغتين.

٢ـ منْشار ← ممشار ← ميشار ← مئْشار

مماثلة   مخالفة   زيادة تمصح

١ـ أصل الصيغة اسم آلة من نشر [منْشَار][1]

٢ـ ضَعُفت النون لخلوها من الحركة، فتحولت في مماثلة تقدمية إِلَى ميم تحت تأثير الميم السابقة عليها[2].

٣ـ عَملَ قانون المخالفة فسقطت الميم الساكنة وعُوِّض عنها بإطالة حركة الميم السابقة عليها.

٤ـ نبرت الحركة الطويلة ظنًا من جرير أن أصلها الهمز زيادة في التفصح[3].

م ـِ ن ش ـَ ـَ ر ← م ـِ م ش ـَ ـَ ر ← م ـِ ـِ ش ـَ ـَ ر ← م ـِ ء ش ـَ ـَ ر

مماثلة × مخالفة   زياد التفصح

ـ يترَّل ← يتريل [مخالفة ـ فك التضعيف]

ريال ← رئال

رياييل ← رءابيل ← رآبيل

ر ـِ ـِ ب ـَ ـَ ل ← ر ـِ ء ب ـَ ـَ ل (مفرد) مع الحركة القصيرة

ر ـَ ي ـَ ـَ ← ر ـَ ء ـَ ـَ (جمع) مع صوت مزدوج

وقد لاحظ الخطيب التبريزي[4] ذلك التطور في كلمة منشار فقال. يقال منشار بالنون، وميشار بالياء بلا همز ومِئْشار بالهمز وأظن أن ما نُسبَ لأبي عبيدة من التحريف[5] في كلمة

---

(١) يفهم ذلك من شرح البيت الذي قدَّمه أبو عبيدة حَيْثُ بين الحقل الدلالي بضبَّات الحديد والكلبتان ونحو ذلك.

(٢) أبو عبيدة لا يكرر نفسه وقد تبين من منهجه إذا أشار إِلَى تطور صوتي فإنه لا يعود إليه تفصيلاً بل يشير بمجرد المثال إذا كان سبق له أن فصله، وقد بينا ذلك في قانون المماثلة والمخالفة.

(٣) انسحوظ أن ملاحظات أبي عبيدة انصبت عَلَى هذه الظاهرة عند جرير خاصة في مناسبات سابقة.

(٤) انظر. المزهر ٥٥٦/١.

(٥) نسبت عدة مصادر التحريف لأبي عبيدة وأحيانًا لأحمد بن عبيد راوية النقائض انظر: المزهر ٣٥٦/٢ واللسان مادة قنس ٣٧٥١/٥) وذلك في أبيات للعجاج يقول فيها: (الرجز)

وحاصِن مِنْ حاصنات مُلْس   مِنْ الأذى ومِنْ قِراف الوَقْسَ

في قنْس مَجْد فات كُلَّ قنْسَ

(القِنْس) من هذا التطور حيث سكنت النون وسبقت بكسرة مثل كلمة مشار فـصارت (القِيس) بحذف النون وإطالة الحركة.

١ــ فك التضعيف بحرف اللين عَلَى طريق المخالفة[1].

٢ــ اشتقاق الاسم من الصيغة المتطورة [ريبال].

٣ــ نبر الحركة الطويلة في المفرد والحركة المزدوجة في الجمع ظنًا من جرير أو راويه أنها في الأصل همزة عَلَى طريقة جرير زيادة في التفصح.

٣ــ شمل [شَمْل]← شَمَال ← شمأل

ش ــَ م ــَ ل [ش ــَ م ل] ← ش ــَ م ــَ ــَ ل ← ش ــَ م ء ــَ ل

١ــ أصل الصيغة [شمل] بناء فَعَلٌ وفَعْل[2].

٢ــ مطل حركة الميم في مماثلة تقدمية.

٣ــ نبر الحركة الطويلة زيادة في التفصح[3].

وقد يحدث مطل حركة الشين بدلاً من الميم فتنتج صيغة [شأمل] بنفس الطريقة وهو ما أطلق عليه العلماء القلب المكاني.

توْحَل

٤ــ صيغة [تأجل] وَجِلَ تيجل تاجل ← تأجل

الخطوات:

١ــ صيغة المضارع تحتوي عَلَى صوت مزدوج [الواو أو الياء المفتوح ما قبلهما].

٢ــ حُذف الصوت المزدوج وعُوِّض عنه بإطالة الحركة السابقة.

وقالوا إن أبا عبيدة قد رواه بالباء والصحيح عندي أنه رواه بالياء المثناة التحتية ووقع الخطأ من النساخ وهو ما يتفق مع منهج أبي عبيدة في الملاحظة الصوتية وبخاصة أنه أولى الأساليب اللغوية للعجاج وبخاصة المخالف منها عناية كبيرة.

(١) وضحنا ذلك في قانون المخالفة ومظاهرها عند أبي عبيدة من خلال الأمثلة.

(٢) استشهد أبو عبيدة على صيغة [شَمْل] كما هو في الشاهد الثالث، واستشهد عَلَى شمل ببيت لمالك بن الريب: (المتقارب) ثوى مالك ببلاد العَدُوِّ تسفى عليه رياحُ الشَّمَلْ

انظر: النقائض ١٣٣/١.

(٣) استدل ابن عصفور علَى زيادة الهمزة في [شمأل] بدليل قولهم: شملت الريح، ولو كانت الهمزة أصلية لقالوا: شمألتْ الريح. انظر: الممتع لابن عصفور ٢٢٧/١.

٣ــ نبر الحركة الطويلة] وهي هنا الفتحة [نبر توهم[١] كما يقول "الفراء" أو اجتلبت الهمزة كما يقول أبو عبيدة وأنتج ذلك صيغة [تأجل].

ت ــَ وْ جــَ ل ← ت ــَ ــَ جــَ ل ← ت ــَ ء جــَ ل

[ت ــَ ى جــَ ل]

٥ــ صيغة اثمأرَّ

اثمرَّ ← اثمارَّ ← اثمأرَّ

.. م ــَ ر ر ــَ ← .. م ــَ ــَ ر ر ــَ ← .. م ــَ ء ــَ ر ر ــَ

ينطبق عَلَى هذه الصيغة ما تم للصيغ السابقة من مطل الحركة ثم نبرها بعد ذلك[٢] والفارق الواضح بين هذه الصيغة والصيغ الأخرى أن في صيغة [اثمارَّ واسمادَّ] مَطْل الحركة يتضاعف لوجود الحرف المشدد[٣] فإذا كان مطل الحركة في الكلمات السابقة مقدار حركتين قصيرتين عَلَى سبيل المثال، فإنه في هذه الصيغة يعادل ثلاث حركات قصار فحلت النبرة عوضًا عن الحركة الوسطى وأصبحت الصيغة بهذا الشكل:

"م ــَ ء ــَ د د ــَ ، م ــَ ء ــَ ر ر ــَ" وهكذا نستطيع أن نوفر التعليلات الكثيرة لهذه الظاهرة وإن لم تخل من الوجاهة والفائدة.

٢ــ الصوت المزدوج المسبوق بحركة طويلة أو قصيرة

الشواهد:

١ــ قال أبو عبيدة[٤]: [الراية تحمل في القتال، والناس يقاتلون حولها.. والراية لا تُهمَز].

---

(١) يعزى الهمز في هذه الحالة إِلَى قبيلة] عيّ [ويطلق عليه اللغويون العرب] همزة التوهم [روى الفراء عن بعض العرب أنهم يهمزون ما لا همز فيه إذا ضارع المهمور، قال وسمعت امرأة من عيّ تقول رَثَأْتُ زوجي بأبيات كأنها لما سمعت رثأت اللبن ذهبت إِلَى أن مرثية الميت منها. انظر: الهمزة دراسة صوتية ٣١١، وكذلك اللسان مادة [رثأ].

(٢) لم يتعرّض أبو عبيدة لهذه القضية ولكنه مثّل لها بالمثال المشار إليه فأدرجتها ضمن ملحوظاته وبخاصة أنه عبر في مواقف أخرى عما يشبه ذلك.

(٣) من الثابت في القراءة أن المد في مثل تلك الكلمات الواردة في القرآن الكريم هو من أطول أنواع المد عند بعض القراء ويطلق عليه علماء التجويد المد الكلمي المثقل ويصل إِلَى ست حركات من المد في مثل كلمة ﴿ الضالّين ﴾،﴿ أتحاجُّوني ﴾، ﴿ لا تُضَارَّ والدة بولدها ﴾.

(٤) النقائض ١/٤٣٧.

٢ـــ قال ـــ تعالى ـــ: ﴿فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾[1] [الكهف: ٨٦]، تقديرها فَعِلَة وهي مهمورة؛ لأن مجازها مجاز ذات حمأة.

قال: (الوافر)

تجيء بملئها يومًا ويومًا تجيء بحمأة وقليل ماء

ومن لم يهمزها جعل مجازه مجاز فعله من الحر الحامي وموصعها حامية[2] وقال أبو عبيدة[3]: وكان رؤبة يهمز] سِئَة القوس [، وسائر العرب لا تهمزها.

٣ـــ قال الفرزدق: (الطويل)

نموني فأشرفْتُ العلايةَ فَوْقَكُمْ بحورٌ ومنا حاملون ودافعُ

والعلاية: أعلو وأقهر، ويروى العلاءة[4].

١ـــ يُفهم من كلام أبي عبيدة أن كلمة [راية] الأصل فيها الهمز[5]، وأن اللغة الأدبية قد اختارت ترك الهمز منها، وأن من يهمزها فهو من باب زيادة التفصح[6]. وقال سيبويه: [شبه ألف راية ـــ وإن كانت بدلاً من العين ـــ بالألف الزائدة فهمز اللام، كما يهمزها بعد الزائدة في نحو شقاء وشفاء].

ر ـَـ ـَـ ي× ـــ ـَ هـ ← ر ـَـ ـَـ ء× ـــ ـَ هـ

كذلك الأمر بالنسبة لكلمة "سية"

س ـِـ ي× ـــ ـَ هـ ← سْ ـِـ ء× ـــ ـَ هـ

---

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ﴿ حمئة ﴾ وكذلك عاصم في رواية حفص مهموزة بغير ألف، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وابن عامر وحمزة والكسائي ﴿ حامية ﴾ بألف غير مهموزة. السبعة ٣٩٨.

(٢) المجاز ٤١٣/١.

(٣) التنبيهات لعلي بن حمزة ٢٨٦و٢٨٧.

جاء في اللسان: سِيَة القوس: طرفُ قابها، وقيل ما اعوج من رأسها، ولها سِيَتان، والهاء عوض من الواو المحذوفة كعدة والجمع سيات، وفي الحديث: " وفي يده قوس آخذ بسِيَتِها". وكان رؤبة بن العجاج يهمز [سِئَة]، وسائر العرب لا يهمزونها. انظر: اللسان مادة [سيا] ٢١٧٣/٣ وهو نص كلام أبي عبيدة كما نرى.

(٤) النقائض ٦٩٩/٢.

(٥) بين أبو عبيدة ذلك سابقًا عندما تحدث عن تصاريف الفعل: رأى، وقد نص عَلَى ذلك ابن منظور؛ حَيْثُ يقول:] الراية العلم لا تهمزها العرب، وأصلها الهمز. اللسان مادة ريا ١٧٩٧/٣.

(٦) حكى سيبويه عن أبي الخطاب [راءة] السابق نفسه.

سِيَة ← سِئَة

حَمِيَة ← حَمِئَة

حَ ـ مِ ـ يَ ـ هـ ← حَ ـ مِ ـ ءَ ـ هـ

العلاية العلاوة العلاءَة

عَ ـ لَ ـ ا ـ وَ ـ هـ ← عَ ـ لَ ـ ا ـ يَ ـ هـ ← عَ ـ لَ ـ ا ـ ءَ ـ هـ

١ـ أصل الكلمة الواو، ثم أبدلت ياءً على سبيل المعاقبة[1].

٢ـ نُبِرَ الصوتُ المزدوج زيادةً في التفصح قياسًا عَلَى قلب لام الكلمة المعتلة بعد الألف الزائدة همزة[2].

٣ـ بيَّن أبو عبيدة محافظة الفرزدق عَلَى الصيغة وتطور الصيغة في الرواية[3].

٣ـ نبر الواو المتبوعة بالضمة، وما يقاس عَلَى ذلك زيادة في التفصح:

الأمثلة:

١ـ قال الفرزدق:

فألقت بكفيه المنية إذا دنا يعَضَّةِ أنيابٍ سريعٍ سُؤُورُها

قال أبو عبيدة: [ومن همز فقال: [سؤورها] همز لتحرك الضمة والواو وشبهها بواوين مثل أُقِّتَتْ][4].

---

(١) يتضح ذلك من بيانه لفعل العلاية حَيْثُ قال: إنه [أعلو]. وكذلك قال ابن جني [الأصل في العلاية الواو حَيْثُ الياء بدلٌ عن واو، ودليل ذلك أنا لا نعرف في الكلام تصريف [ع ل ى] إنما هو "ع ل و" فكأنه في الأصل العلاوة إلاَّ أَنَّهُ غُيِّر إِلَى الياء]. اللسان مادة علا ٤/٣٠٩٤.

(٢) مثل الكلمات السابقة، وقد وضح من كلام سيبويه السابق.

(٣) في أغلب الشواهد التي لاحظها أبو عبيدة كان جرير يحاول المحافظة فيقع في زيادة التفصح، أما الفرزدق فكان يحافظ والرواة يتفصحون.

(٤) النقائض ٥١٨/١ وقد جاء عن ابن مجاهد:] وقال علي بن نصر عن أبي عمرو: سمعت ابن كثير يقرأ: [بالسُّؤوق] بواو بعد الهمزة، كذا قال لي عبيد الله بإسناده عن أبي عمرو. كذا في أصله، ورواية أبي عمرو عن ابن كثير هذه هي الصواب، من قِبَل أن الواو انضمت فهُمِزَت لانضمامها]. انظر: السبعة ٥٥٣و٥٥٤، وهذا يشبه تعليل أبي عبيدة هذه الظاهرة. =

٢ ــ قال ــ تعالى ــ: ﴿اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً﴾[١] [الأعراف: ١٨].

قال أبو عبيدة: هي من ذأمت الرجل، وهي أشد مبالغةً من ذممت، ومن ذِمت الرجل تُذيم، وقالوا في المثل: [لا تَعْدَمُ الحسناءُ ذَامًا] أي ذمًّا، وهي لغات[٢].

٣ ــ قال أبو عبيدة: يونس ويؤنس، ويوسف ويؤسف[٣].

وقال: واسم ابن الزَّعْلاء كُوتِيّ وكُؤتِيّ، والكُوتِي يُهمز ولا يُهمز[٤].

المثال الأَوَّل:

[سُوُورُها] ← سُؤُورها

س ـُ و ـُ ـُ ← س ـُ ء ـُ ـُ

تحركت الواو بالضمة الطويلة فأشبهت واوين[٥] فعمل منها قانون المخالفة[٦] فَحُمِلَتْ عَلَى ما أصله الهمز[٧].

ونلحظ من مقارنة أبي عبيدة بغيره من العلماء:

ــ أنه يحملها عَلَى المخالفة كما في أُقتت.

= وقد نَوّه ابن مجاهد إِلَى أن ما روي عن ابن كثير في الآية السابقة [بالسُّؤْق والأعناق] لا وجه له ويفهم من كلام أبي عبيدة في الأمثلة المشابهة أنه من باب المبالغة كما سنرى في الأمثلة.

(١) قُرئت في السبعة بالهمز، وجاءت في بعض الشواذ مَذُومًا بلا همز عن الزهري والأعمش. انظر: في ذلك السبعة ٢٧٨، ومختصر في شواذ القرآن ٤٨. وقال أبو البقاء العكبري [مَذءُوما] يقرأ بالهمز وهو من ذأمته إذا عبته، ويقرأ مذومًا بالواو من غير همز فيه وجهان: أحدهما أنه ألقى حركة الهمزة عَلَى الذال وحذفها، والثاني أن يكون أصله مذيما؛ لأن الفعل منه ذامه يذيمه ذيما فأبدلت الياء واوًا كما قالو في مكيل مكول وفي مشيب ومشوب. انظر: التبيان في إعراب القرآن ١/٢٦٩.

(٢) المجاز ١/٢١١.

(٣) المجاز ١/٢٨٤، وفي سورة يوسف /٤. قرأ طلحة بن مُصَرِّف ﴿ إذ قال يُؤسِف ﴾ بالهمز وكسر السين، وحكى أبو زيد يُؤسَفُ بالهمز وفتح السين. إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ٢/٣١٠. وقال أبو البقاء العكبري: وفي [يُوسُف] ست لغات: ضم السين وفتحها وكسرها بغير همز فيهن وبالهمز فيهن، ومثله يونس. انظر: التبيان في إعراب القرآن ٢/٤٨وانظر: المجاز ١/٣١٦.

(٤) المجاز ١/١٤٩. والكوتي من الخيل والحمير القصار.

(٥) نص كلام أبي عبيدة.

(٦) ما توصلنا إليه من مضمون كلامه، وما سبق أن قدمه من نماذج في قانون المخالفة السابق، ويتوافق في ذلك مع ما قاله سيبويه: [وإنما كرهوا الواو حَيْثُ صارت فيها ضمة، كما يكرهون الواوين فيهمزون نحو قؤول ومؤون]. انظر: الهمزة دراسة صوتية ٤/٣٣١.

(٧) قال الفراء: الواو إذا انضمت هُمزت وإن كان الأصل غير مهموز. النقائض ١/٥١٨.

ـ يفهم من تعبيرات بعض العلماء أهم يحملوها عَلَى زيادة التفصح.

أما في كلمات يؤسف ويؤنس وكؤتي فإن خطوات همزها تسير في إطار زيادة التفصح.

كوتي ك ـُـُـ ت ـِـ ـ ← ك ـُ ء ت ـِـ ـ

يُوسُف ي ـُـُـ س ـَ ← ي ـُ ء س ـَ

← ي ـُ ء س ـَ "يُؤسَف"

← ي ـُ ء س ـِ يؤسِف

يلحظ عَلَى هذه الكلمات أنها تسير في باب زيادة التفصح، وإن استندت عَلَى ما قاله أبو عبيدة "بأنه يشبه اجتماع واوين"، وإن لما يكونا متجاورين[1] فإن المماثلة هنا بارزة فلذلك عَمِل قانون المخالفة لتقليل حركات الضم.

[مَذْءوما]

يفهم من عبارة أبي عبيدة حول هذه الكلمة الخطوات التالية:

١ـ أصل المادة [ذمم] وَحُذِفَ أحدُ المثلين من أجل المخالفة[2]، وأُطيلَتْ الحركةُ السابقة فأنتجت مادة دام.

د ـَ م ـَ م ـَ ← ذ ـَ ـَ م ـَ [دام]

حذف أحد المثلين إطالة الحركة

٢ـ تسبب القياس أو الحمل في معاملة الفعل بعد حذف أحد الصوتين المثلين معاملة الأجوف فأصبح دَامَ يُذيم.

٣ـ سار قانون زيادة التفصح في مساره اللغوي مع مادة [ذام] فقالوا فيها [ذأم][3] أو كما يسميها أبو عبيدة المبالغة.

٤ـ تمت صياغة اسم المفعول من الصيغة المتطورة [مذءومًا] إِلَى جانب الصيغة الأصلية

---

(١) صامت الكاف متبوع بضمة طويلة، وصامت التاء التالي له متبوع بكسرة طويلة وكلاهما من الحركات المتجانسة؛ لأنهما من الحركات الضيقة كما في كلمة [كوُتي]. أما في كلمة يوسف: فإن أول صامتين في الكلمة متبوعان بالضم فالياء تتبعها ضمة طويلة والسين متبوعة بالضمة القصيرة. أما تفسير فتحة السين بعد الانتقال إلى الهمز فإنه راجع لشدة الهمزة وعمق مخرجها ومن ثم مالت إِلَى أقرب حركة إليها في أقصى الفم وهي الفتحة كما في (يُؤْسَفُ) أما (يؤسِفُ) بالكسر فهي على المعاقبة مع الضمة.

(٢) انظر: التطور اللغوي ٥٧.

(٣) اللسان مادة ذأم ١٤٨٢/٣.

مذموما[١].

ب ــ بين الهمزة والهاء:

الأمثلة:

١ــ أخبر أبو عبيدة معمر بن المثنى عن يونس بن حبيب:

[أما والله لأفعلن ، وهَمَا والله لأفعلن كما يقال أَيْضًا أَيْمُ الله وهَيْمُ الله][٢].

٢ــ قال ــ تعالى ــ: ﴿وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢]، ولا عامدين وأممت تقديرها هممت[٣].

٣ــ قال جرير[٤]: (الطويل)

فَأَيْهَاتَ أَيْهَاتَ العقيقُ وَمن به وأيهات وصلٌ بالعقيق تُوَاصِلُهْ

في المثال الأَوَّل والثاني أُبدلت الهمزةُ هاءً عَلَى عادة العرب في إبدال الهمزة أو حذفها، أما في بيت جرير فإن الهاء هي التي أبدلت همزة فإن كانت الهاء أصلية فإن هذا من زيادة التفصح عند جرير[٥] وإن كانت الهمزة أصليه فإنها تنسجم مع لغة تميم من تحقيق الهمزة والذي نراه أن الكلمة في الأصل [أيهات][٦] ثم أبدلت الهمزة هاءً فصارت [هيهات] واختارت الفصحى هذا التطور الجديد واحْتَفَتْ به القبائل "والقراءات" حَتَّى نُسي الأصل ثم

---

(١) جاءت صيغة [مذءوما] في آية واحدة في القرآن الكريم هي الآية ١٨ من سورة الأعراف كما رأينا بينما وردت صيغة [مذموم] ثلاث مرات الإسراء /١٨و٢٢، والقلم /٤٩.
وانظر: اللسان مادة ذأم [مذءومًا] مذمومًا مطرودًا والذأم العيب يهمز ولا يهمز. اللسان ١٤٨٢/٣.

(٢) الممتع ٣٩٩/١، ومشكلة الهمزة ٤٥، وقد جاء في الشواذ هِيَّاك نعبد في قراءة لأبي سوار الغنوي لقوله تعالى ﴿إياك نعبد﴾ انظر: مختصر في شواذ القرآن ٩.

(٣) البحار ١ ١٤٦.

(٤) النقائض ٦٣٢/٢ وقد روي عدة روايات فروى في شرح السيرافي لجرير برواية النقائض [أيهات] في اللسان هيهات وجاء الشاهد في شذور الذهب بالهاء وأشار المحقق أنه يروى بالهمزة المبدلة من الهاء في التوضيح وفي قطر الندى معزوًّا لجرير ولكن المحقق مع ذلك أثبته بالهاء في كل ذلك. انظر: المصادر السابقة عَلَى الترتيب: اللهجات العربية في التراث ٥٢٠/٢، واللسان مادة هيه ٤٧٤١/٦، وشذور الذهب ٤٠٩، وقطر الندى ٢٥٦.

(٥) لاحظنا هذه الظاهرة في قضايا مختلفة عند جرير خاصة.

(٦) جاءت في الشواذ في قوله تعالى: ﴿ هيهات هيهات لما توعدون ﴾ المؤمنون /٢٦. قرأ بعضهم [أيهات أيهات] ثم قال ابن خالويه: كل ذلك من كلام العرب انظر: المختصر في شواذ القرآن ١٠٠.

رجع إليه جرير زيادة في التفصح وهروبًا من تكرار الهاء والإبدال بين صوتي الهمزة والهاء[١] مرجعه إلَى اتحاد مخرجهما والفرق بينهما أن الهمزة صوت شديد والهاء هو صوت رخو ولابد أن اتجاه تحويل الهمزة إلى الهاء هو الأكثر[٢] وذلك لشدة الهمزة أما تحول الهاء إلى همزة فهو عكس التطور الصوتي أي زيادة في التفصح.

(ج) بين الهمزة والعين:

قال الفرزدق: (الكامل)

لمَّا رَأَيْنَ صلابةً في رأسهِ أقعينَ ثم صَأَينَ بعد هرير

صَأَيْنَ مِثْلَ صَعَيْنَ[٣].

يشير أبو عبيدة إلَى تلك الظاهرة المشهورة عن تميم[٤] وهي:

إبدال الهمزة عينًا[٥] زيادةً في التفصح حَيْثُ ينتقل المخرج إلَى الأمام مع رنين الأوتار الصوتية، يقول الدكتور الجندي: "العين صوت مجهور وهو أقرب أصوات الحلق المجهورة للهمزة، وجاءت في أول الكلمة وآخرها ووسطها[٦]".

ومع أن الفرزدق قد أنشد البيت عَلَى الوجه الفصيح إلاَّ أن أبا عبيدة ما كان ليفوته الإشارة إلَى ظاهرة "العنعنة" عن تميم.

---

(١) أورد صاحب اللسان عن ابن الأنباري وابن سيده أنها ليست من باب الإبدال وإنما هي لغات العرب. قال ابن سيده: [وعندي أن إحداهما ليست بدلاً من الأخرى إنهما لغتان]. اللسان مادة] هيه [٦/٤٧٤٢.

(٢) مثل ما ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام والأصمعي أرقت الماء وهرقت والأشاس والهشاش وما ذكره ابن عصفور في الممتع هيات في إياك هريد..؟ في أزيد..؟ هذا الذي..؟ في أذا الذي. انظر: غريب الحديث للهروي ٢/٣٨٢، والممتع ١/٣٩٧) ٤٠٠ والإبدال لابن السكيت ٨٩.

ويرى الدكتور رمضان عبد التواب: أن إبدال الهمزة هاءً ظاهرة انتشرت في قبيلة طيء العربية فيقولون [هِنْ فعلتَ فعلتُ]. وأورد لهم في ذلك أمثلة كثيرة. انظر: مشكلة الهمزة ٤٣) ٤٦.

(٣) النقائض ٢/٩١٤.

(٤) وقد أورد تلميذه أبو عبيد القاسم بن سلام نصوصًا صريحة في لغة تميم، وفي حديث قيلة بنت مخرمة التميمية [تحسب عني نائمة] في [تحسب أني نائمة]. وشواهد أخرى لشعراء تميم ثم قال هذه لغة تميم. انظر: غريب الحديث للهروي ١/٤٠١) ٤٠٣.

(٥) انظر: في شواهد هذه الظاهرة: مشكلة الهمزة من ٣٨) ٤٢، وانظر: كذلك اللهجات في التراث ١/٣٦٧) ٣٧٠. وتعرف هذه الظاهرة بالعنعنة في اللهجات.

قال الداني: [فحيث ما وقعت العين وقعت الهمزة مكانها فتقول في "آمنوا" عامنوا]. السابق نفسه.

(٦) اللهجات في التراث ١/٣٦٩.

وقد لاحظ أبو عبيدة أَيْضًا إبدال الهمزة غينًا وذلك ناتج أَيْضًا عن زيادة التفصح عند بعض الرواة، فقال: ويروى [اسْمَأَدَّتْ] و [اسمغدَّت][١] وربما يرجع ذلك إِلَى تقارب دلالة المادتين فالتبسا عَلَى الرواة[٢].

(د) ــ الأصوات الحلقية: بين العين والحاء

الأمثلة:

١ــ قال ــ تعالى ــ: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً﴾ [العاديات: ١]، ضبحًا: أي ضبعًا، أي ضبحتْ، وضبعت واحد[٣].

٢ــ قال الفرزدق: (الوافر)

من السُّودِ السَّراعِفِ ما يُبالي ... أليلًا ما تلطَّخ أم نهارًا

ويروى السَّراحف، وهي القِصار، والسراهف والسراعِف الجُعلان[٤].

٣ــ قال جرير(الطويل)

لنا كُلُّ مشبوبٍ يُرَوَّى بِكَفِّهِ ... وِناها سَنَانٍ دَيْلَمِيٌّ وعامِلُهْ

قال أبو عبيدة: المشبوب الذي إذا دعوته إِلَى شيء أجابك وهو المرتاعُ والمرتاحُ[٥].

---

(١) النقائض ٥٢٧/١.

(٢) جاء في اللسان: أن اسمأد معناها وَرِمَ من الغضب، وكذلك في مادة [اسمغد] يقال رأيته مُغدًّا مُسْمَعِدًا: إذا رأيته وارمًا من الغضب. انظر: اللسان ٢٠٩٠/٣و٢٩٩٠ في مادتي: سمد وسمغ. وقد تطابق هذان المعنيان مع ما ذكره أبو عبيدة في النقائض من أن المقصود في البيت [انتفخ وعظم]. النقائض ٥٢٧/١.

(٣) المجاز ٢/ ٣٠٧ وجاء في اللسان عن أبي عبيدة وضَبَعَتْ الخيل كـ [ضَبَحَتْ]. ثم قال ابن منظور والضبح في الخيل أظهر عند أهل العلم، ومن خلال جرْد المعاني في اللسان يتبين أن بعضهم يذهب إِلَى تخصيص الضبع للإبل والضبح بالحاء للخيل، ولكن أبا عبيدة) وقد عرف عنه الاهتمام بالفروق الدلالية إلاَّ أنه هنا يعمد إِلَى الإبدال الصوتي الحادث نتيجة القوانين الصوتية. انظر: مادة [ضبع] [وضبح] في اللسان.وانظر: المزهر ٤٦٦/١.

(٤) النقائض ٢٦٠/١ وقد جاء هذا الإبدال بين العين والهاء في مختصر شواذ القرآن [مُسَرْهَف ومُسَرْعَف] ص ١٠٨.

(٥) النقائض ٦٣٨/٢ وقد جاء المعنى الذي ذكره أبو عبيدة في كلمة [المرتاع] في قول ذي الرمة: (الطويل)

إذا الأروعُ المشبوبُ أصحى كأنه ... عَلَى الرَّحل مما منَّه السيرُ أحمقُ

وفي قول العجاح: ... ٠من قريش كلُّ مشبوب أغرّ ٠

ورجل مشبوب إذا كان ذكي الفؤاد شهمًا. انظر: اللسان مادة [شب] ٢١٨١/٣.

وقد ذكر صاحب اللسان الإبدال في المرتاع فقال: وارتاع كارتاح. انظر: اللسان مادة [روع].

ضحت ← ضبعت ض ـــَ بْ ـــَ حْ ـــَ ت ← ض ـــَ ب ـــَ ع ـــَ ت تأثير تقدمي

تأثرت الحاء المهموسة بالباء المجهورة قبلها فتحولت إلَى نظيرها المجهور وهو العين[1] في مماثلة تقدمية، أما في كلمة السراعف فقد تأثرت العين بالصامت بعدها وهو صوت الفاء في مماثلة رجعية إلى نظيرها المهموس وهو الحاء.

السراعف ← السراهف س ـــَ ر ـــَ ـــَ ع ـــِ ف ← س ـــَ ر ـــَ ـــَ ح ـــِ ف مماثلة رجعية

س ـــَ ر ـــَ ـــَ هـ ـــِ ف مماثلة تقدمية

أما في تحول السراعف إلَى السراهف[2] فقد حدث تأثير للعين من ناحيتين: تأثير رجعي، حَيْثُ أثرت الفاء في العين فأفقدتها صفة الجهر، وتأثير تقدمي، مصدره صوت المدة الطويلة؛ وهي الفتحة التي أدت إلَى انتقال مخرج العين إلَى مخرج الهاء حَيْثُ يتخذ الفم عند النطق بالهاء نفس الوضع الذي يتخذه عند النطق بالحركات[3].

وفي كلمة [المرتاع] وقعت العين آخرًا في نهاية المقطع[4] وقد سبقت بالتاء المهموسة فتحولت إلَى نظيرها المهموس وهو الحاء في مماثلة تقدمية فصارت [المرتاح].

م ـــُ رت ـــَ ـــَ ع ← م ـــُ رت ـــَ ـــَ ح مماثلة تقدمية.

ووجه آخر في سبب زيادة الاحتكاك في العين هو زيادة التفصح في الوقف عَلَى العين

---

(١) قال ابن جني: ولولا بُحَّة في الحاء لكانت عينًا. والحاء يجري معها النفس والعين تحصر النفس. انظر: المدخل إلى علم اللغة ٥٥. ومعنى كلام ابن جني أن صفة الاحتكاك في الحاء أوضح منها في العين وذلك لاشتغال الوترين الصوتيين بالرنين المنتظم، وهذا يفسر لنا تحول العين إلَى هاء إذا فقدت صفة الجهر حَيْثُ يتضح فيها الاحتكاك مما يقربها من حفيف الهواء مع الهاء.

(٢) انظر: المدخل إلَى علم اللغة ٥٨ ، ٥٩ وانظر: الهامش السابق في التعليق عَلَى كلام ابن جني في بُحة الحاء.

(٣) بين أبو عبيدة في موضع آخر الإبدال بين العين والهاء في رواية بيت لجرير:

فما أنتم إذا عدلتْ قرومي شقَا شقَها وهافتت اللُّعابا

ويروى [إذا هدلت] [النقائض ٤٤٩/١]. وقد سبقت العين كما نرى بالفتحة الطويلة كما هو حادث في [السراعف] وذلك في إنشاد الشعر.

وأنشد أبو عبيدة لراجز من بني سعد: .حَسْبُكَ بَعْضَ القولِ لا تمدَّهي.

يريد لا تمدحي. انظر: اللهجات العربية في التراث ٤٦٨/٢.

(٤) المقطع الأخير من النوع الرابع [ص + ح ط + ص] مما جعله موضعًا للنبر أي زيادة الضغط عَلَى العين مما زاد من همسية العين والعين تحصر النفس ويجري النفس مع الحاء كما قال ابن جني فأدت زيادة النبر إضافة إلى المماثلة .. التقدمية الجزئية إلَى الإبدال في هذه الكلمة.

والرغبة في إظهارها.

ونسجل الملاحظات التالية حول هذا المبحث

١ـ وَضُحَ من العرض السابق لفكر أبي عبيدة اللغوي أنه اعتنى بالأصوات عميقة المخرج وَعَلَى رأسها الهمزة وما يحدث لها من تحقيق وتسهيل وإبدال ومبالغة وقد وصلت هذه العناية أن تتعادل ملحوظاته الصوتية في الأصوات الحلقية والهمزة مع ملحوظاته في جميع الأصوات العربية الأخرى وقد يزيد مما يلفتُ أنظارنا إِلَى هذه الأصوات التي تجد صعوبة عَلَى ألسنة الأجيال العربية اللاحقة.

٢ـ يَعْرِضُ أبو عبيدة النص اللغوي، فإن كانت الهمزة فيه محققة، أشار إِلَى ما يُروي في النص من روايات تسهيل الهمرة أو حذفها فإن لم تسعفه الرواية في نفس النص أو القراءة لجأ إِلَى غيره من النصوص[١].

٣ـ إذا كان النص فيه الهمزة مسهلة والمنسوب إليه النص من أهل التحقيق أشار إِلَى أنها لغة في بعض قومه[٢]، وكذلك إذا نُسِبَ التحقيق في الهمزة إِلَى من درجوا عَلَى التسهيل بيَّن الأسباب اللغوية التي تفسر ذلك[٣].

٤ـ لا يرد النصوص لاختلاف اللهجات وإنما يرصد ويحلل ويقارن ويقيس وينسبُ اللهجات أحيانًا إِلَى البيئة اللغوية فهي لغة قريش، أو لغة القرآن الكريم[٤]، أو لغة تميم[٥]، أو لغة أهل نجد[٦].

وقد ينسبها لأفراد ينتمون لهذه البيئات[٧] فيقول قال راجزهم[٨]، أو رحل من

---

(١) أوضح مثال لذلك معالجة كلمة [شئاد] [وشاد]. المجاز ١/١٤٨. إضافة إِلَى أمثلة أخرى مثبتة في مواضعها.

(٢) كما أشار في بيت الفرزدق حَيْثُ جاءت الرواية [تيلف] مع كونه من تميم، فالأولى أن يقارد [تألف] فأشار إِلَى أن ذلك [التسهيل] لغة في بعضهم وقد تعرضنا لذلك بالتفصيل.

(٣) مثل إشارته إِلَى كلمات [النبي والبرية والخابية] التي كان العرب عامة يخففوها وقريش تحققها إشباعًا للكلام أو مبالغة مع أن العرب في الأصل خففوا متابعة لقريش وقد نقلت المصادر العربية هذه الملاحظة عن أبي عبيدة واستشهدوا بشواهده مثل اللسان وإصلاح المنطق والغريب المصنف وكتب اللهجات وقد أثبتنا ذلك في موضعه. ومثل معالجته لصيغة الاستفهام أرأيت وأريت.

(٤) النقائض ١/٢٨٨. (٥) السابق ٢/٥٤٨. (٦) المجاز ٢/٢٥٢.

(٧) مثل رجل من بني كعب. النقائض /٢١٤. أو رجل من أهل اليمن ١/١٥٠. (٨) النقائض ١/٢٤٤.

عبدالقيس[١] أو أخو بني عجل[٢]، أو أخت بني تميم[٣]، أو يسمى الشاعر المعروف النسب، وفي أحيان أخرى لا يذكر ذلك[٤]، وإذا كثرت الروايات في نص عن القبائل المختلفة يقول أكثر ما يقال[٥]، والأفصح،كذا أو العرب تقول[٦]، أوهما لغتان[٧].

٥ــ قد يشير إِلَى أن الاختلاف الناتج عن التطور الصوتي واللهجي لا يؤثر عَلَى الدلالة، وقد يبين بالأمثلة كيف أدى ذلك التطور الصوتي إِلَى تعدد دلالي[٨].

(١) المجاز ١٧٨/٢. (٢) النقائض ٤٦٠/١و ٢٠٦/١ أخو بني عبد مناة.

(٣) أخت بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة تميم النقائض ١٠٩٧/٢.

(٤) ربما يكون اعتمادًا عَلَى شهرة النص أو القراءة. (٥) النقائض ٤٣٧/١.

(٦) المجاز ٣١٢/٢، والتنبيهات ٢٨٦و٢٨٧، والغريب المصنف ٦٨٤/٣، والمجاز ١٤٥/٢.

(٧) المجاز ٣١٢/٢، والمجاز ٢١١/١. (٨) انظر: الجزء الخاص بالتداخل المعجمي.

الفَصْلُ الثَّالِثُ: المُعَاقَبَةُ بَيْنَ صَوَامِتِ التَّجْوِيفِ الفَمَوِي

أ ـ أصوات أقصى الفم أو الحنك:

١ــ الأصوات اللهوية.

٢ــ الأصوات الطبقية.

ب ـ أصوات وسط الفم:

١ــ الأصوات اللثوية أو المائعة.

٢ــ الغارية.

ج ـ أصوات مقدمة الفم:

١ــ الأصوات اللثوية الأسنانية

٢ــ الأصوات الأسنانية.

٣ــ الأصوات الشفوية.

أ ـ أصوات أقصى التجويف الفموي:

١ــ بين القاف والكاف

الأمثلة: قال جرير: (الكامل)

قَالَتْ فَدَتْكَ مُجَاشِعٌ فَاسْتَنْشَقَتْ   مِنْ مَنْخِرِيهِ عُصَارَةَ القَفُّورِ

قوله: القمور يريد الكافور[١].

قال الفرزدق: (الكامل)

بَاتَتْ تَرَقَّصُهَا العبيدُ وعُسُّها   قَرْبان مما يجعلون وتَجْعَلُ

ويروى كَرْبان، وقربان قد قارب الملء وكربان مثله[٢]. وقد فسر الدكتور صلاح الدين حسنين كيفية التطور الصوتي من القَفُّور إلى الكافور على النحو التالي:

القفُّور ← الكفُّور ــ انتقال المخرج للأمام من اللهاة إلى الطبق

الكفور

ك ـــَ ف ف ـــُ ـــُ ر   الإدغام = ٢ صامت

ك ـــَ ف ف ـــُ ـــُ   حُذفَ الصامتُ وعُوِّضَ عنه بحركة قصيرة.

ك ـــَ ـــَ ف ـــُ ـــُ ر " كافور "

ولذلك نستطيع أن نفسر منطوق جرير (للقفور) بدلا من الكافور بأنه زيادة في التفصح أما الإبدال بين (قربان وكربان (فمرجعه إلى لغة تميم التي هي جلية على لسان الفرزدق[٣].

---

(١) النقائض ٩٣٨/٢ قال ابن منظور: هذه كلمة معربة قال ابن دريد: لا أحسب الكافور عربيًا لأنهم ربما قالوا القفور والقافور اللسان مادة كفر ٣٩٠١/٥ وذكر في موضع آخر أن الكافور يقال له قفور اللسان مادة قفر ٣٧٠١/٥ وذكر محقق المعرب من الكلام الأعجمي أن أصل الكلمة من اللغة السنسكريتية (كَرْبور) وكان نطق السريان لها (قفّورا) ونطق الفرس (كافور)، وجاءت في القرآن الكريم بالكاف قال ــ تعالى ــ: ﴿إن الأبرار يشربون من كأسٍ كان مزاجها كافورا﴾ [الإنسان: ٥]، وهكذا جاءت القراءات السبعية والشاذة ودخلت الكلمة اللاتينية من اللغة العربية فهي camphora انظر: من المعرّب من الكلام الأعجمي ٥٤٤ والمعجم المفهرس مادة (كفر) ٦١٣.

(٢) النقائض ٢٠٩/١ جاء في اللسان إناء قُربان: قارب الامتلاء قال سيبويه: والفعل من قربان قارب اللسان (قرب) ٣٥٦٧/٥ وجاء في مادة (كرب) وزعم يعقوب أن كاف كَرْبان بَدَل من قاف قربان اللسان ٣٨٤٥/٥ وقد ساق ابن السكيت ذلك الإبدال بين قربان وكربان مسوبًا للأصمعي انظر: الإبدال ١١٤.

(٣) وقد ساق ابن السكيت عن الفراء أمثلة عن الإبدال والمعاقبة بين القاف والكاف في مثل قُسْط وقَشَطْتُ عنه جلده وكشطت ثم قال وقريش تقول كُشطتْ، وقيس، وتميم، وأسد تقول: قُشطت وفي مصحف عبد الله ابن مسعود كُشِطتْ بالقاف. انظر: الإبدالَ لابن السكيت ١١٤ و ١١٥.

٢ ــ بين الغين والخاء

قال الفرزدق (الطويل)

إذَا احتبت لي دارمٌ عن غايةٍ   جَريْتُ إليها جري مَنْ يَتْغَطْرَفُ

قوله يتغطرف يعني يسود، ويطلب السؤددة والغطريف السيد، ويروى يتخطرف[1].

يتغطرف ← يتخطرف ت (غ) ط ← ت (خ) ط

طبقي   طبقي

رخو   رخو

+ مجهور ــ مجهور (مهموس)

وقعت الغين المجهورة بين صامتين مهموسين " التاء والطاء " فَفَقَدتْ صفة الجهر وتحولت إلى نظيرها المهموس وهو الخاء في مماثلة تقدمية.

(ب) أصوات وسط الفم

١ــ الأصوات اللثوية أو المتوسطة (المائعة):

تشترك الأصوات المتوسطة (اللام والراء والنون) مع غيرها من الوقفيات من حيث إن العضو الناطق، اللسان، يلتصق التصاقًا وثيقًا بمخرج النطق وهو هنا اللثَة[2] لكن ذلك لا يمثل عائقًا من أي نوع " احتكاك أو انحباس " وذلك لأن الهواء يتجنب منطقة التصاق اللسان باللثَة ويتسرب إما من جانبي اللسان كما في صوت اللام وإما من الأنف كما هو في صوت النون أو لعدم استقرار موضع السد كما هو في صوت الراء[3]. وبناء على ما تقدم سوف ننظر في طرائق المعاقبة التي مثل لها أبو عبيدة في تلك الأصوات.

ــ بين اللام والراء:

الأمثلة:

قال أبو عبيدة: يقال سهمُ أملَطُ وأَمْرَطْ إذا لم يكن له ريش، وقد تملّط، ويقال جذعٌ منْقطِرٌ ومُنْقطِلٌ قال ويُروى بيتُ حميد بن ثور (الطويل)

---

(١) النقائض ٥٧٤/٢ وقد جاء هذا المعنى والإبدال الصوتي كما ذكره أبو عبيدة في النقائض جاء في اللسان مادة (حطرف) ١١٩٨/٢ ومادة غطرف ٣٢٧٠/٥.

(٢) الصوتيات ٩٢، ٩٣.   (٣) انظر: المدخل إلى علم اللغة ٣٥و ٣٦ وكذلك ٤٧ و ٤٨.

جلبَّانةٌ وَرْهاءُ تخصِي حمارها بفِي من بغي خيراً إليها الجلامِدُ

ويروى: جربَّانة، وهي الصَّاحبةُ السيئة الخلق[1] ومن الأمثلة التي جاءت في النقائض والمجاز على هذه الملاحظة ما يلي:

١ـ قال ـ تعالى ـ: ﴿نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ [المائدة: ٥٢]، أي دولة، والدوائر تدور، والدوائل تدول[2].

٢ـ قال الفرزدق (الطويل)

لَنَا مَا تَمَنَّينَا مِنَ العيشِ مادعا هَديلاً حماماتٌ بِنَعْمَانَ هُتَّفُ

وقوله هديلا يعني صوتًا وهديرًا[3].

٣ـ وأُنشد أبو عبيدة لذي الرُّمة: (الطويل).

عَواطِفُ يَسْتَثْبِتْنَ في مِكْنِسِ الضُّحَى إلى الهجرِ أظلالا بطيئًا ضهولُها

ضهولها اجتماعها وظهورها، يقال: هل ضَهَلَ إليك من خبرهم شيء أي هل ظهر[4].

ونستطيع أن نصنف الإبدال في الأمثلة على النحو التالي[5]:

الدوائر ← الدوائل ر ـ ل

هدر ← هدل لثوي ـ لثوي

ظهر ← ضهل مجهور ـ مجهور

تمرّط ← تملط طرفي ـ جانبي

منقطر ← مقطل

وتفسير ذلك صوتيًا، أن الراء العربية صوت تكراري (trill) بمعنى أن طرف اللسان

---

(١) الإبدال لابن السكيت: ١١٧.

(٢) المجاز ١٦٩/١ ونقل ابن منظور هذا الإبدال عن أبي عبيدة في مادة (دور) ولم ينقل عن غيره فيها إبدالاً أما في مادة (دول) فقد أشار ابن منظور إلى الإبدال لكنه لم ينسبه لأحد عندما قال: ودالت الأيام: أي دارت والله يداولها بين الناس انظر: اللسان مادة دور ١٤٥٢/٢ ومادة دول ١٤٥٦/٢.

(٣) النقائض ٥٥٦/٢ جاء في اللسان هدر الغلام إذا صوَّت) وهو نفس كلام أبي عبيدة كما نرى) ووقع الإبدال أيضًا في مادة (هدل) انظر: مادة هدر وهدل في اللسان ٤٦٣٣/٦ /٤٦٣٦.

(٤) النقائض ٨/١.

(٥) اعتمدنا على كثرة الاستعمال ودراسة هذه المواد في اللسان بالإضافة إلى محفوظات أبي عبيدة (المؤلف).

المتجه نحو اللثة يتعرض لضغط الهواء وبسبب مرونته يعود اللسان إلى وضعه الأول وتكرار نفس الحركة أربع أو خمس مرات[١]. فإذا حدث وقل دفق الهواء اللازم أو كانت حركة طرف اللسان بطيئة[٢] . نتج نوع من الراء يُسَمَّى في الإنجليزية بالنوع الرَّبْتي (flapped) وفيه يلتصق طرف اللسان مرة واحدة كما يحدث أحيانًا للراء الواقعة بين حركتين كما هو في كلمة (very)[٣] وهذا ما حدث في الأمثلة التي قدمها أبو عبيدة فالراء في الأمثلة الثلاثة تقع في نهاية الكلمة مما يؤثر على كمية الهواء اللازمة لحركة طرف اللسان وترددها، كما أن الكلمات تشتمل على أصوات حنجرية كالهاء والهمزة وهي عميقة المخرج أو أصوات تنطق من حافة اللسان أو جانبه[٤] مما يقربها من صوت اللام الجانبية ففي كلمة (ظهر) حيث نطقت الظاء ضادًا جانبية زيادة في التفصح مما جعل الراء تأخذ طريقها إلى صوت اللام[٥]. أو صوتًا مطبقًا مثل صوت القاف كما في كلمة أمرطُ ومُنْقَطِرٌ.

ـ بين الراء والنون:

قال أبو عبيدة: [٦] يقال: ريحٌ ساكنة، وساكرة بمعنى واحد[٧] والزُّورُ، والزُّون، واحد؛ وهو كل شيء يُعْبَدُ ويُتَّخذُ ربًّا، وأنشد[٨]: (الرجز)

---

(١) الصوتيات لمالمبرج ت. محمد حلمي هليّل ٩٤، ٩٥.

(٢) يرجع ذلك إلى ضعف العضلات المحركة لمقدمة اللسان ويكون ذلك غالبًا على الأطفال وقد يستمر مدة طويلة وقد يصبح لازمة صوتية في بعض الأفراد يتأثر بها جمع من المخالطين لهم ولذلك كان علماء العربية من الخطباء، والفصحاء ينتبهون إلى معالجة صوت الراء عند الناشئة معالجة خاصة وكذلك عند من أصيبوا بلثغة الراء انظر: المدخل إلى علم اللغة ٤٨و ٤٩.

(٣) الصوتيات ٩٧.

(٤) ذهب سيبويه وابن جني وغيرهم من العلماء القدامى وبر جشتراسر من المحدثين إلى وصف الضاد العربية بأنها من حافة اللسان أو من جانبه وأنها تقارب اللام المطبقة كما هو نطق الأندلسيين للضاد العربية انظر: في تفاصيل ذلك في وصف الضاد القديمة المدخل إلى علم اللغة ٦٢) ٦٧.

(٥) وانظر: العلاقة بين الضاد واللام في حديثنا في الأصوات اللثوية الأساسية من هذا المبحث.

(٦) الإبدال لابن السكيت ١٤٦.

(٧) جاء في الحديث : (فأرسل الله إليه السكينة) قال صاحب اللسان وهي ريح خَجُوجٌ أي سريعة الممر اللسان مادة سكن ٢٠٥٤/٣ وأظن أن هذا هو المعنى المراد وليس مقصودًا بالسكون ما هو ضد الحركة وعليه تكون النون مبدلة من الراء أما إذا أخذنا معنى ساكنة على الدلالة المشهورة لها فتكون الراء بدلاً من النون زيادة في التفصح

(٨) هذا الإبدال المعنى وشرح معانيه منقول عن أبي عبيدة في اللسان بتفصيل انظر: اللسان مادة زور ١٨٨٩/٣ وكذلك في الغريب المصنف ٣٦٨/١ و ٣٦٩.

جاءوا بِزُورَيهمْ وجئنا بالأصمْ وفي هذه المعاقبة حدث التصاق كامل للراء بالثلة ولما تحدث عملية التكرار وساعد على ذلك وقوع الراء آخرًا فنتج نوعٌ من الراء الرَّبْتِي المشار إليه آنفًا ولكن بدلاً من أن يتسرب من جانبي اللسان كما في الحالة السابقة تسرَّب الهواء من الأنف وساعد في ذلك انشغال مؤخرة اللسان والطبق الذي يسند المجرى الأنفي بنطق صوت الكاف في ساكرة ونطق الضمة الطويلة في الزُّور.

ـ بين اللام والنون:

١ـ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾[1] [هود: ٨٢].

وبعضهم يحول اللام نونًا؛ كقول النابغة: (الوافر)

بِكُلِّ مُدَجَّجٍ كَاللَّيثِ يَسْمُو   على أوصالِ ذَيَّالٍ رِفَنِّ

يُريدُ رِفَلّ[2].

٢ـ والرَّهادِن جمع رَهْدن، وهو شبيه بالعصفور، ويقال باللام كما قالوا غِرْيَنٌ وَغِرْيَلٌ[3].

٣ـ قال الفرزدق: (الوافر)

أَلَسْتُمْ عَائِجِينَ بِنَا لَعَنَّا   نَرَى العَرَصَاتِ أَوْ أَثَرَ الخِيامِ

---

(١) نقل ابن منظور في اللسان عن أبي عبيدة قال: (من سجيل) تأويله كثيرة، وقال إن مثل ذلك قول ابن مقبل: (البسيط) ورجلة يضربون البيض عن عرض   ضربًا تواصت به الأبطال سِجِّينًا

قال: وسجيل وسجين بمعنى واحد اللسان (سجل) ١٩٤٦/٣ وهو فارسي معرب (سَنْكِ كِل) أي حجارة الطين كما ورد في القرآن تفسير ذلك حيث يقول (حجارة من طين) في نفس القصة انظر: المرجع السابق نفسه. وقد جاءت (سجيل) باللام في القرآن الكريم ثلاث مرات وبالنون سجين مرتين انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ٣٤٥.

(٢) المجاز ٢٧٩/١ ذكر صاحب اللسان هذا البيت في قافية نونية منسوبًا للنابغة الجعدي وقال أراد (رِفلاً) فحول اللام نونًا اللسان مادة (رفن) وقال أيضًا ورَفَنٌّ لغة في رِفلّ وقيل نونها بَدَلٌ من لام رِفل، والرِفلُّ والرِفنُّ من الخيل جميعًا الكثير اللحم مادة (رفل) اللسان ١٦٩٧. وأنشد ابن السكيت للنابغة الذبياني بكل مُجَرّبٍ. البيت انظر: الإبدال ٦٣ وأشار ابن فارس في فقه اللغة والسيوطي إلى هذا الإبدال وشاهد أبي عبيدة انظر: المزهر ٤٦٠/١.

(٣) النقائض ١٠٠/١ قال صاحب اللسان الرهدان العصفور الصغير، وقد تبدل النون لامًا فيقال الرهدل اللسان مادة رهدل ١٧٥٠/٣ وهو نص كلام أبي عبيدة كما نرى وقد ذكر الإبدال أيضًا في مادة رهدل المرجع السابق نفسه وأورد السيوطي في المزهر ٤٦١/١ غريل وغرين عن أبي عبيد القاسم بن سلام بنفس المعنى الذي أشار إليه أبو عبيدة ويبدو أن ملاحظة أبي عبيدة هي الأصل.

لَعَنَّا في معنى لَعَلَّنَا[١]، ولَعَلّي ولَعَنِّي وهو لغة تميم[٢].

٤ـ قال أبو عبيدة: والطبل أيضًا الناس، يقال، ما أدري أيُّ الطبلِ هو، وأي الطبنِ هو وأي الورىٰ هو[٣].

من خلال الأمثلة السابقة يتضح لنا أن اللام قد أبدلت نونًا في الكلمات سالفة الذكر وهذه الكلمات تجتمع في صفة صوتية ألا وهي أنها إما مكسورةُ فاءِ الكلمة " والكسرة حركة أمامية " كما في الأمثلة ١ ـ ٣ أو مسبوقة بصامت شفوي هو الباء وهو صوت من مقدمة الفم.

كما في كلمة الطبل، وكذلك (رفل) أما الخامس والسادس فلكل منهما مسار مختلف.

١ ـ سجيل ← سجين   الطبل ← الطبن

٢ ـ رفل ← رفن   رهدل ← رهدن

٣ ـ غريل ← غرين   لعل ← لعن

وتفسير ذلك أن الحركة الأمامية تجتذب صوت اللام قليلا إلى الأمام مع صعوبة الانتقال من الأمام إلى الخلف[٤] في حركة واحدة فربما أدى ذلك إلى خفض الطبق فيتسرب الهواء من المجرى الأنفي محدثًا النون بدلاً من اللام مما يشبه قانون الأصوات الحنكية[٥] ويمكن أن يدخل ضمن المماثلة التقدمية الجزئية.

ـ + ى ← ن

ـ + ف / ب ← ن

---

(١) النقائض ١٠٠٤/٢ وذكر أبو عبيدة بيتًا آخر في اللسان لِحُطَائِطَ بن يَعْفُر وقد نسبه ابن بَرِّي لحاتم الطائي انظر: اللسان مادة علل ٣٠٨٢/٤.

(٢) النقائض ٣٢٢/١ وقد جاء ذلك في الإبدال لابن السكيت ١١١ بنفس الشواهد مع خطأ في وزن البيت حيث روى (هل أنتم عائجون).

(٣) النقائض ١٣٣/١ و ١٣٤ والإبدال والمعنى اللذين ذكرهما أبو عبيدة مذكوران في اللسان في مادة (طبن وطبل) ٢٦٤٠/٤ و ٢٦٤١.

(٤) المقصود بالأمام هو حركة الكسر أو الأصوات الشفوية حيث تنتج من مقدمة الفم والخلف هنا هو ارتفاع الطبق ليسد المجري الأنفي.

(٥) لاحظ العلماء أن أصوات أقصى الحنك تميل بمخرجها إلى نظائرها من الأصوات الأمامية، حين تليها في النطق حركة أمامية كالكسرة لأنها تجتذب إلى الأمام قليلاً أصوات أقصى الحنك .... انظر: التطور اللغوي ١٣٢.

أما في كلمة مثل (رهدل) فإن صوت الراء الذي يجهد طرف اللسان باجتماعه في مسافة قريبة مع صوت اللام الذي هو من جانبي اللسان مما يؤدي إلى تسرب الهواء من الأنف محدثًا صوت النون الذي هو أبعد من الراء عنه من اللام ويمكن أن يدخل ذلك ضمن المخالفة بين الأصوات المتقاربة فاللام أقرب إلى الراء والنون بعيدة عنها بالقياس إلى اللام فحدث المعاقبة.

أما المعاقبة في (لعل) فإنه يتوافر أكثر من سبب ومبرر للتحول إلى النون عند من يبدلونها حيث تجتمع ثلاث لامات في كلمة هي أربعة أحرف فمن الممكن أن يعمل قانون المخالفة هنا لإبدال إحدى اللامين نونًا وخاصة لفك التضعيف، ثم يعمل قانون المماثلة فيتحولان إلى النون معًا ويمكن أن يكون الإبدال قد حدث أولا في (لَعَلّى) وعندئذ ينطبق عليها التأثر بالحركة الأمامية مثل الكلمات السابقة فصارت لَعَنِّى.

والتفسير بقانون المخالفة[1] أقرب بدليل أننا لو حذفنا اللام الأولى من لعل لا يحدث إبدال حيث تبقى اللام (عَلّى ــ عَلَّني).

ل ــَ ع ــَ ل ل ← ل ــَ ع ــَ ن ل ــَ ← ل ــَ ع ــَ ن ن ــَ

مخالفة × مخالفة تقدمية ×

ــ بين النون والميم:

قال جرير: (الطويل)

١.وأَوْرَثَكَ القينُ العَلاةَ ومِرْجَلا   وإصلاحَ أُخْرَاتِ الفئوسِ الكَرَازِمِ

وقال قيس بن زهير: (الطويل)

فَقَدْ جَعَلَتْ أَكْبَادُنا تَجْتَوِيكُمُ   وإصلاح أُخْرَاتِ الفئوسِ الكَرَازِمِ

وقال قيس بن زهير: (الطويل)

فَقَدْ جَعَلَتْ أَكْبَادُنا تَجْتَوِيكُمُ   كما تجتوى سوقُ العضاةِ الكرازنا

والكَرْزَمُ والكَرْزَنُ واحد، وهي الفَأْسُ لها رأسان[2].

٢ــ وقال أبو عبيدة في شرح بيت من الشعر: [فَدُرِسَ مَوْضِعُه وامَّحَي] ثم قال: [فقد انمحى ذلك الكتاب إلا القليل][3] وفي هذين المثالين إشارة لطيفة من أبي عبيدة في كيفية

(١) التطور اللغوي ٦٢.

(٢) النقائض ٢/٧٦٧.

(٣) السابق ٢/٨٥٠.

استخدام رواية الشعر أو التعبير الأسلوبي في تقديم ما يريد لفت الانتباه إليه، فقد غاير بين رواية جرير وقيس بن زهير كما غاير في العبارة النثرية فمرة قال (امحى) ومرة قال (انمحى) في موقف واحد ليبين قضية المعاقبة ولذلك يجب أن نتعامل مع ملحوظات أبي عبيدة وسياقه للشواهد من هذا المنطلق أما تفسير المعاقبة بين النون والميم فهو أمر جلي من الناحية الصوتية فهما صامتان أنفيان مجهوران ويختلفان في نقطة السد فبينما اللسان يلتصق مع اللثة لكان الحجز الاحتياطي هو الشفتان مع بقاء كل أوضاع الصوت اللثوي الأخرى من الجهر والأنفية ولنتج صوت الميم بدلا من النون أما كلمة انمحي فهي من قبيل المماثلة الرجعية حيث تتأثر النون الساكنة دائمًا إذا وليتها الميم أو الباء وتحول إلى أقرب نظير أنفي لها وهو الميم. ويتضح من أمثلة المعاقبة في الأصوات المتوسطة أن أصعبها هو صوت الراء التي تجنح إلى التعاقب مع صوت اللام وأن أيسرها النون التي تنتقل إليها اللام، فترتيب هذه الأصوات من حيث الجهد المبذول للتصويت تنازليًا هي الراء ثم، اللام ثم، النون ولذلك يجب علينا العناية بصوت الراء للحفاظ عليه صوتيًا وبخاصة إذا وقع في آخر الكلمة[1].

٢ــ الأصوات الغارية: [الجيم والياء]

الأمثلة:

١ــ كان جرير يقول: [لولا ما فَعَلَ العبدُ ابنُ أُمِّ غسان؛ لَنَشَرْتُ من أيام سَلِيطٍ ما لا يبيدُ جَدَ الدهر].

قال أبو عبيدة: جد الدهر في معنى يد الدهر يريد أبد الدهر[2].

---

(١) وقد أورد ابن الأعرابي أمثلة على معالجة بعض العرب للراء المضعفة التي تقع آخرًا واستخدام القانون الذي ابتكره أبو عبيدة وأشرنا إليه في قوانين المخالفة الصوتية حيث يقول: (ومن العرب من يقلب أحد الحرفين المدغمين ياءً فيقول في مَرَّ مَيَّر وفي زرَّ زير وفي رِزٍّ ريز انظر: اللسان مادة رور ١٨٨٨/٣.

(٢) السابق ٣١/١ وجاء في اللسان عن الليث ، يد الفأس مقضها، ويد الدهر، مدُّ زمانه، ويد الريح سلطانها، وفي موضع آخر عن الأصمعي لا آتيه يد الدهر أي أبدًا وعن أبي عبيدة وابن الأعرابي لا آتيه يد الدهر أي الدهر كله قال الأعمش : (المتقارب) رواحُ العشيّ وسيرُ العدُوُ يدا الدهرِ حتى تُلاقي الخيارا
ويتضح من تتبع مادة (يدي) في اللسان أصالة المعنى في التركيب الإضافي (يد الدهر) وذلك بالنظر إلى التركيب الإضافي (جدا الدهر) حيث ذكر ابن منظور هذا المعنى مرة واحدة فقال: ويقال جدا الدهر أي (يد الدهر) أي أبدًا وهي عبارة أبي عبيدة في النقائض كما نرى فالإبدال واقع في جدا الدهر انظر: اللسان مادة يدي ٤٩٥٢/٦ و ٤٩٥٤ ومادة (جدا) ٥٧٢/١.

٢ـ قال جرير: (الطويل)

وما هَجَمَ الأقيانُ بيتًا ببيتهم   ولا القينُ عن دارِ المذلَّةِ نَاقِلُهْ

هجم أي هدم[١].

٣ـ قال جرير: (الطويل)

بنا يُدَافَعُ كُلُّ أَمْرِ عظيمةٍ   ليستْ كَنزْوكَ في ثياب الكُرَّق

يريد (الكُرَّج)[٢]. عالج أبو عبيدة في هذه الشواهد مشكلة صوتية تتعلق بالجيم العربية ومن الطريف أنها في لغة شخص واحد هو جرير اليربوعي التميمي وقد وردت. في الشعر واعتياد الكلام، وفيها تتحول الياء والدال إلى جيم وتتحول الجيم إلى قاف وهو اتجاه عكس القوانين الصوتية[٣] أي زيادة التفصح.

يد الدهر ← جد الدهر   الكرج ← الكرق

ما هدم الأقيان بيتا ← ما هجم الأقيان بيتا

فما سر هذه القضية من ناحية التطور الصوتي والقوانين التي تحكمها فالمشهور عن تميم قبيلة جرير أن صوت الجيم يصير عندهم إما ياءً وإما شينًا كما ذكر اللغويون أما ملاحظة أبي عبيدة فتكشف أنها كانت تصير عندهم دالا أحيانًا كما سنرى بعد قليل، فهم يقولون الإشاءة ومدمش والصهاري والشيرة في الإجاءة ومدمج والصهاريج والشجرة[٤]. وذلك أن

---

(١) النقائض ٦٥٢/٢ ومن خلال مادتي (هجم وهدم) في اللسان؛ يتضح أصالة الهدم مع البيت والبناء ونحو ذلك أما هجم فالمعاني الأساسية فيها تتجه نحو دلالات أخرى وإن كان معنى الهدم مذكور في سياقات فرعية، ولذلك يبدو أن دلالة هجم على الهدم قد جاءت نتيجة للتطور الصوتي للجيم نحو الدال انظر: اللسان ٤٦٢٤/٦و ٤٦٣٦/٦.

(٢) النقائض ٨٤٤/٢ وقال صاحب اللسان: الكرّج الذي يُلعب به فارسي معرّب، وهو الفارسية كُرَه ونقل عن الليث: الكرّج دخيل معرب لا أصل له في العربية.

قال جرير: (الطويل)   لبست سلاحي والفرزدق لعبةٌ   عليها وشاحا كُرَّجٍ وجلاجلُه

وقال: (الكامل)   أمسي الفرزدق في جلال كُرَّج   بعد الأخيطل ضرةً لجرير

انظر: اللسان مادة كرج ٣٨٤٩/٥.

(٣) القوانين الصوتية توضح أن الجيم تتجه نحو التحول إلى الياء أو الشين أو الدال في اللهجات العربية القديمة وكذلك القاف تتحول إلى الجيم الغليظة في القديم والجيم القاهرية في لغة البدو الحديثة كما سنري في التفسير.

(٤) قال أبو حاتم: قلت لأم الهيثم (من بني منقر من تميم) وهي حجة في اللغة: هل تبدل العرب الجيم ياءً في شيء من الكلام فقالت نعم ثم أنشدتني: (الطويل) إذا لم يكن فيكن ظلٌ ولا جنًى   فأبعدكُنَّ الله من شيرات.=

صوت الجيم في العربية من الأصوات المزدوجة التي تتصف بالشدة والرخاوة في آن واحد، فهو يبدأ شديدًا انفجاريًا وينتهي رخوًا احتكاكيًا؛ بمعنى أنها تبدأ بدال مغورة وتنتهي بشين مجهورة[1]. فالجيم عندما تفقد شدتها تتحول إلى الشين المجهورة وعندما تفقد رخاوتها تتحول إلى دال مغورة وتنتقل إلى الياء لاشتراكها مع الياء في المخرج والجهر[2] وهكذا أخذ التطور مجراه فصارت الشين مهموسة والدال لثوية أسنانية لتتوافق مع أشباهها من الأصوات والشاعر يريد أن يتجنب هذه الظاهرة المحلية ويسمو نحو اللغة المشتركة التي تنطق الجيم من موضعها المزدوج فبالغ في التفصح في نطق الباء جيمًا والدال جيمًا زيادة في التفصح وعكس القوانين الصوتية.

أما في كلمة (كُرَّج) التي نطقها (كُرَّق)، فيبدو أن هذه الجيم ليست بالجيم العربية الفصيحة المزدوجة، وإنما هي تشبه الجيم القاهرية الحالية أي النظير المجهور للكاف العربية ونرمز لها بالرمز (گـ) المستعار من الخط الفارسي[3].

والدليل على هذا الذي نقوله أن الكلمة فارسية الأصل وأثبتت في المعجم العربي بالجيم والشواهد عليها من شعر جرير أيضًا وأمر آخر هو أن القاف عند تميم كانت تنطق مجهورة وشديدة كما لو كانت الكَاف الفارسية قال ابن دُريد[4]: " فأما بنو تميم فإنهم يُلْحِقُونَ القاف بالكاف فيقولون " الكَوم " يريدون " القوم " فتكون القاف بين الكاف والقاف، وهي لغة معروفة في بني تميم قال الشاعر:

ولا أكَول لكَدر الكَوم قد نضجت ولا أكَول بباب الدار مكَفول

فالكلمة معربة الكَاف فظن أنه من باب الفصاحة أن ينطقها قافًا زيادة في التفصح أو أن

= أي شجرات انظر:" في التطور اللغوي " ٦٢. وجاءت (الشيرة) في القراءات الشواذ (ولا تقربا هذه الشجرة) البقرة /٣٥ حكاه أبو زيد انظر: مختصر شواذ القرآن ١٢. أما إبدال الجيم والشين والياء فانظر: تفاصيله في التطور اللغوي " ٢٥) ٢٨.

(١) التطور اللغوي ٢٥ وانظر: المدخل على علم اللغة ٥١.

(٢) يقول سيبويه : (ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء) انظر: الكتاب ٤٣٣/٤

(٣) المدخل إلى علم اللغة ٥٣ وقد ساق السيوطي بعض الشواهد المشابهة فقال من إبدال الجيم والكاف رمجاء الطائر ورمكاؤه (ذنب الطائر) وأخذ سَجٌّ في بطنه وسك إذا لان بطنه ومرَّ يرتجّ ويرتكّ إذا ترجرج انظر: المزهر ٤٦٥/١.

(٤) السابق ٧٩.

الأمر اشتبه على الرواة حيث كان يطقها كافًا غليظة فظنوها القاف والواضح في قضية الجيم أن أبا عبيدة يتابع بدقة هذه التطورات الصوتية على المستوى العام عند القبائل وعلى المستوى الخاص مثل لغة أفراد بعينهم كما هو واضح في ملاحظاته حول التطور الصوتي لبعض روايات جرير.

ج ـ أصوات مقدمة الفم

١ـ المخرج اللثوي الأسناني

أ ـ الأصوات الشديدة

ـ أصوات التاء والدال والضاد والطاء

الأمثلة:

١ـ قال الفرزدق: (الوافر)

لَقَدْ تَرَكَ الهُزَيلُ لكم قديمًا مَخَازِيَ لا يبِتْنَ على إرَابَا

ويروى (لا يَبِدْنَ)[1].

٢ ـ قال ـ تعالى ـ: ﴿مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ﴾ [الرحمن: ٣٣]، والأقطار والأقتار واحد[2].

٣ ـ الفردق: (الكامل)

وَيَظَلُّ يَتْبَعُهُنَّ وَهْوَ مُقَرْمِدٌ مِنْ خَلْفِهِنَّ يشكالِ

قال: مُقَرْمِدٌ، وَمُقَرْمِطُ سواء؛ وهو تقارب الخطو[3].

ونسجل في هذه المجموعة الصوتية ملاحظتين:

الأولى: هو حدوث إبدال يؤدي إلى تداخل أصلين وكلاهما يؤدي دلالة البيت على وجه جيد.

يبتن ← يبدن ت ← د

---

(١) النقائض ٤٧٣/١. (٢) المجاز ١٥/١ و ٢٤٤/٢ وانظر: الإبدال لابن السكيت ١٢٩ والمزهر ٤٦٤/١.

(٣) النقائض ١ ٢٩٣ وبعد مراجعة مادة قرمد وقرمط في اللسان تبين أن المعنى الذي ذكره أبو عبيدة (تقارب الخطو) في مادة قرمط وليس في قرمد ولذلك نقول هو (قرمط) وقرمد هو تطور صوتي ناتج عنه انظر المادتين في اللسان ٣٦٠٥/٥ و ٣٦٠٦.

وقعت التاء وهي مهموسة وخالية من الحركة بين صامتين مجهورين فاكتسبت سمة الجهر وتحولت بالتاء إلى نظيرها المجهور.

الثانية: صوت الطاء العربية ، وهو صوت مجهور مطبق شديد في تعريف القدماء ـــ قد فقد سمة التفخيم واحتفظ بالجهر وذلك في الصيغ التي تعرضت للتطور الصوتي ـــ ثم فقد الجهر في مرحلة لاحقة كما يتضح من المثال.

مُقَرمطُ ← مُقَرمدُ

ص ← د " الطاء العربية القديمة " مطبق مجهور ← مرقق مجهور

المرحلة الثانية: الأقطار ← الأقتار ط ← ت ، فقد سمة الجهر مع الإطباق

وفي هذين المثالين تصديق لكلام سيبويه: (لولا الإطباق في الطاء لصارت دالا)[1] لقد فقدت الطاء صفة التفحيم في الصيغ المتطورة عن الطاء القديمة[2] وظل نظيرها المرقق هو الدال ثم فقد الجهر في مرحلة لاحقة وأصبح نطيرها المرقق هو التاء[3] ، وقد تتبع بعض الباحثين ظاهرة الإبدال فوجد بالاستقراء لأمثلة اللسان أن الكلمات التي تحتوي (طاء) في الفصحى يوجد لها نظير بنفس المعنى مع حلول الدال محل الطاء في أكثر الأمثلة وكانت الأمثلة التي أبدلت فيها تاءً قليلة نادرة[4] ويدعم ذلك ما أورده ابن السكيت في الإبدال من أمثلة مطَّ الحرف ومَدَّ بمعنى واحد، ويقال ماله عندي، إلا هذا فقد، وإلا هذا فقط.

ــ بين الضاد والظاء:

١ــ قال ذو الرُّمة: (الطويل)

عواطفُ يَسْتَثْنِيْنَ في مَكْنِسِ الضُّحى إلى الهجر أظلالاً بطيئًا ضُهولُها

صهولها: اجتماعها وظهورها يقال: هل ضهل إليك من خبرهم شيء؟ أي هل ظهر[5]

---

(١) الكتاب ٤/٤٣٦.

(٢) كان ذلك في بعض الأمثلة واللهجات ويسير في بطء شديد ثم أخذ يتسع في العصر الحديث حتى كادت تخلو لغة الفتيات من سمة الإطباق وكادت تخلو لغة الرجال أيضًا وظلت صفة الإطباق صامدة على ألسنة مجيدي قراءة القرآن الكريم للمزيد من التفصيل عن فقد سمة الإطباق في أصوات العربية انظر: في التطور اللغوي ١٩٥.

(٣) نظر: تفاصيل هذه القضية في المدخل إلى علم اللغة من ٧٥) ٧٨.

(٤) في التطور اللغوي ١٩٣ وانظر: الإبدال لابن السكيت ١١٩.

(٥) القائض ١/٨ معنى البيت يصف الظباء بأنها عواطف أي تضع رأسها على جسمها تستزيد من الظل وقت -

والإبدال بين الضاد والظاء قديم في العربية وله شواهد كثيرة[١]، وقد لاحظ " كانتينو " أن النطق القديم للضاد العربية كان (ظْ لْ) أي ظاء ذات زائدة انحرافية وقال " هنرفليش " يُحتمل أنه ـ أي صوت الضاد القديمة ـ كان ظاء جانبية، أي أنه كان يجمع الظاء واللام في ظاهرة واحدة وقد اختفى هذا الصوت فلم يعد يسمع في العالم العربي وأصبح بصفة عامة إما صوتًا انفجاريًا هو مطبق الدال وإما صوتًا أسنانيًا هو الظاء[٢] أما الدكتور إبراهيم أنيس فإنه يرى أن الضاد العربية القديمة هي مرحلة وسطى من شدة الضاد الحديثة، ورخاوة الظاء العربية فهي تبدأ بالضاد الحديثة وتنتهي بالظاء العربية[٣] وقد حشد الدكتور رمضان عبدالتواب أدلة مختلفة من التراث اللهجي القديم والمعاصر على عملية الخلط والتداخل بين الضاد والظاء[٤] ويتضح مما سبق أن هذا هو الإبدال الذي قصده أبو عبيدة أي بين الضاد الرخوة الجانبية " وهي الضاد العربية القديمة " وليست الضاد الحديثة التي هي شديدة ولثوية أسنانية.

٢ـ جاء عن أبي عبيدة في المزهر[٥] [كل العرب تقول فاضت نفسه بالضاد إلا بني ضبة فإنهم يقولون فاظت نفسه بالظاء] حكاه أبو محمد البطليوسي في كتاب الفرق.

ـ وأُنشد بروايته في إصلاح المنطق[٦] (الرجز)

اجتمع الناسُ وقالوا عِرْسُ فَفُقِئَتْ عَيْنٌ وفاظت نَفْسُ[٧].

= الهاجرة، ويفهم من تعليق أبي عبيدة أنه فسر (الشهول) بالاجتماع ثم أضاف المعنى الناتج عن الإبدال الصوتي والمعاقبة مع (ظهر) مما أفاد تداخل الأصلين وبالرجوع إلى أصل المادتين وجد أن ضهل في اللسان تأخذ معنى الاجتماع والقلة والرجوع وليس بينها معنى الظهور الذي ذكره أبو عبيدة مما يؤكد إدراك أبي عبيدة لعملية المعاقبة كاملا في هذه اللفظة انظر: مادتي ضهل وظهر في اللسان ٢٦١٦/٤ و ٢٦١٧ و ٢٧٦٤ على الترتيب.

(١) روى أبو علي القالي أن رجلاً قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يا أمير المؤمنين أيظحّي بضبي ؟ قال وما عليك لو قلت بظبي ؟! قال إنها لغة. قال انقطع العتاب ولا يضحى بشيء من الوحش المدخل إلى علم اللغة ٧١ والمزهر ٥٦٢/١ و ٥٦٣.

(٢) المدخل إلى علم اللغة ٦٦.

(٣) السابق ٦٧.

(٤) انظر: السابق ٧٢) ٧٤ وانظر: مقالة الدكتور رمضان عبد التواب (مشكلة الضاد العربية وتراث الضاد والظاء) المجلد ٢١ سنة ١٩٧١ وانظر: الأمثلة التي ساقها السيوطي في المزهر ٢٨٢/٢) ٢٨٥.

(٥) المزهر ٥٦١/١ و ٥٦٢.

(٦) إصلاح المنطق ٢٨٦.

(٧) وقد روى هذا البيت في أكثر من مصدر وامتدح علي بن حمزة رواية أبي عبيدة وقدمها على رواية الأصمعي وكذلك انتقد المبرّد ولقب أبا عبيدة (أهل الضبط من العلماء) انظر: التنبيهات لعلي بن حمزة ١١٨ ، ١١٩.

ــ ونُسب إلى أبي عبيدة في اللسان[١] فاظت نفسه بالظاء لغة قيس وبالضاد لغة تميم ويتضح من هذه النقول ما يلي:

ــ الأصل في الكلمة [فاض] وهي لغة عامة العرب.

٢ــ أنه نسب إبدال الضاد ظاءً لبني ضبة[٢] في قبائل تميم.

٣ــ أنه نسب لغة الظاء لقيس ولغة الضاد لتميم وفي هذا المثال يتضح لنا أنا أبا عبيدة يوقفنا عند مستويين من الملاحظة اللغوية الدقيقة فهو عندما يتحدث عن الأصل عد عامة العرب يستثْني بطنا من بطون تميم وكأهم مختصون بالإبدال دون غيرهم وفي المستوى الثاني عندما يتحدث عن شيوع الظاهرة في القبائل القيسية يضع في مقابلها بني تميم القبيلة الكبيرة وتفسير تحول الضاد إلى ظاء كما هو مبين من خلال عرضنا لآراء العلماء السابقة في الإبدال الصوتي يقضي على الاضطراب الذي وقع فيه العلماء حول فاض وفاظ[٣] ويقضي على الشك[٤] والزعم[٥] الذي أحاط بروايات أبي عبيدة حول هذه الظاهرة تلك الروايات التي ترصد التطور الصوتي.

ــ بين الضاد والصاد

وقال ابن السكيت: [٦] قال أبو عبيدة: يقال: قد صاف السهم يصيف وضاف يضيف: إذا عدل عن الهدف ويقال للشمس قد تضيف؛ إذا مالت للغروب ودنت منه ومنه اشتق الضيف، ويقال ضافني الرجل إذا دنا منك ونزل بك.

وفي اللسان قال أبو عبيدة: الضِّئْبِلُ بالضاد، ولم أسمعه بالصاد إلا ما جاء به أبو تراب[٧]

---

(١) اللسان مادة فيض ٣٥٠٢/٥ وكدلك جاء في مادة (فيظ) منسوبًا إلى أبي عبيدة وأبي ريد اللساد ٣٥٠٢/٥ وقد دكر أبو عبيدة تلميده فاظت بفسه تفيظ وباس من تميم يقولون فاضت بفسه المزهر ٥٦١/١.

(٢) حاءت بعص الروايات التي تفيد أں الإبدال لا يقع عبد بني ضة إنما يقع عبد عامة العرب وبو ضبة وحدهم يقولون فاضت قد تتبعت هده الروايات في اللساں فوجدت أں مصدرها أبو زيد سواء ما ذكر عن المازني أو أبي حاتم أو عيرهم اللساں (مادة فاض) وقد اتفق أبو زيد مع رواية أبي عبيدة في قيس وتميم ويمكن تفسير ذلك بأں الظاهرة كانت في ضبة إلا أنهم إدا اصطبعوا لغة تميم قالوا (فاضت بفسه).

(٣) انظر: مناقشة العلماء لتعليق ابں بَرِّي على أقوال وشواهد الأصمعي حول هده القضية. وقد لخص أبو القاسم الزجاجي اضطراب العلماء في هدا بما يتطابق مع مفهوم كلام أبي عبيدة فقال يقال فاظ الميت بالظاء وفاضت بفسه بالظاء جائز عبد الجميع إلا الأصمعي فإنه لا يجمع بين الظاء والنفس اللسان مادة فيظ ٣٥٠٢/٥.

(٤) انظر: اللهجات العربية في التراث ٤٢٥/٢ و ٤٢٦.   (٥) اللسان مادة فيظ.

(٦) الإبدال ١٢١.

(٧) مادة (ضأبل) اللساں ٣٢٨٣/٤ والضئبل الداهية يقال الصِّئبل والنِّئطل، هما الداهية وقال الكسائي : ولغة بني ضبة الصِّئبل وقال والصاد أعرف وكدلك جاء عن أبي القاسم بني سلام انظر: اللساں مادة (ضأبل) ٢٥٤٠/٤.

لقد وقع الإبدال بين الضاد والصاد في عدد من الكلمات العربية مثل الامتضاض والامتصاص، والقضْبُ والقصْب بمعنى القطع ومنها القصّاب[1] وحضب وحصب، وقد حدث هذا الإبدال في اللغات السامية في بعض كلمات المشترك السامي القديم[2].

وتفسير هذه الجزئية يتعلق بمشكلة الضاد العربية القديمة التي عرضنا لأقوال العلماء فيها منذ قليل والشركة التي بينهما هي صفة الإطباق والاحتكاك في الضاد القديمة ومعنى ذلك أن مخرج الضاد القديمة من بين الأضراس وحافة اللسان قد حدث له انتقال إلى المخرج اللثوي الأسناني فصارت صادًا

ـــ ومن الملاحظ في المعاقبة بين الضاد والصاد أن أغلب الكلمات التي وقع بها الإبدال إما بها حروف حلقية أو وقفة حنجرية مثل حضب وحصب والضئيل والصئيل أو مضعفة الضاد من القضّاب والقصّاب والامتضاض والامتصاص وهذا مما لاحظه أبو عبيدة في عملية تحول الأصوات وإبدالها مما دونته في باب المخالفة المتقدم.

ـــ كما نلحظ في المثال الأول أن أبا عبيدة رصد المعاقبة بين الضاد والصاد في ضاف السهم وصاف السهم وقدّم الشواهد مثل تضيفت الشمس وكلمة ضافني الرجل ليبرهن على أصالة الضاد في مثال المعاقبة المذكور أما في المثال الثاني فقد نص على أصالة الضاد بقوله (و لم أسمعه بالصاد إلا ما جاء به أبو تراب).

ب ـ الأصوات الرخوة [السين والزاي والصاد]

الأمثلة: ١ـــ قال أحد الرواة يصف كلام الحسن البصري: (وأشار بيده إلى منازل الأسْد) يريد الأزد[3].

ـــ قال ـــ تعالى ـــ: **﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾** [الأنعام: ١٢٥]. الرجز والرجس سواء وهما العذاب[4] وجاء عنه في الإبدال لابن السكيت الشاسبُ

---

(١) اللهجات العربية في التراث ٢/٤٣١.

(٢) بين الدكتور رمضان عبد التواب وغيره من العلماء ذلك فالصاد العربية تقابل صادًا في الأكادية والأوجاريتية والعبرية ، فكلمة (أرض) في العربية تقابل كلمة rseru في الأكادية وكلمة eres في الأوجاراتية وكلمة eres في العبرية. ويذكر الدكتور خليل نامي بالإضافة إلى ما تقدم أنها أي الضاد كانت تكتب صادًا في الكتابات السطية وتنطق ضادًا انظر: المدخل إلى علم اللغة ٦٨ واللهجات العربية في التراث ٢/٤٣١.

(٣) النقائص ٢/٧٣٤

(٤) المجاز ١/٢٠٦ والإبدال ١٣١ وقد وردت مادة (رجز) في القرآن الكريم عشر مرات وكذلك وردت مادة =

والشارب الضامر من الخيل سواء.

٢ــ قال ــ تعالى ــ: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ [الأحزاب: ١٩].

خَطِيبُ مِسْلَق، الخاطب المسلاق، وبالصاد أيضًا[1].

قال الفرزدق:

ونَحْنُ قَسَمْنَا مَنْ قُدَامَةَ رَأْسِهِ   بِصَدْعٍ عَلَى يَافُوخِهِ مُتَفَاقِمِ

ويروى [قصمنا][2].

ــ قال أبو عبيدة: [السغد يقال بالسين والصاد][3].

٣ــ قال جرير (الوافر)

وَجَدْنَا هُمْ قَنَاذِعَ مُلْزِقَاتٍ   بِلا نَبْعٍ نَبَتْنَ ولا نُضَارِ

ويروى ملصقات[4].

ونلحظ من خلال الأمثلة التطور التالي:

١ ــ س ← ز   الأسد ← الأزد   الشاسِبُ: ← الشازب

مهموس ← مجهور   الرجس ← الرجز   القسبري ← القزبري

ــ س ← ص   مسلاق ← مصلاق مرقق مفخم قسمنا ← قصمنا

٢ ــ ص ← (س) أو (ز)   لصق ← لسق ← لزق

ــ التفخيم + الجهر   تميم   قيس   ربيعة

في رقم ١ وقعت السين تحت تأثير الجهر في الدال في تأثير رجعي في كلمة الأسد ← الأزد وكذلك في الشاسب والقسبري.

وحدث لها تأثير تقدمي من صوت الجيم المسبوق بالراء في الرجس ← الرجز. وكذلك

= (رجس) عشر مرات بمعنى متساوٍ في الاستخدام انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة رجز ورجس ٣٠٠ و ٣٠١ وانظر: المزهر ١/٤٧٣ وجاءت عن أبي عبيدة أمثلة أخرى في الإبدال بين السين والزاي مثل عجس القوس وعجزها معجس ومَعْجِز وهو مقبض القوس انظر: الإبدال والمعاقبة للزجاج ٦٨، والإبدال لابن السكيت ١٣٢، وجاء عنه أيضًا القسبريّ والقزبري. النقائض ١/٤٤٠.

(١) المجاز ٢/١٣٥.   (٢) النقائض ١/٣٨٨.   (٣) السابق ١/٣٥٦.

(٤) السابق ١/٢٤٩ وجاء في اللسان لَصِقَ به يلصق لصوقًا : وهي لغة تميم، وقيس تقول لَسِقَ بالسين وربيعة تقول لزق وهي أقبحها. انظر: اللسان مادة (لصق) ٥/٤٠٣٢.

في كلمة معْجس القوس.

أما ملاحظة أبي عبيدة في نطق الراوي الأسْد بدلا من الأزد فإن ذلك من قبيل نبر التوتر[1] حيث المقطع الأخير من النوع الخامس.

ء ـ سَ د (ص + ح ق + ص + ص) وذلك في حالة الوقف في قوله [منازل الأسد] فتحول المجهور إلى مهموس بزيادة النبر.

الأزد ← الأسد[2]

في رقم ٢ تحولت السين المرققة إلى نظيرها المفخم (الصاد) تحت تأثير اللام المفخمة بالفتحة الطويلة في مماثلة رجعية في كلمة مسلاق ← مصلاق أما في كلمة قصمما فالتفخيم مصدره من القاف اللهوية حيث توصف بعمق المخرج فتتاشبه مع الحروف المطبقة ولكن المماثلة في هذه الحالة تقدمية في كلمة السغد وقعت السين تحت تأثير الغين وهي من الأصوات العميقة المخرج[3] في تأثير رجعي. وفي رقم ٣ وقعت الصاد وهي مطبقة بين اللام المفخمة والقاف عميقة المخرج المفخمة بالفتحة الطويلة من الصاد فصارت لصق ← فخالفت لغة قيس كثرة التفخيم بسلب سمة التفخيم من الصاد فصارت لصق ← لسق لقوم من ربيعة أنها أفقدت سمة التفخيم مثلهم في ذلك مثل قيس إلا أنهم زادوا سمة الجهر ومصدره تأثير اللام في مماثلة تقدمية فصارت (لزق) وهي أبعد لاشك من الصيغة (لسق) في مجال التطور. فالزاي في هذه الحالة ليست الزاي الفصيحة وإنما هي النظير المجهور للصاد وربما أبقوا على صفة التفخيم.

٢ـ الأصوات الأسنانية:

الأمثلة: المعاقبة بين الثاء والسين

١ـ قال البعيث: (الطويل)

أَلَاَ حَيِّيَا الرَّبْعَ القَواءَ وَسَلِّما   وربعاً كَجُثْمانِ الحمامةِ أَدْهَمَا

---

(١) انظر: الأصوات اللغوية ١٠٦ والمدخل إلى علم اللغة ١٠٥.

(٢) وقد ذهب إلى ذلك أبو منصور الثعالبي حيث جاء في اللسان الرجس هاهنا بمعنى الرجز، وهو العذاب قلبت الزاي سينًا، كما قيل الأسْد والأزد اللسان مادة (رجس) ١٥٩٠/٣

(٣) لاحظ بعض العلماء أن ظاهرة التفخيم تتجه إلى التوسط بين التفخيم الغليظ والرقة المشتركة في أغلب الأصوات والتفخيم أعم من الإطباق انظر في التطور اللغوي ١٩٥.

ويقال جثمان وجسمان[1].

٢ـ وقال الفرزدق (الطويل)

وراحوا بجثماني وأُمسِكَ قَلْبُهُ   حُشَاشَتُه بين المُصَلِّي وواقِمِ

ويروى بجسماني، وهو الجسم وكذلك الجثمان[2].

٣ـ قال أبو عنترة [شَدَّاد بن معاويةَ العَبْسيّ] (الوافر).

فَتَلْتُ سَرَاتَكُمْ وَحَسَلْتُ منكم   حسيلاً مثل ما حُسِلَ الوِبَارُ

حُسَالةُ الناسِ وحُفَالَتُهُمْ وَحُثَالَتُهُمْ.. السِّفْلة[3]. والحفالةُ واحد وهو من التمر والشعير وما أشبههما القشارة.

٤ـ قال الفرزدق: (الكامل)

شُمُّ السَّنابِكِ مُشْرِفٌ أَقْتارُهَا   وإذا انْتُضِينَ غَدَاةَ كُلِّ صِقَالِ

ويروي رُثْمُ السنابك، ويروي [رُتُمُ] بالتاء مُعجمة اثنتين[4]

٥ ـ قال الفرزدق أيضًا: (الطويل)

إذا عَجَزَ الأحياءُ أَنْ يَحْمِلُوا دَمًا   أَنَاخَ إلى أَجْدَاثِنَا كُلُّ غَارِمِ

ويروى أجدافنا[5].

٦ـ وقال أيضا (الطويل)

وَمَا عَلِمَ الأقوامُ مِثْلَ أسيرنا   أسيرًا ولا أجدافَنا بالكواظمِ

أجدافُنا لغة تميم، ويروى أجداثنا[6] والجدث القبر يُقال، جدفٌ وجدثٌ[7].

---

(١) النقائض ٤٢/١.
(٢) النقائض السابق /٣٤٤ وانظر: المزهر ٥٦١/١.
(٣) النقائض ٩٧/١ ويتضح من شواهد اللسان أن منطوق الحثالة بالثاء المثلثة هو الأصل وأن منطوق حسالة وحفالة بالسين والفاء متطور عنه لقد أورد ابن منظور حثالةُ الطعام وحثالة الدهر وحثالة الناس انظر: اللسان مادة ٧٧٥/٢ وانظر: الإبدال لابن السكيت ١٢٥.
(٤) النقائض ٢٩٢/١ رُثْمُ السنابك؛ أي مكسورة وذلك من وطئها الحجارة من قولهم فلان أرثم، إذا كانت سنة مكسورة وقد ذُكر هذا المعنى) الذي ذكره أبو عبيدة) في اللسان مادة (رثم) وزاد الأرثم الملطخ بالدم انظر: ١٥٨٢/٣ أما في مادة (رتم) فقال الرَّتْم والرَّتَم، الدق والكسر بالتاء والثاء واحد انظر: اللسان ١٥٧٨/٣ وانظر: كذلك اللهجات العربية في التراث ٤٣٣/٢.
(٥) النقائض ٣٨٢/١ وانظر: غريب الحديث للهروي ٣٤٩/١.
(٦) السابق ٣٧٩/٢.
(٧) السابق ٨٤٨/٢ الجدث القبر .... وقد قالوا: جدفٌ، فالفاء بَدَلٌ من الثاء لأنهم قد أجمعوا في الجمع على =

٧ــ قال جرير: (الوافر)

أَلَمْ تَخْشَوا إذا بَلَغَ المَخَازِي عَلَى سَوْآتِ جِعْثَنَ أَنْ تُثَارَا

ويروي (تُزارَا)[(١)].

ويظهر من الأمثلة السابقة عند أبي عبيدة أن صوت الثاء وهو صوت أسناني رخوٌ مهموس مرقق قد تعرض لبعض التطورات التاريخية المُبكِّرة، وقد اتخذ ذلك مسارين.

الأول: أن يتقدم مخرجه فيصير صوتًا شفويًّا أسنانيًّا مع الاحتفاظ بالصفات السابقة فيتحول إلى صوت الفاء العربية.

الثاني: أن ينتقل المخرج إلى الخلف فيصير لثويًا أسنانيًا فإن احتفظ بكل الصفات كان إبداله مع صوت [السين] وإن تغيرت صفة الرخاوة إلى الشدة كان إبدالهُ مع صوت (التاء) أما إن تغيرت صفة الهمس إلى الجهر كان إبداله مع صوت [الزاي] وأُمثل لذلك على الشكل التالي:

ف رخو مهموس مرقق ← ث رخو مهموس مرقق ← ت (لثوي أسناني شديد مهموس مرقق)

شفوي أسناني ← س لثوي أسناني رخو مهموس مرقق

انتقال المخرج إلى الأمام ← ز لثوي أسناني رخو مجهور مرقق

انتقال المخرج إلى الخلف + زيادة سمة " الجهر مع الزاي " و " الشدة مع التاء "

ونلحظ في هذه الأمثلة: أن أبا عبيدة كان يعمد إلى تلك القضايا الصوتية سواءً وجد رواية أخرى تكشف التطور الصوتي الذي يرصده أو لم يجد فهو في الشاهد الأول لم تسعفه الرواية بالتطور الصوتي فقال: ويقال (جثمان وجسمان) وكذلك في الشاهد الثالث أما في الشاهد الرابع فإنه مع وضوح معنى (شُم السنابك) فإنه بحث عن الروايات التي بها تطور صوتي ليرصده ويبينه فقال ويروي (رُثْم) و (رُتْم) واهتم بمعنى هذه الرواية ليصل إلى أن هذا الإبدال بين الثاء والتاء إنما هو من قبيل التطور الصوتي للثاء وكذلك فعل مع بقية

- أجداث، ولم يقولوا أجداف وذلك لأنه ضعف، بالإبدال والعرب تُعَقِّبُ بين الفاء والثاء في اللغة انظر: في ذلك اللسان مادة (حدث) ٥٥٩/١ وكذلك مادة (جدف) وانظر: كذلك غريب الحديث ٣٤٨/١ وقد أشار الدكتور أحمد علم الدين إلى ورود إبدالات هذا الباب عن أبي عبيدة انظر: اللهجات العربية في التراث ٤٢٠/٢.

(١) النقائض ٢٥١/١.

الشواهد حيث اهتم بالروايات التي بها تطور صوتي أو لهجي.

صوت الذال: الأمثلة:

١ـ قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾[1][النساء: ١٤١]، قال العجاج: (الرجز)

يُحوذُهُنّ وله حُوذِيّ كما يحوذُ الفِئَةَ الكَمِيُّ

يحوذهن: مثل يحوزهن، أي يجمعهن[2].

٢ـ قال ـ تعالى ـ: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر: ٥٢]، وهي الكتب واحدها زبور، ويقال زَبَرْتُ الكتابَ وذَبرْتُ، أي كتبت[3] وقال أبو ذؤيب: (المتقارب)

عَرَفْتُ الدِّيارَ كَرَقْمِ الدَّوا يَزْبُرُها الكَاتِبُ الحِمْيَرِيُّ

و " كما دبر " في رواية[4].

٣ـ قال السيوطي جاء في الصحاح: المقزحرّ: المتهيئ للسباب والشر تراه الدهر منتفخًا شبه الغضبان قال أبو عبيدة: هو بالذاب والدال جميعًا[5].

ويمكن أن نسجل من خلال ذلك ملاحظتين:

الأولى: أن صوت الذال، وهو صوت أسناني رخو مجهور مرقق يحدث له انتقال في المخرج إلى الخلف فيتحول إلى لثوي أسناني وبنفس الصفات وهذا هو وصف صوت [الزاي] إلا أن الهذليين قد حافظوا على نطق الذال في مادة (ذَبَرَ) بمعنى كتب أو قرأ لكن

---

(١) ستحوذ عيكم: نغلب عليكم.

(٢) المجاز ١٤١/١ و ١٤٢ ذكر ابن منظور بيت العجّاج (يصف الثور والكلاب) بروايته الزاي في يحوذ فقال: يَحُوزهُنّ وله حُوزيُّ كما يحوزُ الفئَة الكميُّ ثم قال: وكان أبو عبيدة يروي العجاج (حوذيّ) بالذال والمعنى واحد وكذلك فعل في مادة حود انظر: اللسان مادة (حوذ) ١٠٤٠/٢ ومادة حوز /السابق نفسه. ورواه السيوطي كذلك بالذال عن أبي عبيدة وبالزاي عن أبي عمرو ونقل عبارة أبي عبيدة والمعنى انظر: المزهر ٥٦٠/١.

(٣) المجاز ٣٥٩/١و ٢٤١/٢. وانظر: الإبدال لابن السكيت ١٤١.

(٤) المجاز ٣٥٩/١ قال صاحب اللسان وزبرت الكتاب وذبرت وقرأته والذبر الكتابة مثل الزبر وقال هي لغة لهذيل وأنشد بيت أبي ذؤيب الذي أنشده أبو عبيدة بالذال كما أنشد شاهدًا آخر من هذيل انظر: في ذلك اللسان مادة دبر ١٤٨٨/٣ ومادة زبر بالزاي ١٨٠٤.

(٥) المزهر ٣٢٩/٢.

اللغة الفصحى قد تطورت فيها الذال إلى الزاي ثم نزل القرآن الكريم وسجل المرحلة الأخيرة التي سادت في لهجات العرب فجاءت المادة في القرآن الكريم [زُبُر]و [زَبُور] وبقيت لهجة هُذيل تستخدم الذال بدلا من الزاي في هذه المادة اللغوية، أما رواية الذال ممن غير الهذليين في المادة فيمكن أن تفسر على أنها من باب زيادة التفصح لأنه عكس التطور الصوتي.

الثانية: أن صوت الذال يحدث له انتقال في المخرج إلى الخلف أيضًا فيتحول إلى لثوي أسناني إلا أنه يكتسب صفة الشدة فيتحول إلى دالٍ ويبدو أن ذلك بدأ منذ وقت مبكر كما لاحظه أبو عبيدة وكان محدودًا للغاية ثم انتشر على نطاق واسع كما نلاحظه في العامية المعاصرة.

انتقال مخرج ذ ← ز

أسناني لثوي أسناني (تطور صوتي) رخو مجهور مرقق

رخو مجهور مرقق

(د) لثوي أسناني شديد مجهور مرقق

ر ← د (زيادة في التفصح)

٣ ـ الأصوات الشفوية: (الباء المجهورة):

الأمثلة:

ـ قال ـ تعالى ـ: ﴿**مِنْ طِينٍ لازِبٍ**﴾[1] [الصافات: ١١]، مجازُها مجارُ لازم.

ـ قال جرير (الطويل)

ألاَ رُبَّما لم نُعْطِ زيقًا بِحُكْمِهِ وأدَّى إلينا الحكم والغُلُّ لازبُ

قوله: [والغُل لازبُ] يعني لازمًا، ولازب ولازم سواء بمعنّ واحد، والعرب تقول: ضربةُ لازبٍ ولازمٍ بمعنى واحد كذلك كلام العرب[2].

---

(١) جاء عن الفراء أن العرب تقول: ليس هذا بضربة لازم ولازب يبدلون الباء ميمًا لتقارب المخارج وقال أبوبكر: وصار الشيء ضربة لازب أي لازمًا. هذه اللغة الجيدة، وقد قالوها بالميم والأول أفصح انظر: اللسان مادة (لزب) ٤٠٢٦/٥ وجاء في مادة (لزم) ، وصار الشيء ضربة لازم كلازب، والباء أعلى اللسان ٤٠٢٨/٥.

(٢) المجاز ١٦٧/٢ استشهد أبو عبيدة على ورودها بالباء ببيت النابغة :

ولا يحسبون الخير لا شر بعده ولا يحسبون الشرَّ ضربة لازبِ

كما استشهد ببيت قيس بن عمرو من بني الحارث الملقب بالنجاشي حيث يقول :

ـــ قال جرير: (الكامل)

مُتَرَاكِبٌ زَجِلٌ يُضِيءُ وَمِيضُهُ كَالبُلْقِ تحت بطونها الأمهارُ

ويروى: متراكم[١].

ـــ قال: والنَّضِدُ ما عظُم من السحاب وتراكم بعضه إلى بعض ويقال تراكم، ويقال تراكب أيضًا بالميم والباء[٢].

ـــ يقال: شيخٌ جِلْحَابٌ، وعَشَمَةٌ وَعَشَبَةٌ[٣].

ـــ قال: وَرَكَبْتُه وَزَكَمْتُه بمعنى واحد[٤].

ـــ وجاء في الإبدال لابن السكيت:

وقال أبو عبيدة: قد سَمَّد شَعَرَهُ وَسَبَّده[٥]، وقال السَّاسَمُ والسَّاسَبُ: شجر[٦]. وقال أيضًا عَقْمَةٌ وعَقْبَةٌ لضرب من الوشي ويقال اضْبأكَّت الأرض، واضمأكَّت إذا خضرت من النبات، ويقال كمحته وكبحته[٧] وقال: الرُّجْمَةَ والرُّجْبة أن تطول النخلة[٨].

وتفسير هذا الإبدال بين صوتي الباء والميم مرجعه إلى اتفاق المخرج والصفات بين الصوتين ما عدا نقطة واحدة هي أنفية الميم وشفوية الباء ويفسر لنا " مالمبرج" هذه العلاقة حيث يقول: إنه في نطق الباء يغلق الحنك الرخو المدخل للتجاويف الأنفية: فإذا جمعنا بين غلق التجويف الفموي وهبوط الحنك الرخو وممر هوائي مفتوح عن طريق الأنف حصلنا على السواكن الأنفية، فالساكن الأنفي، وقفي من حيث نطقه الفموي، لكنه صوت منطلق إذا أخذنا التحويف الأنفي بالاعتبار فإذا فتحنا مدخل التجاويف الأنفية أثناء نطقنا [b]

- بنى اللومُ بيتًا فاستقرت عِمادهُ عليكم بني النجار ضربة لازب.

المرجع السابق نفسه.

(١) النقائض ٢/٨٠٩. (٢) السابق ٢/٨٤٩.

(٣) الغريب المصنف ١/١١٩ وجاء في اللسان مادة (عشب) والعشبة بالتحريك الناب الكبيرة، وكذلك العشمة بالميم، يقال شيخ عَشبة وعشمة بالميم والباء انظر: اللسان ٤/٢٩٥١ وكذلك مادة (عشم) ٤/٢٩٥٨ و ٢٩٥٩.

(٤) النقائض ١/١٥٧ وجاء في اللسان الرُكبة النطفة والزكمة الولد وأورد عن يعقوب رُكمة كزكمة انظر: اللسان مادة ركب ٣/١٨٤٧ ومادة زكم ٣/١٨٤٨ وانظر: الإبدال لابن السكيت ٧٥) ٧٦.

(٥) الإبدال ٧٢ والتسبيد أن يستأصل شعره حتى يلصقه بالجِلْد، ويكون التسبيد أن يحلق الرأس ثم ينبت منه الشيء اليسير.

(٦) السابق ٧٣. (٧) السابق ٧٥. (٨) السابق ٧٢.

حصلنا على ساكن أنفي شفوي هو [M][1].

الباء المهموسة:

قال أبو عبيدة: ومما دخل في كلام العرب من كلام فارس المِسْحُ تسميه العرب البلاس بالباء المشبع[2] وبالنظر، إلى أن كلمة البلاس فارسية. يتبين لنا أن أبا عبيدة يميز بين الباء المجهور وهي الباء العربية المعروفة والباء المهموسة أو المشبع وهي الباء الفارسية يقول الدكتور عبد الصبور شاهين: ولكن الباء العربية المجهورة ، إذا فقدت جهرها نُطقَتْ مهموسةً أشبه بصوت الفاء وليست به.. وهذا الصوت من الأصوات الأساسية في اللغة الفارسية ويرمز إليه [ب] تمييزًا له عن رمز الباء المجهور الفصحى[3].

---

(١) الصوتيات ٩١.

(٢) اللسان مادة (بلس) وإعراب القرآن لأبي جعفر ٢١٢/١، ٢١٣ وجاء في اللسان: وأهل المدينة يسمون المِسْحَ بلاسًا وهو فارسي معرب، ومن دعائهم أرانيك الله على البُلس، وهي غرائر كبار من مسوح يجعل فيه التبن ويُشهر عليها من يُنَكَّل به ويُنَادَى عليه، اللسان مادة (بلس).

(٣) في التطور اللغوي ١٩٤، ١٩٥.

الفَصْلُ الرَّابِعُ- المُعَاقَبَةُ في أشباه الصَّوامِتِ والحركات

ـ تقديم:

أولاً- المعاقبة بين أشباه الصوامت

أ ـ بين الواو والياء

ب ـ الحركة الصريحة والمزدوجة

ثانيًا- المعاقبة بين الصوائت الضيقة (بين الضمة والكسرة)

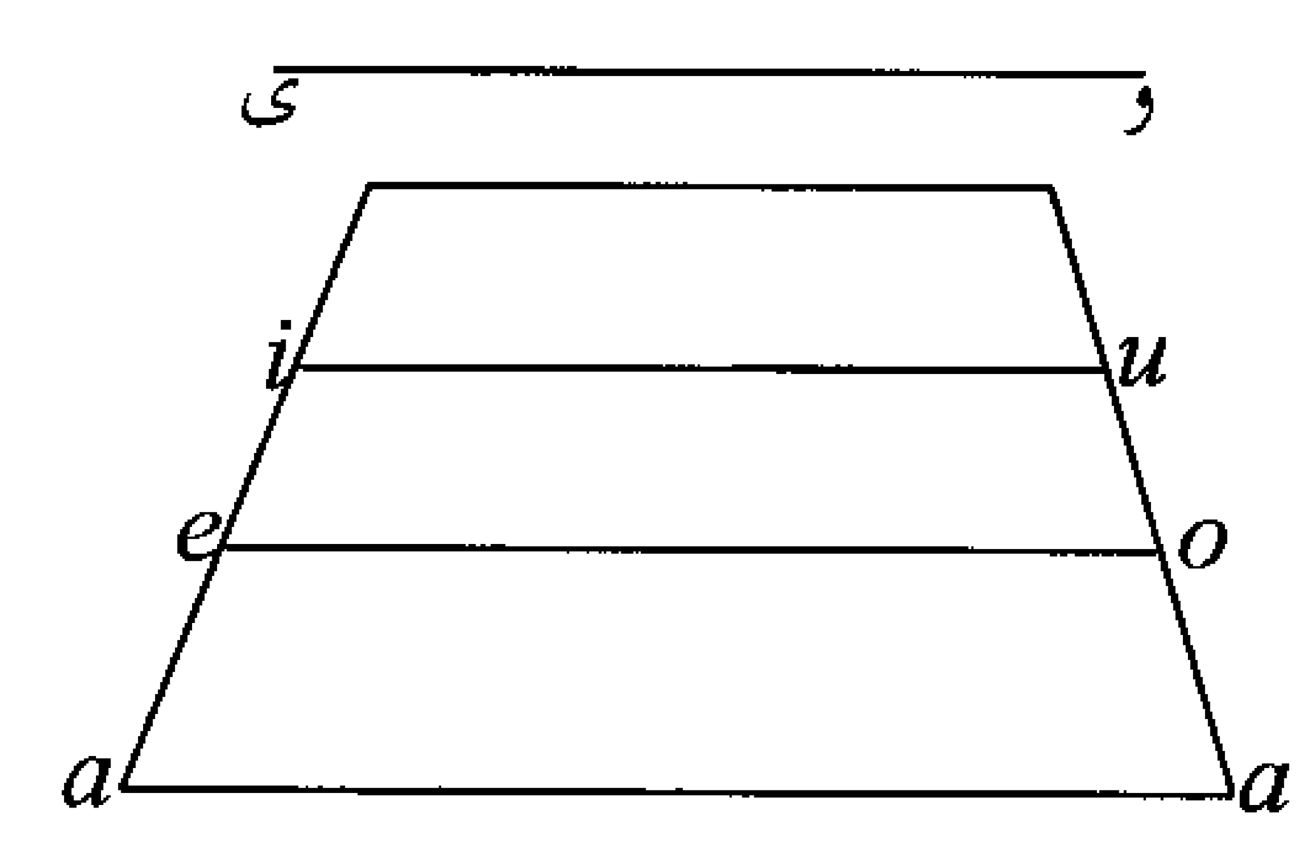
أ ـ الحركة القصيرة

ب ـ الحركة الطويلة

ثالثًا- المعاقبة بين الصوائت الضيقة والمتسعة

١ـ بين الكسر والفتح: أ ـ الحركة القصيرة ب ـ الحركة الطويلة

٢ـ بين الضم والفتح: أ ـ الحركة القصيرة ب ـ الحركة الطويل



المعاقبة بين الصوائت:

اتخذت المعاقبة في فكر أبي عبيدة مستويين نُميّز بينهُما من خلال التعريف الموجز ثم نعرض للنماذج التطبيقية. وسأوضح خلال عرض القوانين الصوتية والمنهج اللغوي المتبع عند أبي عبيدة في كل ظاهرة من ظواهر المعاقبة:

المعاقبة بين الصوائت الضيقة:

المقصود بالصوائت الضيقة ، في عرف علماء الأصوات هو الكسرة والضمة وسُميت بالضيقة (close vowels) لأنها تنطق عندما ترتفع مقدمة اللسان ـــ كما هو الحال مع الكسرة نحو الحنك الصلب فتضيق المسافة بينهما، أو ترتفع مؤخرة اللسان ـــ كما هو الحال مع الضمة ـــ نحو الحنك الرخو فتضيق المسافة بينهما[1] حيث يرتفع اللسان حال النطق بها تجاه الحنك الأعلى إلى أقصى درجة ممكنة[2] فإن لم يحدث احتكاك نتجت الحركات القصيرة وإن أُحدثَ احتكاكٌ، كانت الحركات الطويلة[3] أو أنصاف الحركات[4]. وتتفارق الحركات الضيقة فيما بينهما بمقدار ارتفاع اللسان نحو الحنك[5] أو طريقة ارتفاعه، فإن ارتفعت مقدمة اللسان تجاه الحنك الصلب نتجت الحركات الأمامية (frontvowels) وهي الكسرة في العربية، وإن ارتفعت مؤخرة اللسان نحو الحنك اللين " الطبق نتجت الحركات الخلفية (back vowls) فهما يتشابهان بالنظر إلى علو اللسان في وسط الفم وضيق حجرة الرنين الفموي ويتفارقان بالنظر إلى عمل الجزء الأمامي أو الخلفي للسان وقد أدرك علماء العربية علاقة القربى بين أصوات العلة الضيقة فالضمة أخت الكسرة كما يقول ابن درستويه، وياء المد وكذلك واو المد يكونان ردفين في القصيدة الواحدة[6].

---

(١) الصوتيات للمبرح ت. د/محمد حلمي ٧٦. (٢) الأصوات العربية ١٤٤.

(٣) المدخل إلى علم اللغة ٩٢.

(٤) مثل الواو في كلمة (ولد) والياء في كلمة (يترك) وهي تقترب من الحركة لكنها تسلك مسلك الأصوات الصامتة فهي تبدأ من منطقة الحركة ولكنها تنتقل أو تنـزلق إلى مكان آخر بسرعة ولذلك تسمي الانزلاقية أو أنصاف الحركات انظر: الأصوات اللغوية ١٣٢) ١٣٥.

(٥) انظر: الرسوم التحطيطية التي تبين تدرج الحركات الضيقة مثل الكسرة (الخالصة والممالة المفخمة) وكذلك الضمة (الخالصة والممالة المفخمة) إلى.. في شكل ٤، ٥ من الأصوات العربية ١٥١ و ١٥٢ والشكل المخطط ص ٩٤ من المدخل إلى علم اللغة وشكل ٢٨ في الصوتيات للمبرح ٧٨.

(٦) المدخل إلى علم اللغة ٩٤) ٩٥.

وتوضح أمثلة أبي عبيدة وملاحظاته مستوىً آخر من المعاقبة أبعد من ذلك التعاقب الحادث في الأصوات شديدة القرابة بل يعدون عَدُوًّا للمستوى الأول[١] وهو ما نسميه بأصوات العلة المتسعة[٢] . المنفتحة (open vowels) أو المنخفضة، وتتميز ملحوظات أبي عبيدة في هذا المستوى البعيد للمعاقبة في أحد مظاهرها ببروز الجانب الدلالي المترتب عليها مثل الدَّعْوَة بفتح الدال في الطعام والدِّعْوَة بكسر الدال في النسب[٣] وبروز جانب التطور الصوتي المترتب على تبعية اختيار الفتح من جانب أو اختيار الكسر والضم من جانب آخر[٤] بينما نلحظ أن المظهر البارز في تعاقب أصوات العلة الضيقة فيما بينها هو الاختيار اللغوي للقبائل أو اختيار القُراء[٥].

وبعد جمع النظائر إلى بعضها من ملحوظات أبي عبيدة الصوتية في القراءة القرآنية، وروايات الشعر المختلفة، والمنطوق المتعدد لبعض المنثور، من الحديث، والمثل وكلام الأعراب؛ تبين أن المعاقبة عند أبي عبيدة في الصوائت وأشباه الصوائت على النحو التالي:

أولا – المعاقبة بين أشباه الصوامت :

أ ـ بين الواو والياء (في الأسماء)

١ ـ الأقيال والأقوال

قال الفرزدق: (الكامل)

ما كان يَلْبَسُ تاجَ آلِ مُحَرِّقٍ إلا هُمُ ومقاوِلُ الأقوالِ

(مقاول الأقوال (ملوك اليمن، ويروى (ومقاوِلُ الأقيالِ فمن رواه الأقيال فجمعه على (قَيْلٍ) ومن رواه الأقوال ردّه إلى الأصل[٦].

٢ ـ الخوف والخيفة:

ـ قال ـ تعالى ـ: ﴿تَضَرُّعاً وَخِيفَةً﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، أي خوفًا، وذهبت الواو

---

(١) السابق ٩٤.

(٢) وهي تلك الحركات التي يكون اللسان حال النطق بها منخفضًا في قاع الفم إلى أقصى درجة انظر: الأصوات اللغوية ١٤٤ والصوتيات للمبرج ٧٦.

(٣) المدخل إلى علم اللغة ٩٤.

(٤) انظر: أمثلة القسم الثاني في الجزء الثاني وهو المعاقبة بين الألف والياء.

(٥) القسم الأول من المعاقبة بشقيه الأول والثاني.

(٦) النقائض ٢٧٧/١.

بكسرة الخاء[١].

ـ قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ [طـه: ٦٧]، أي خوفًا فذهبت الواو فصارت ياءً من أجلِ كسرة الخَاء[٢].

ـ وقال أبو عبيدة: التحوُّز، هو التَنَحِّي، وفيه لغتان التحوز، والتحيز قال ـ تعالى ـ: ﴿أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ﴾[٣] [الأنفال: ١٦].

٣ـ قيام وقِوام:

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً﴾[٤] [النساء: ٥].

مصدر يُقيمكم، ويجيء في الكلام في معنى قوام[٥] فيكسر وإنما هو من الذي يقيمك، وإنما أذهبوا الواو لكسرة القاف، وتركها بعضهم.

كما قالوا: ضِيَاءً للناس وضِوَاءً للناس[٦].

ـ في الأفعال[٧]

---

(١) المجاز ٢٣٨/١.

(٢) المجاز ٢٣/٢ قرأ عاصم وحده في رواية أبي بكر بكسر الخاء وكذلك في الأنعام /٦٣ وقرأها الباقون مضمومة الخاء انظر: السبعة ٢٨٣.

(٣) اللسان مادة (حور) ١٠٤٦/٢.

(٤) قرأ السبعة (قيامًا وقيما) انظر: السبعة ٢٢٦ وقرأ عبد الله بن عمر في الشواذ (قِواما) انظر: مختصر شواذ القرآن ص ٣١.

(٥) ذكر أبو عبيدة عدة شواهد في المعاقبة بين قيام وقوام مثل قوله تعالى ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قيامًا للناس ﴾ أي قواما وقال حميدٌ الأرقط: قِوامُ دنيا وقِوامُ دينِ المجاز ١٧٧/١ ونقل عنه أبو عبيد القاسم بن سلام في الغريب المصنف في باب (الحروف التي فيها لغتان بمعنى) وجعل مقولة أبي عبيدة أصل الباب. انظر: الغريب المصنف ٦٦١/٣، كذلك نقل عنه ابن منظور بعض الشواهد مثل هو قيام أهل بيته وقِوام أهل بيته انظر: اللسان (قوم) ٣٧٨٢/٥ و ٣٧٨٣.

(٦) المجاز ١١٧/١ جاءت كلمة (ضياء) في القرآن الكريم ثلاث مرات يونس /٥ والأنبياء /٤٨ والقصص /٧١ وقرأ السبعة (ضياءً) في كل ذلك إلا ابن كثير في بعض طريقه قرأها ضِئئًا بهمزتين انظر: السبعة ٣٢٣ ولم يقرأ ضواءً في أيّ منها وقد راجعت شواذ السور الثلاث في مختصر ابن خالويه فلم أعثر على (ضواء) ولذلك لم يذكر أبو عبيدة القراءات وإنما مثل للقضية من كلام العرب.

(٧) ذكر السيوطي تحت عنوان (الأفعال التي جاءت لامتها بالواو والياء) ذكر أن ابن السكيت قد عقد لها بابًا خاصًّا في إصلاح المنطق وابن قتيبة بابًا في أدب الكاتب وقد نظمها ابن مالك في أبيات، انظر: =

١ــ قال ــ تعالى ــ: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات:٣٠]، يقال: دحوتُ ودحيتُ[١].

٢ــ جبيت وجبوت. قال الشاعر: (الطويل)

جبيتُ جَبا عبدٍ فأصبحتْ مُورِدًا غَرائبَ يلْقى ضَيْعَةً مَنْ يَذُودُها

جبيت: جمعت، وجبوت أيضًا[٢].

٣ ــ عَزَوْتُ الرجلَ وعَزَيْتُه[٣] إذا نسبته إلى أبيه.

ب .المعاقبة بين الضمة الطويلة والكسرة الطويلة:

الأمثلة:

١ــ الدُّول والدِّيل عبلة بنت الدُّول (ويقال بنت الدِّيل)[٤]، ومُرة بن الدُّول (والدِّيل أيضًا يُقالان)[٥].

٢ــ سِبْريت وسُبْروت: قال عمُّ أبي البلاد الطُّهَويّ: (أنت سِبْروتٌ) قال أبو عبيدة وإن شئت (سُبْرُوتٌ) وهو الذي لا يملك شيئًا[٦].

٣ــ يَغِيرُونِي ويَغُورُنِي تقول: غارني الرجل يَغيْرُني ويَغُورُني إذا وداك من الدِّية[٧] .

ويمكن أن نسجل على شواهد أبي عبيدة الملاحظتين الآتيتين:

الأولى: تفسير أبي عبيدة للتحول الصوتي:

= المزهر ٢٧٩/٢ و ٢٨٠ و ٢٨١ و ٢٨٢ وبعد مراجعة هذه الأفعال وجدت أنهم يرددون عبارة أبي عبيدة أن عزوت وعريت وكنوت وكنيت بمعنى واحد إلا أنهم لم يلتفتوا إلى الجانب الصوتي كما تنبه له أبو عبيدة.

(١) المجاز ٢٨٥/٢. (٢) النقائض ٢٤/١. (٣) الغريب المصنف ٦٢٠/٢.

(٤) النقائض ٤٢٠/١. (٥) السابق ٤٥٨/١.

(٦) كان أبو البلاد الطُّهَويّ الشاعر خطب سَلْمَى بنت عمه لَحًّا فقال له العبارة انظر: النقائض ٤٣٤/١ أورد أبو عبيد القاسم بن سلام شاهدًا من الشعر على (سُبْروت) قال الشاعر: (الرجز)

سميتها إذ وُلدتْ تموتُ والقبر صِهْرٌ ضامنٌ زِمِّيتُ

يابنة شيخ ما له سُبْروتُ

يقال: أرض ساريت، والواحد سُبْروت، وهي التي لا شيء فيها غريب الحديث ٢٣٥/١.

(٧) الغريب المصنف ٦١٩/٢ وقد ذكر أبو عبيد القاسم بن سلام منسوبًا لأبي عبيدة والكسائي في باب (يَفْعِلُ ويفْعُلُ من ذوات الياء والواو المرجع السابق نفسه.

القانون الصوتي[١]: (تتحول الواو إلى ياء إذا سُبِقَتْ أو تُلِيَتْ بكسرة) تعبير أبي عبيدة عن القانون من خلال الأمثلة

خيفة ← من الخوف ـــ ذهبت الواو فصارت ياءً من أجل كسرة الخاء.

ـــ ذهبت الواو بكسرة الخاء (أي بسبب كسرة الخاء)

ـــ قيامًا ← من قِوامًا ـــ وإنما أذهبوا الواو لكسرة القاف[٢].

ويدخل هذا القانون ضمن قوانين المماثلة Assimilation، وقد وقعت تلك المماثلة بين شبه الحركة (الواو) والحركة (الكسرة) حيث تحولت شبه الحركة الخلفية (وهي الواو في أمثلة أبي عبيدة) إلى شبه حركة أمامية (الياء) تحت تأثير صوت ثالث هو الكسرة وهو حركة أمامية[٣] ، وذلك لتحقيق الانسجام الصوتي مما يطلق عليه علماء الأصوات مماثلة تقدمية[٤] أو التأثير المقبل الذي قد يكون في حالة اتصال أو انفصال[٥].

ويتضح من الأمثلة ، أن التطور الصوتي الحادث في المعاقبة بين الواو والياء؛ أن ؛ نما مرجعه حركية فاء الكلمة فإن الكسرة (كما هو الحال عند الحجاز وحواضره) ؛ كان اتجاه المماثلة نحو الياء كما في الأمثلة التالية:

دُول ← دويل

د ـــُ ـــُ ل ـــُ ن ← د ـــِ و ل ـــُ ن ← ـــِ ـــِ ل ـــُ ن

مخالفة مماثلة

(١) انظر: القوانين الفنولوجية ٦٤.

(٢) وقد تأثر أبو عبيد القاسم بن سلام تلميذ أبي عبيدة بتعبيرات أبي عبيدة الصوتية في بعض ملاحظاته يقول أصل الريح الواو وإنما جاءت الواو ياء لكسرة الراء قبلها انظر: في ذلك غريب الحديث ١/١٩٦ ، ١٩٧ وكذلك ١١٢، ١١٣.

(٣) القوانين الفسولوجية ٦٤.

(٤) عرّف الدكتور الراجحي المماثلة التقدمية وفيها يتأثر الصوت الثاني بالأول أما المماثلة الرجعية وفيها يتأثر الصوت الأول بالثاني انظر: اللهجات العربية في القراءات ١٢٦.

(٥) هذا تقسيم الدكتور رمضان عبد التواب فكلما مثل خِوفة وقوام ورَوْق الشباب وضواء والدُّول عندما تصير خيفة وقيامًا وريق الشباب وضياء والديل فهو تأثير مقبل كلي في حالة اتصال أما في كلمة سُبْروت عندما تصير سِبْريت فهو تأثير مقبل كلي لكنه في حالة انفصال.

ـــ سُبْروت ← سِبْريت

س ـــُ ب ر ـــُ ـــُ ← س ـــِ ب ر ـــِ ـــِ ت

حركية الفاء + مماثلة

ـــ قوم ← قُوَام ← قِوَام ← قِيَام

بناء فُعال حركية الفاء نحو الكسر مماثلة

ق ـــُ و ـــَ ـــَ م ـــُ ن ← ق ـــِ و ـــَ ـــَ م ـــُ ن ← ق ـــِ ي ـــَ ـــَ م ـــُ ن

ـــ تَحَوَّز ← تَحَيَّز

ـــ ت ـــَ ح ـــَ وو ـــَ ز ـــَ ← ت ـــَ ح ـــَ ي و ـــَ ز ـــَ

مخالفة

← ت ـــَ ح ـــَ ي ي ـــَ ز ـــَ

مماثلة

وإن كانت الضمة ـــ كما هو الحال عند القبائل البدوية ومن تأثر بها ـــ كان اتجاه المماثلة نحو الواو ويمكن إبراز خطوات التأثير الصوتي على النحو التالي:

ـــ خوف خُوفة ← خِوفة ← خِيفة

بناء فُعْلة حركة الفاء نحو الكسر مماثلة تقدمية

خ ـــُ ـــُ ف ـــَ هـ ← خ ـــِ و ـــَ ف ـــَ هـ ← خ ـــِ ـــِ ف ـــَ هـ

ـــ قول " مفرد جمعه أقوال " ← قُوْل ← قِوْلُ ← قِيلُ ← (قَيْلُ) مفرد جمعه أقيال "

بناء صيغة فُعْل ← نحو الكسر مماثلة مخالفة (جمع بين صيغتين أو تفريع الكسر والفتح)

٢ ـــ الملاحظة الثانية:

روى أبو عبيدة بيت الفرزدق التميمي في الشاهد " مقاول الأقوال " وبنو تميم

يؤثرون حركة الضم أو الحركة الخلفية، ثم ذكر الرواية الأخرى " مقاول الأقيال "

ثم قال: ـــ (فمن رواه الأقيال جمعه على قَيْل) ويفهم من ذلك كثرة الاستعمال.

ـــ (ومن رواه الأقوال رَدّه إلى الأصل). ويفهم من هذه العبارة أنه يراعي أصل البناء؛ فهو يوجه رواية لكثرة الاستعمال ويقدمها على رواية البيت عند الشرح ويوجه الرواية الأخرى بالبقاء على الأصل دون أن يَرُدَّ أيًّا منهما.

ب. المعاقبة بين الحركة الصريحة والحركة المركبة (أشباه الصوامت)

مثال ١– دَوْلة ودُولة:

قال ـــ تعالى ـــ: ﴿كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ [الحشر: ٧]، قال أبو عبيدة[١]:

(دولة: مضمومة ومفتوحة)[٢].

مثال ٢– رَوْق الشباب وريق الشباب

قال البعيث: (الطويل)

مَدَحْنَا لَهَا رَوْقَ الشَّبَابِ فَعَارَضَتْ   جِنَابَ الصِّبَى فِي كَاتِمِ السِّرِّ أَعْجَمَا

رَوْق الشباب وريقه، أوله[٣] ومن هذا أيضًا قَوْلٌ وقِيلٌ[٤].

خطوات المعاقبة:

دـــَ ولـــَ تـــُ ن ← دـــَ ـــُ × لـــَ تـــُ ن ← دـــُ ـــُ لـــَ تـــُ ن

مماثلة رجعية

رـــَ و قـــُ ن ← رـــِ و قـــُ ن ← رـــِ ـــِ قـــُ ن

اتجاه كسر فاء الكلمة   مماثلة تقدمية

---

(١) المجاز ٢/٢٥٦ ،

(٢) بفتح الدال على رضي الله عنه والسلمي وابن عامر والمدني، دُولة بالرفع عن أبي حَيْوة انظر: شواذ القرآن ١٥٤ و ١٥٥ وقد فرّق بعض العلماء في المعنى بين دَولة بالفتح ودُولة بالضم ومنهم أبو عمرو بن العلاء والزجاج وأبو عبيد القاسم بن سلام والأزهري والجوهري، بينما نظر إليها فريق آخر أنها من باب لغات العرب والمعاقبة الصوتية أو اختيار القبائل، ويأتي عيسى بن عمر ويونس والليث، وأبو عبيدة على رأس هذا الفريق اللسان مادة دول ٢/١٤٥٥.

(٣) النقائض ١/٤٣.

(٤) المجاز ١/١٤٠.

تأثرت أشباه الصوامت بالحركات فتحولت إلى حركات صريحة ضمة طويلة أو كسرة طويلة.

ثانيا – المعاقبة بين أصوات العلة الضيقة:

أ ــ الحركات القصيرة:

في الأسماء (فاء الكلمة)

١ــ إضحيان: الشاهد: (فوقفا في ليلة إضحيان)[١] يعني مُقْمِرَة يُقال إضحيان وأُضحيان بكسر الألف وضمها[٢].

٢ــ أُمَّة ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، الشاهد: وكانوا بأُمَّة وبإِمَّة[٣] أي استقامة وقالوا هو في أُمَّة وإِمَّة (معناه الدين الاستقامة)، قال النابغة: (الطَويل)

وَهَلْ يأْثَمَنَّ ذو أُمَّةٍ وَهْوَ طائعٌ

ذو أمة بالرفع والكسر[٤].

٣ــ جذوة[٥]

الشاهد: روى عن الحسن في خبر غارات الجحّاف (إنما الجحافُ جُذْوةٌ مِنْ نار جهنم) قال أبو عبيدة: جِذْوَةٌ وَجُذْوَةٌ لغتان[٦].

٤ ــ (دُرِّيٌّ) الشاهد قال ــ تعالى ــ: ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ [النور: ٣٥]، بغير همز أي مُضيء ويُراد كالدُّرِّ إذا ضممت أوله.

---

(١) جاء في اللسان ليلة ضحياء وصحْيان وصَحيانة وإضحيان وإضحيانة بالكسر: مضيئة لا غيم فيها وقيل مقمرة وفي حديث إسلام أبي ذر (في ليلة إصحيان) أي مقمرة والألف والنون زائدتان اللسان (ضحا) ٢٥٦٢/٤.

(٢) النقائض ٥٨٣/٢.

(٣) جاء في اللسان الأُمَّة والإِمَّة الدين وروي عن مجاهد وعمر بن عبد العزيز وكذلك روى الفراء (إنا وجدنا آباءنا على إمّة) مادة أمم ١٣٢/١ و ١٣٣.

(٤) المجاز ١٠٠/١ وقد فرّق غير أبي عبيدة في الدلالة فقال: من قال ذو أمة فمعناه ذو دين ومن قال ذو إمّة فمعناه ذو نعمة والبيته في اللسان ١٣٥/١.

(٥) الجِذْوة والجَذْوة والجُذْوة: القبسة من النار وقيل هي الجمرة اللسان مادة (جذا) ٥٨١/١.

(٦) المقصور والممدود القالي ١٨١ قال الدكتور عبده الراجحي: (اختلفوا في ضم الجيم وكسرها من قوله تعالى: ﴿ جذوة ﴾ بكسر الجيم، وقرأ حمزة بالضم) اللهجات العربية في القراءات ١٢٣ وانظر: السبعة ٤٩٣.

فإن كسرت جعلته فعِّيلاً من درأت[١].

٥ــ ذِكُر وذُكْرِ

قال ابن قتيبة في أدب الكاتب[٢] حيث عنوان (ما جاء مضمومًا والعامة تكسره) قال الفراء جاء فلانٌ على ذُكْر ــ بالضم ولا يكسر، إنما يقال ذكرت الشيء ذكرًا، وأبو عبيدة يجيزها يقول هما (لغتان)

٦ــ رَشْوَةٌ / وَرُشىً

قال أبو عبيدة: رِشْوة ورِشىً بكسر الراء، ورُشْوة ورُشىً بضم الراء، وقوم يكسرون أولها فيقولون رِشْوَة فإذا جمعوا أولها فقالوا رُشىً فيجعلون باللغتين، وقوم يضمون أولها فإذا جمعوا كسروا فقالوا: رِشىً بكسر الراء[٣].

٧ــ شِيُوخٌ وشُيُوخٌ جماعة شيخ سوءا[٤]. و (سُوىً) يُضم أولُه ويُكْسَرُ[٥].

٨ ــ صِوار وصُوار قال جرير: (الكامل)

أَرْعيَ النُّجُوَم وَقَدْ مَضَتْ غَوْرِيِّةً عُصَبُ النجومِ كأَنَّهُنَّ صُوَارُ

صِوَارُ وصُوَارُ، بكسر الصاد وضمها هو القطيع من بقر الوحش[٦].

٩ــ " طِوى " قال ــ تعالى ــ: ﴿بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً﴾[٧] [طه: ١٢، والنازعات: ١٦]، يكسر أوله قوم ويضمه قوم كمجاز قوله (الطويل)

أَلا يا اسْلَمِي ياهندُ بني بدر إن كان حَيَّانا عِدىً آخر الدهر

وعُدىً. وفي موضع آخر قال[٨]: بضم العين الأعداء وبكسرها الغرباء) أما العِدوة

---

(١) المجاز ٢/٦٦ ، وقرأ أبو عمرو والكسائي : دِرِّيٌ كسرًا وهمزًا، وأهل المدينة ضموا بغير همز، وأما قراءة حمزة فالبضم.

(٢) أدب الكاتب ٣٠٦.

(٣) المقصور والممدود لأبي على القالي ٢٢١.

(٤) النقائض ١/١٧٢ وانظر: كذلك السبعة ١٧٨ و ١٧٩ انظر: ما يشبه هذا الجمع في القراءات القرآنية الشيوخ البيوت والجيوب والعيون) وقد تتبعه الدكتور عبده الراجحي فوجد أبا عمرو يضم الحرف الأول من ذلك كله وقرأ حمزة بكسر الحروف الأول من هذه الكلمات انظر: اللهجات العربية في القراءات ١٢٣.

(٥) انظر: المجاز ٢/٢٠.

(٦) النقائض ٢/٨٤٨.

(٧) أوردت عند الفراء على المعاقبة بين الضم والكسر انظر: المقصور والممدود ص ٣٣ وقرأ ابن كثير وأبو عمرو طُوى بضم الطاء انظر. السبعة ٤١٧ أما الكسر فقد قرأ ابن محيصن انظر: مختصر في شواذ القرآن ١٦٨.

(٨) انظر: المجاز ٢/١١ وقد ذكر ذلك أيضًا على بن حمزة في التنبيهات و لم ينسبه لأبي عبيدة انظر: التنبيهات ١٨٥.

فمكسورة وبعضهم يضمها[١].

١٠ـ قُتَار (جمع قُتْرة، وهي حفيرة الصائد التي يستتر فيها)

قال الفرزدق: (الفرْزدق)

فَوْقَ الحَوَاجِبِ والسِّبَالِ كأنها   نارٌ تلومُ على شفير قُتَارِ

ويروي قِتار بالكسر[٢]. ويقال مِرْية ومُرْية أي امتراء[٣].

١١ـ النحاس[٤] قال أبو عبيدة: النِّحَاس: الطبيعة والأصل والنُّحَاس هو الصِّفْرُ الذي يُعمل منه الآنية[٥].

ـ الأفعال " عين الكلمة ":

١ـ أَضُبُّ وأَضِبُّ[٦] قال ومَثَلٌ للعرب (يَحْلُبُ بُنَيٌّ وأَضُبُّ علي يديه) ويروى بالضم والكسر[٧].

٢ـ تَحْفِلُ وتَحْفُلُ في سيرها[٨].   ٣ـ عَجلاً وعَجُلا الشاهد: قال الفرزدق: (الكامل)

وَتَرَى عَطِيَّةَ وَالأَتَانِ أمامه   عَجُلاً يَمُرُّ بـها على الأميالِ

وعجلا وعجلا لغتان معروفتان[٩].

٤ـ يَعْرِشُ وَيَعْرُشُ

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧]. يعرش ويعرش لغتان[١٠].

(١) انظر: المجاز ٢٤٦/١.

(٢) النقائض ٣٣١/١.   (٣) المجاز ١٩٨/٢.

(٤) قرأ السبعة بضم النون في (نُحاس) سورة الرحمن /٣٥ انظر: السبعة ٦٢١ وقرأ مجاهد و (الكَلْبي) بكسر النون انظر: مختصر في شواذ القرآن ١٥٠.

(٥) الغريب المصنف ٦٦٦/٣.

(٦) الصب الحلب بالكف كلها ... وقيل الضب أن تضم يدك على الضرع وتعتبر إبهامك في وسط راحتكَ اللسان ضبب ٢٥٤٤/٣.

(٧) النقائض ٣٣٢/١.   (٨) السابق ٢٧٢/١.   (٩) النقائض ٢٩٣/١.

(١٠) المجاز ٢٢٧/١ قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم (يعرشون) بكسر الراء وفي النحل /٦٨ مثله وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وابن عامر بضم الراء فيها انظر: السبعة ٢٩٢.

ب- المعاقبة بين الضمة الطويلة والكسرة الطويلة:

الأمثلة: ١ـــ الدُّول والدِّيل عبلة بنت الدول (ويقال: بنت الديل)[1].

٢ـــ سِبْريت وسُبْرُوت، قال عم أبو البلاد الطهوي: (أنت سبريت)، قال أبو عبيدة: وإن شئت (سبروت)، وهو الذي لا يملك شيئا[2].

٣ـــ يَغيرُني و يَغُورُني، تقول: غارني الرجل يغيرني ويغورني، إذا وداك من الدية[3].

دول د ـــُ ـــُ ل ← د ـــِ و ل ← د ـــِ ـــِ ل.

مخالفة مماثلة

سُـــبْرُوت ← ســـبريت س ـــُ ب ر ـــُ ـــُ ت ← س ـــِ ب ر ـــِ ـــِ ت (حركية الفاء + مماثلة).

ونستطيع أن نسجل بعض الملاحظات المنهجية من خلال النماذج التي عرضنا لها تتمثل فيما يلي:

١ ـــ الشواهد من القرآن الكريم والأمثال وأقوام العرب والشعر، والمعاقبة جاءت معظمها في فاء الكلمة من الأسماء وفي عين الكلمة من الأفعال والصفات.

٢ـــ لم يرد أبو عبيدة أية لغة من لغات العرب فهما لغتان، أو لغتان معروفتان، أو هما سواء، أو قوم يكسرون وقوم، يضمون.

٣ ـــ نَبَّهَ أبو عبيدة إلى تداخل الأصولِ وأخذ لغات العرب بعضها عن بعض .

٤ ـــ قدم أبو عبيدة الكسر على الضم في بعض الأمثلة[4] إلا أنه يقدم الضم إذا

---

(١) النقائض ٤٢٠/١، ٤٥٨.

(٢) كان أبو البلاد الطهوي الشاعر حطب سلمى بت عمه لحًا، فقال له العبارة السابقة. النقائض ٤٣٤/١. أورد أبو عبيد القاسم بن سلام شاهدا من الشعر على (سبروت) الرجز:

سَمَّيْتُها إذْ وُلِدَتْ تَمُوت   وَالقَبْرُ صِهْرٌ صَامِنٌ رِمِّيتُ

يانسة شيخ ما له سبروت

يقال: أرض ساريت والواحد سبروت، وهي التي لا شيء فيها. غريب الحديث ٢٣٥/١.

(٣) الغريب المصنف ٦١٩/٢. وذكره أبو عبيد القاسم بن سلام منسوبا لأبي عبيدة والكسائي في باب: يَفْعِل و يَفْعُل من ذوات الياء والواو.

(٤) وقدّم الرفع في كلمة أُمة ودُرِّيٌّ وفي بيت الفرزدق قُتار وفي المثل ثم سوى بين الضم والكسر.

كان مشهورًا في مثل كلمة (أُمَّة) أو كان من لغة البدو[1] كما في بيت الفرزدق ثم أشار إلى لغة الكسر في الرواية.

٥ ــ لم يُعَيِّنْ أبو عبيدة اللهجات أو القراءات؛ لكنه ذكرها على وجه الإجمال وينزل القُرَّاءَ منزلةَ العرب في اللهجات فهو يذكر القُراء كما يذكر العرب فيقول قوم يكسرون وقوم يضمون ويهتم بالشاذ اهتمامه بالمتواتر[2].

٦ــ يوضح أبو عبيدة أن المعاقبة بين الضم والكسر أحيانًا تؤدي إلى تخصيص الكلمة بدلالة في حالة الضم تختلف عن دلالتها في حالة الكسر وهذا الكسر وهذا قليل مثال: قوله ــ تعالى ــ: ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا﴾ [ص: ٦٣]، يقول: (من كسر سِخريا، وجعله من الهزء ويسخر به ، ومن ضم أولها جعله من السُّخرة، أي يتسخرونهم ويستذلونهم[3].

ثالثًا - المعاقبة بين الصوائت الضيقة والمتسعة

١ - بين الكسر والفتح

أــ بين الكسرة القصيرة والفتحة القصيرة

١ ــ بَحِحتُ وَبَحِحت

نقل ابن فارس عن الكسائي بَحِحتُ بالكسر وقال أبو عبيدة بَحَحتُ بالفتح لغة[4].

٢ــ قال أبو عبيد القاسم بن سلام[5] كان أبو عبيدة يقول: حِمل الشجر والنخل ما لم يكثر ويعظم فإذا عظم فهو حَملٌ بالفتح وفي قوله ــ تعالى ــ: ﴿حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، قال مفتوح إذا كان في البطن، وإذا كان على العنق فهو

---

(١) ذهب كثير من العلماء إلى أن الضم لغة البدو وأن الكسر من لغة الحضر انظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية للدكتور عبده الراجحي ١٢٥ وانظر: كذلك اللهجات العربية في التراث للدكتور أحمد علم الدين ٢٥٢/١ و ٢٥٦.

(٢) انظر الشاهد في الأسماء (طُوى وطِوى).

(٣) المجاز ١٨٧/٢.

(٤) مقاييس اللغة ١٧٤/١ وذكر أبو عبيد القاسم بن سلام تلميذ أبي عبيدة في اللغتين في مادة بَحَحْتُ انظر: غريب الحديث للهروي ٣٧١/١ و ٣٧٢.

(٥) الغريب المصنف ٩٩٦/٣ ونقل عنه علي بن حمزة في التنبيهات (٢٧٥ بتحقيق الراجكوتي) إذا كان في البطن فهو مفتوح إذا كان على العنق فهو مكسور.

مكسور الأول واختلفوا في حمل النخلة فجعله بعضهم من الجوف ففتحه وجعله بعضهم على العنق فكسره[١].

٣ـ قال أبو عبيدة: يقال النَّسَب دعْوةٌ، وفي الطعام دعوة، هذا أكثر كلام العرب إلا عدي الرباب، فإنهم ينصبون الدَّالَ في النسب ويكسرونها في الطعام[٢]

٤ـ عَدْلُ وعِدْلُ :

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾[٣] [المائدة: ٩٥]، مفتوح الأول أي مثل ذلك؛ فإن كسرت فقلت: عِدْل فهو زِنَةُ ذلك[٤].

٥ـ عَذْق وعِذْقُ، وفتح العين أفصح والعَذْقُ النخلة، والعِذْقُ الكُبَاسَة[٥].

٦ـ روى أبو عبيدة عن يونس أن من العرب من يقول هذا فِمٌ ورأيت فِمًا، وأخرجه من فِمه فليزم الفاء الكسر[٦] وإذا وضعنا ذلك بجانب اللُّغة المشهورة وهو فتح الفاء في فَم كانَ ذلك من باب المعاقبة بين الفتح والكسر.

٧ـ المَحَاش: المتاع والأثاث، والمِحاشُ القوم يحالفون غيرهم عند النار[٧].

٨ـ الوِزر والوَزْرُ

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام: ٣١]، واحدها وِزْرُ مكسورة والوِزرُ والوَزْرُ واحد[٨].

٩ـ الوَقْر والوِقْرُ

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾[٩] [الأنعام: ٢٥]. ومجازه: الثِّقْل والصمم.. والوِقْرُ هو الحِمْلُ إذا كسرته[١٠].

تفسير ظاهرة المعاقبة بين الفتحة والكسرة:

وحول هذه الظاهرة يوضح الدكتور الراجحي أن كتب القراءات تذكر أن أهل

---

(١) انظر: المجاز ٢٣٦/١ والآية في سورة الأعراف /١٨٨. (٢) مقاييس اللغة ٢٧٩/٢ و ٢٨٠.

(٣) جاء في مختصر شواذ القرآن (ص٤١) أنه قُرِئ عن النبي ﷺ: (أو عِدل ذلك) بكسر العين كذلك عن ابن عباس.

(٤) المجاز ١٧٦/١. (٥) النقائض ١/ ٤٧٨. (٦) شرح القصائد السبع ٢٥٠.

(٧) الغريب المصنف ٦٦٧/٣. (٨) المجاز ١٩٠/١.

(٩) جاء في الشواذ عن طلحة (وِقْرًا) بالكسر انظر: مختصر شواذ القرآن ٤٢. (١٠) المجاز ١٨٩/١ ، ٣٨٠.

الحجاز يميلون إلى الفتح.

وأن قبائل قيس وتميم إلى الكسر[١] وقد أشار أبو عبيدة إلى تلك الظاهرة حيث يقول: (تميم يقولون: فَرِغْتُ، وقريش وأهل العالية يقولون: فَرَغْتُ)[٢] وقد صارت تعليقاته في هذا الاتجاه[٣] حيث ذكر أن الفتح هو أفصح اللغتين إلا أنه ذكر في الشاهد الأول أن الفتح لغة في (بَحضْت)[٤] وربما يكون عذره في ذلك ما قال ابن جني (أن بعض التميمين في بعض الألفاظ كانوا يتركون لهجتهم إلى لهجة الحجازيين وأن هؤلاء يفعلون ذلك أيضًا)[٥] لكن أبا عبيدة لم يرد لغة من اللغتين وأجازهما في أسلوب صريح.

ب ـ بين الفتحة الطويلة والكسرة الطويلة

١ ـ سُلالة وسليلة

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢]. ومجازها الولد والنطفة، قالت بنت النعمان بن بشير الأنصارية: (الطويل)

وهل كنتُ إلا مُهرةً عربية سُلالَة أفراسٍ تجللها بَغْلُ

ويقال سليلة[٦].

٢ـ القار والقير قال الفرزدق (الكامل)

وَكَأَنَّ حَيْثُ أَصَابَ مِنْهُنَّ الصَّلَى كَلَفٌ بِهِن وراشمٌ مِنْ قيرِ

يقال قِيرٌ وقارٌ لغتان والقار أفصح اللغتين وهما جائزتان[٧]. وقال في مناسبة أخرى القيعة والقاع واحد[٨].

---

(١) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ١١٨، ١١٩.

(٢) انظر: النقائض ١٦٥/١ وانظر: اللسان مادة فرغ ٣٣٩٦/٥.

(٣) انظر: إلى روايته لبيت الفرزدق التميمي حيث رواه (قير) وذكر القار وبين أنها اللغة الأفصح لكن اللغة التميمية أيضًا فصيحة كما ذكر شاهدها ببيت الفرزدق.

(٤) وقدّم الوِزْر بالكسر على لغة الفتح انظر: الشاهد رقم ٧.

(٥) اللهجات العربية في القراءات ١٢٠ والمحتسب ٣١.

(٦) ذكر أبو عبيدة شواهد من القرآن الكريم والشعر (لابنة النعمان بن بشير ولحسان بن ثابت) على لفظة (سلالة) لكنه لم يذكر شواهد للفظة (سليلة) انظر: المجاز ٥٥/٢ و ٥٦.

(٧) النقائض ٩٠٩/٢ و ٩١٠.

(٨) انظر: المجاز ٦٦/٢.

٣ ــ الحوار والحوير قال الفرزدق (الوافر)

فَلَوْ غَيْرُ الوِبَارِ بَنِي كُلَيْبٍ هَجَوْنِي مَا أَرَدْتُ لَهُمْ حِوَارًا

أي جوابًا ومثله حَوِير[1].

٤ ــ وقال أيضًا: (الطويل)

وظلَّتْ تَغَالاها التِّجارُ ولا ترى لها سيمةٌ إلا قليلاً كثيرها

ويروي تغاليها[2].

ــ ويتضح من التحليل لأمثلة المعاقبة بين أن هذه المعاقبة إنما هو تابعة لحركية فاء الكلمة أو عينها فإذا كانت الفاء أو العين محركة بالفتحة ناسبتها الألف وإذا كانت إحداهما محركة بالكسرة أو بالضمة (وهما أختان) ناسبتهما الياء وخطوات التحليل كما يلي:

قارٌ ← قِيرٌ ق ــَ ــَ ر ن ← ق ــِ ــِ ــُ ن

ــ حُوَارٌ ← حَوِيرٌ

ح ــُ و ــَ ــَ ر ــُ ن ← ح ــَ و ــَ ــَ ر ــُ ن ← ح ــَ و ــِ ــِ ر ــُ ن

الاتجاه نحو الفتح مخالفة (كراهية تتابع الفتح)

ــ سُلاَلَة ← سَلِيلة

س ــُ ل ــَ ــَ ل ــَ ت ــَ ← س ــَ ل ــَ ــَ ل ــَ ت ــَ

نحو الفتح:

س ــَ ل ــِ ــِ ل ــَ ت ــَ مخالفة (لتوالي الفتح)

تُغَاليها ← تَغَالاهَا

ت ــُ غ ــَ ــَ ل ــِ ــِ ← ت ــَ غ ــَ ل ــَ ــَ هـ ــَ ــَ

زيادة تفصح (اتجاه نحو الفتح)

ملحوظات عامة:

في معظم الشواهد والأمثلة التي ذكر أبو عبيدة يتضح بجلاء التفريق بين المعاني على

---

(١) النقائض ١/٢٥٧.

(٢) السابق ١/٥٢٠.

أساس الاختلاف الصوتي بين الفتحة والكسرة[١] إلا أنه لم يفرق في المعنى بين معاقبة الياء والألف[٢].

٢ــ تتميز الشواهد التي ذكرها أبو عبيدة في المعاقبة بين الفتح والكسر بانتمائها للحروف الحلقية[٣] حيث فاء الكلمة[٤] أو عين الكلمة[٥] (من حرف حلقي) ولم يشذ من ذلك إلا كلمة (وزر) و (وقر) ويمكن أن نجد العلة الصوتية في (وقر) حيث عمق مخرج القاف[٦] أما (وزر) فيمكن أن تنضم إلى كلمة (وتر) التي تعَّددت فيها لهجات العرب.

٣ــ لم ينص أبو عبيدة على البيئة اللغوية صراحة إلا في الشاذ حيث بيَّنَ لغة الكثرة من العرب ثم استثنى عديّ الرِّباب في مخالفة العرب إلا أنه لم ينكر عليهم ذلك أو يضعف لغتهم بل نص على نسبة اللغة إليهم.

٢ــ بين الفتح والضم

أ ــ الفتحة القصيرة والضمة القصيرة:

الأمثلة:

١ــ قال ــ تعالى ــ: ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الصافات: ٤٤]، قال أبو عبيدة[٧]:

---

(١) ومن أمثلة التفريق في المعاني بين الكسرة والمفتوح ما ذكره في قوله تعالى (ويبغونها عوجًا) سورة إبراهيم /٣ قال (عوَجا) مكسور الأول مفتوح الثاني، ودلك في الديِّن وغيره وهو في الأرض مما لم يكن قائمًا وفي الحائط وفي الرمح وفي السن (عَوَجٌ) انظر: المجاز ٣٣٥/١ أما المشهور أنه لا فرق فيه بين تعاقب الفتح والكسر فكان يذكره دون حديث عن المعنى مثال ذلك كلمة (الحج) يقول : يكسر أوله ويفتح انظر: المجاز ٤٤/٢ وهي عبارته المعتادة في المعاقبة.

(٢) والعلة في ذلك أن المعاقبة بين الألف والياء وإنما هي تابعة لحركية الفاء أو العين فهو تطور صوتي محض أما القصد إلى الفتح أو القصد إلى الضم فهو احتيار صوتي للقبائل قد يتلازم مع بعض المعاني أحيانًا.

(٣) يفسر الدكتور إبراهيم أنيس ذلك بقوله إن كل أصوات الحلق بعد صدور من مخرجها الحلقي تحتاج إلى اتساع في مجراها بالضم فليس هناك ما يعوق هذا المجرى في زوايا الضم، ولهذا ناسبها من أصوات اللين أكثرها اتساعًا وتلك هي الفتحة واللهجات العربية في القراءات القرآنية للراجحي ١١٣ وانظر: اللهجات العربية في التراث لعلم الدين ٢٦٣/١ و ٢٦٤.

(٤) كما في حَمْل، وعَدْل ، وعَذْق.

(٥) مخرج القاف من اللهاة أعلى الحلق.

(٦) اللهجات العربية في التراث ٢٥٧/١ اختلفت لهجات العرب حيث تداخلت اللهجات والمعاني انظر: تفاصيل ذلك في المراجع السابق نفسه.

(٧) المجاز ١٦٩/٢.

مضموم الأول والثاني ، وبعض العرب يفتحون الحرف الثاني من أشباه هذا من بـــاب المضاعف وقال ــ تعالى ــ: ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً﴾ [الـصافات: ٦٢]، والنُّـــزُل والنَّـــزَل واحد[١].

٢ــ رُحم ورَحم

قال ــ تعالى ــ: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾[٢] [الكهف: ٨١]، معناها معنى رَحْمًا[٣].

٣ــ السُّدُّ والسَّدُّ:

بين السُّدَّين [الكهف:٩٣].مضموم إذا جعلوه مخلوقًا من فعل الله وإن كان من فعل الآدميين فهو سَدٌّ مفتوح[٤].

٤ــ السُّوء والسَّوء:

قال ــ تعالى ــ: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا﴾ [الرعد: ١١].. وكل بلاء عظيم فهو سُوء مضموم الأول، وإذا فتحت أوله فهو مصدر سُؤت القوم ومنه قولهم رجل سَـــوء قال الزِّبْرقان بن بدر[٥]: (الطويل)

وقد علمت قيسٌ وخِندِفُ أنني وفيت إذا ما فارسُ السَّوء أحجما

٥ ــ العَرّ والعُرُّ

قال جرير:

إذا خِفتُ من عَرٍّ قرافًا شفيتُه بصادقة الإشعال باقٍ عصيمها

---

(١) المجاز ٢/١٧٠.

(٢) اتفق القراء السبعة في ضم الراء في رُحما واختلفوا في تحريك الحاء وتسكينها انظر: السبعة ٣٧٩ ومختصر شواذ القرآن ٨٦.

(٣) المجاز ١/٤١٣.

(٤) المجاز ١/٤١٤ وقد اختلف القراء في ضم السين وفتحها من قوله (سدا) فقرأ حمزة والكسائي وعاصم) في رواية) بفتح السين وقرأ الباقون بالضم اللهجات العربية في التراث ١٢١ وبتفصيل أكبر قرأ ابن كثير وأبو عمرو بين السَّدين وبينهم سدا بفتح السين والآية في سورة يس /٩ قرئت بالضم وحفص عن عاصم ينصب ذلك كله وقرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر بضم السين في ذلك كله وكذلك ابن عامر وقرأ حمزة والكسائي بضم بين السدين وحدها وبفتح الباقي انظر: السبعة ٣٩٩.

(٥) المجاز ١/٣٢٤.

العرُّ مفتوح الأول الجرب، والعُرُّ مضموم الأول قَرْحٌ سوى الجرب[١].

٦ـــ العَمْرُ والعُمْرُ بمعنى واحد والهَلْكُ بمعنى واحد[٢].

٧ـــ قال ـــ تعالى ـــ: ﴿مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ [ص: ١٥]، قال أبو عبيدة[٣] (من فتحها قال: مالها من راحة، ومن ضمها قال: فُواقٍ وجعلها من فواق ناقة، ما بين الحلبتين وقوم قالوا: هما واحد بمنـــزلة حُمامُ المكوّل وحَمامَ المكول، وقُصاص الشعر، وقَصاص الشعر).

ويظهر من هذا المثال اعتمادُ أبي عبيدة للمعاقبة بين الضم والفتح في تفسير القراءات ولغات العرب.

ب ـ بين الفتحة الطويلة والضمة الطويلة:

مثال ١ – الفروغ والفراغ

قال جرير: (الطويل)

ولمّا اتّقى الْقَينُ العِراقِيُّ باسته فَرغْتُ إلى الْمُقَيَّد في الحجلِ

قال أبو عبيدة[٤]: تميمٌ يقولون فَرِغتُ أَفْرَغُ فَرَاغًا، وقريش وأهل العالية يقولون فَرَغْتُ أَفْرُغ فُروغًا.

٢ـــ الأسطورة والإسطارة

قال الله ـــ تعالى ـــ: ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَـــرُوا إِنْ هَـــذَا إِلا أَسَـــاطِيرُ الأَوَّلِـــينَ﴾ [الأنعام:٢٥]، واحدها أسطورة، وإسطارة لغة[٥].

٣ـــ يحورون ويحارون (يضلون ويتيهون في الأرض)[٦].

---

(١) النقائض ١/١٢٤ و ٥٢٥ أيضًا وانظر: أدب الكاتب ٢٤٠ وقد تناقلت المصادر عبارة أبي عبيدة هذه معزوة أحيانًا وغير معزوة إليه أحيانًا أخرى انظر: اللهجات العربية في التراث ١٢٠ وانظر: التنبيهات لعلي بن حمزة تحقيق الراجكوتي ٢٨٥.

(٢) المجاز ١/١٣.

(٣) المجاز ٢/١٧٩ بين الطبري أن الفتح هو قراءة عامة أهل المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة والضم هو قراءة عامة أهل الكوفة ونقل رأي أبي عبيدة بحذافيره انظر: حاشية المجاز السابق نفسه.

(٤) النقائض ١/١٦٥ وانظر: اللسان مادة فرغ ٥/٣٣٩٦.

(٥) المجاز ١/١٨٩.

(٦) المرجع السابق ١/١٦٠.

خطوات المعاقبة:

ءـــُ س طـــُ ـــُ ر ـــُ هـــ ← ءـــِ س طـــَ ـــَ ر ـــَ هـــ

يحور ← يحار ي ـــَ ح ـــُ ـــُ ر ← ي ـــَ ح ـــَ ـــَ ر

٤ـــ قال عَميرة بن طارق اليربوعي[1]: (الطويل)

فقامت عليه واستقرَّ قرورها من الأين والنكَّراء في آل أَزْنَمَا

قُرُورُها وقرارُها واحد[2]. قُرُورُها ← قَرَارُها

ق ـــُ ر ـــُ ـــُ ر ← ق ـــَ ر ـــَ ـــَ ر

٥ـــ تموت وتمات

قال الفرزدق: (الطويل)

يَودُّ لَكَ الأدنَونَ لَوْ مُتَّ قَبْلَها يَرَوْنَ بِهَا شَرًا عَلَيْكَ مِنَ الْقَتْلِ

يقال مِتَّ تماتُ، ومُتَّ تموت[3] يموت ← يمات

ي ـــَ م ـــُ ـــُ ت ← ي ـــَ م ـــَ ـــَ ت

وإذا نظرنا إلى تعليقات أبي عبيدة حول هذه الجزئية نسجل ما يلي:.

١ـــ لم يذكر أبو عبيدة الفروق اللغوية بنفس القدر الذي ذكره في المعاقبة بين الفتح والكسر كما رأينا.

٢ـــ وافق أبو عبيدة الرأي القائل بنسبة الفتح إلى أهل الحجاز ونسبة الضم إلى القبائل البدوية[4] لكنَّ قَدّم كثيرًا من الروايات التي تثبت عملية التداخل اللغوي بين القبائل.

٣ـــ بين أن الفتح وإن كان هو اختيار الفصحى إلا أن هناك ألفاظًا يُقَدَّم فيها الضم مثل أسطورة ويموت ويحور فهي أفصح من إسطارة ويمات ويحار.

٤ـــ إذا كانت القبائل البدوية تجنح إلى الضم فإنه يؤثر عنهم ما يخالف ذلك أحيانًا مثل ما رواه عن تميم يقولون أفْرَغ فراغا والحجاز وقريش يقولون أفْرُغ فروغًا.

---

(١) فارس وشاعر من يربوع إحدى بطون تميم قصته وأشعاره في النقائض ٤٧/١ـــ ٥٩.

(٢) النقائض ٥٤/١.

(٣) النقائص ١٣١/١.

(٤) اللهجات في التراث ٢٦٠/١ وما بعدها، وانظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية ١٢٢.

الْبَابُ الثَّانِي
الدِّرَاسَةُ الصَّرْفِيَّةُ

تقديم:

لا يُذكَر أبو عبيدة بين مؤسسي علم الصرف[1]، كما لا يذكر في طائفة الصرفيين التالين لهم في الدرجة [2]، ولا يعدّونه صرفيًّا، وتقدم هذه الدراسة أدلة تطبيقية من مباحث هذا العلم تضع أبا عبيدة في طبقة العلماء المؤسسين والمنظرين لهذا العلم ويُستدل على ذلك بما وقف عليه البحث من آثاره العلمية وبما ذكره العلماء المحققون من مؤلفاته المستقلة في موضوعات هذا العلم، من قبيل دراسة أبنية المصادر[3] وجموع التكسير[4] والزوائد[5] وفَعَل وأفعل[6] والأنباز والألقاب والكنى[7] ونابه ونبيه[8] ... هذا إلى جانب آرائه وتعليقاته في مؤلفاته العامة، مثل: مجاز القرآن وغريب الحديث وشرح نقائض جرير والفرزدق ... فإذا أضفنا إلى هذا ما ذكره الدكتور شوقي ضيف من أن معاذ الهرّاء المتوفي سنة تسعين ومائة الذي يوصف بأنه واضع علم التصريف ليس له مؤلف معروف في علم الصرف وكل ما أثر عنه أنه كان يعرض لبعض مسائل التصريف والمذكور عند العلماء أن كتاب سيبويه زاخرٌ بعلم الصرف وأن أبا عثمان المازني (ت ٢٤٩ هـ) هو الذي خلص بعض المسائل الصرفية من الكتاب وهذبها ووضع كتابه الشهير التصريف، وإذا كان معاذ الهرّاء ليس مؤسسًا لعلم الصرف والمازني متأخرٌ عن أبي عبيدة وأبو عبيدة له مؤلفات صرفية خالصة لذلك نجزم بأنه من المؤسسين الحقيقيين لهذا العلم إلى جانب سيبويه.

.الميزان الصرفي:

استخدم أبو عبيدة مادة " فعل " مقرونة بمصطلح " التقدير " [9] في الأغلب لبيان

---

(١) انظر المدارس النحوية ١٥٤. (٢) انظر المرجع السابق ١١٥ ــ ١١٩ و ١٥٤.

(٣) أورده الأستاذ عبد السلام هارون ضمن الإحصاء التحقيقي الشامل لمؤلفات أبي عبيدة في مقدمة كتابه العققة والبررة بعنوان " المصادر "، وذكره ابن النديم والسيوطي، انظر: العققة والبررة ٣٤٧ وانظر المغني في تصريف الأفعال ٣٢.

(٤) ذكره ابن النديم وياقوت وابن حلكان وكشف الظنون بعنوان الجمع والتثنية، انظر: العققة والبررة ٣٤١.

(٥) ذكره ابن النديم فقط المرجع السابق ٣٤٣.

(٦) ذكره ابن النديم وياقوت وابن حلكان والسيوطي المرجع السابق نفسه.

(٧) ذكر بعنوان الأنباز، أي: الألقاب، المرجع السابق ٣٣٨.

(٨) انظر في ذلك: تاريخ التراث العربي ــ (علم اللغة) ٧٩.

(٩) هذا هو المصطلح الرئيسي في أمثلة الوزن الصرفي عنده وقد استخدم مصطلح " مثل " مرادفًا له، كما استخدم مصطلح المجاز ويريد بها جميعًا الوزن في سياق التصريف .

أوجه التصريف المختلفة مثل:

١ـ بيان الأصل من الزيادة وضبط بنية الكلمة [١].

٢ـ ضبط بنية الكلمة وبيان فصائلها وقياس كلمة على أخرى[٢].

٣ـ بيان تصريف الاسم والفعل[٣].

٤ـ بيان التطور الصوتي[٤].

٥ـ حَمْل صيغة على أخرى[٥].

٦ـ إزالة اللبس المترتب على الزيادة أو القلب أو تخفيف الهمزة أو تعاقب العلة أو التداخل المعجمي[٦]:

ـ حروف الزيادة:

نقل أبو عبيدة في المجاز مقولة لأبي إسحاق الحضرمي بطريق يونس ـــ مَثَّلَتْ منهجًا له اتبعه في قضايا التصريف، وعلى مستويات مختلفة من دراسة البنية استبان للمؤلـــف ذلك من خلال التطبيقات، ويحسن أن أعرض هذه المقولة قبل الخوض في التعليق عليها

---

(١) ويستثبت ، يستفعل من الثبات ، وفُرْقان حرح تقديره على تقدير قُنْعان، ومسيطر على مفيعل، وريِّق على فيْعِل، ومستطر مفتعل ، ومقنطرة مفعلة، ومصادرها على الترتيب: النقائض ١/٨، والمجاز ١/٨، وأدب الكاتب ٤٨١ ، والعريب المصنف ١/ ٢٤٣، والمجار ٢/ ٢٤١ ، ١/٨٨ .

(٢) مثل : اعتراك ، افتعلك من عروته وحِقْبة وحِقَب نقديرها ، كِسْرة وكِسَر، وحِمِئةٌ تقديرها فَعِلة ومَرِسَة، انظر على الترتيب المجاز ١/ ٢٩٠ ، ٤٠٩ ، ٤١٣ .

(٣) امثل : " بُؤسى " ، فُعْلَى ، لا يصرف ، " ويخادعون " في معنى يخدعون ، ولا يكاد يجئ " يفاعل " إلا من اثنين إلا في حروف هذا أحدها، على الترتيب النقائض ١/ ٤٧ ، والمجاز ١/ ٣١ .

(٤) مثل : الميثاق ، مِفْعال من الوثيقة ويَثِّروا به يفتعلوا من الثأر، والمُجْتَلِي المفتعِل من قولهم: اجليت العروس والمجال هو المفعل من الجَوَلان، وادّكر افتعل، على الترتيب المجاز ١/ ١٢٠ ، النقائض ١/ ٢١٦ ، ٢١٢ ، ٢٨٩ ، والمجاز ١/ ٣١٣.

(٥) مثل: " أليم " مُوجع من الألم وهو في موضع مُفْعِل، والوئيد فعيل في موضع مَفْعول، على الترتيب المجاز ١/ ٣٢، النقائض ١/ ٤٩٨.

(٦) مثل: ﴿ولا يأْتَلِ﴾ يحاره ولا يفتعل من آليت... وله موضع آخر من ألوت " استفاء ماله " أي: جعله فيئًا وهو استفعل من الفيء ويكون افتعل من السَّفْي ـــ سفى الريح ، واستفى من سفى الريح التراب: " ألت " فيه ثلاث لغات: أَلَتَ يأْلِت تقديرها أَفَلَ يأفِل، وألات يليت تقديرها أقال يقيل ، ولات يليت، وعلى الترتيب المجاز ٢/ ٦٤، والآية من سورة النور ٢٢، النقائض ٢/٩٤٨ ، المجاز ١/ ٢٣٢ ، وأدب الكاتب ٣١٨ .

وذلك لأهميتها الكبيرة ــ من وجهة نظري في فهم منهجه في علم الصرف يقــول:[١] (زعم يونس عن أبي إسحاق قال: أصل الكلام بناؤه على فَعَلَ ثم يبني آخره على عدد من له الفعل من المؤنث والمذكر ، من الواحد والاثنين والجميع كقولك: فعلتُ وفعلنا وفَعَلْن وفعلا وفعلوا ويزاد في أوله ما ليس من بنائه فيزيدون الألف ، كقولك أعطيت؛ إنما أصلها عطوت، ثم يقولون مُعطي فيزيدون الميم بدلاً من الألف؛ وإنما أصلها عاطِي، ويزيدون في أوساط[فَعَلَ] افتعل وانفعل واستفعل ونحو هذا والأصل فعل ...).

ويفهم من هذا النص ما يلي:

١ــ تصور وجود أصلٍ ثلاثي للكلمة تقاس عليه الأصول والزوائد.

٢ــ من حيث مواضع الزيادة فهي: إما في مقدمة الأصل (ســابقة)، أو في نهايتــه " لاحقة " ، أَوْ في وسطه " حشو ".

٣ــ الزيادة تدخل الأسماء والأفعال وما يلحق بها.

٤ــ تأتي الزيادة لوظائف محددة كالإفراد فعلتُ، والتثنية فعلا، والجمــع فعلــوا، والتأنيث فَعَلْنَ، وصياغة الأبنية افتعل، والتعدية أعطى ونحو ذلك ...

ونرى في تطبيقات أبي عبيدة انسجامًا كاملاً مع اتجاه هذه المقولــة، ففــي جمــع التكسير مثلاً يبين أن الجمع قد تم على معيار حذف زائدة الجمع [٢]، وقد توسع أبــو عبيدة فأدخل الحركات المناظرة لحروف العلة في باب الزيــادة بمــا أسمــاه الحــذف والتخفيف في مقابل التثقيل[٣]، وهي من وسائل إنتاج الصيغ وتوليدها عنــده، كمــا نلحظ ذلك في قضية فعل وأفعل وزيادة الهمزة وتخفيفها التي أنتجت كثيرًا من الألفاظ والدلالات، كما ونرى هذا النهج عنده في المتعدي واللازم والمطاوعة والمغالبة وأبنيــة المصادر وأسماء المصادر [٤].

نموذج من أمثلة حروف الزيادة:

١ــ زيادة الهمزة وحروف العلة " الألف والواو والياء " والحركات والتاء والسين والنون وكذلك زيادة النبر بالتضعيف، كل هذا في التطبيقات الآتية في هذا الباب عند

---

(١) المجاز ١/ ٣٧٦ و ٣٧٧. (٢) يذكر في جموع التكسير في صيغة " أَفْعُل ".

(٣) تعرضنا لذلك في المبحث الصوتي وقدّمنا طرفا من التطبيق عليه في إعادة بناء جموع التكسير وفق رؤيته.

(٤) انظر تلك القضايا في هذا الباب.

أبي عبيدة.وأقدم نموذجًا من زيادة الميم واللام والهاء.

زيادة الميم:

مثال١- قال الفرزدق: (الطويل)

تَسُورُبه عِنْدَ المكارم دارمٌ ... إلى غايةِ المستصعباتِ الشَّدَاقِمِ

قال[١]: (والشداقم، واحدها شَدْقم، وهو الواسع مَشَقٌّ الشِّدق والميم زائدة ، وإنما كان الأصل فيه أن يقال أشدق فقالوا شَدْقم، وذلك كما قالوا للأسته سُتْهُم).

مثال٢- وجاء عن أبي عبيدة في المزهر[٢] لفظه (جُلْهمة) وقال: (لم أسمع بها إلا في الحديث، وما جاءت إلا ولها أصل).

مثال٣- قال جرير — في رواية[٣] —: (الوافر)

تواجهُ بَعْلَها بِسُرَاطِمِيٍّ ... كأنَّ عَلَى مَشَافِره جبابا

ويُروي بــ ضُراطميٌّ ، من الضُّراط ، والميم زائدة[٤].

مثال ٤- قال أبو عبيدة[٥]: (يقال للكريم: مَصاصٌ ومصامص، ويقـــال للـــدرع: دِلاص ودُلامص ودمالص).

يبين لنا في هذا المثال أن الميم زائدة في حشو الكلمة، وقال ابن عصفور[٦] بأن ذلك قليل ومثّل بكلمة دلامص ودمالص.

---

(١) النقائض ٢/ ٧١٩، وانظر: الإبدال لابن السكيت، وقال ابن عصفور في الممتع الشَّدْقم بمنـــزلة الأشدق وهو العظيم الشدق فهو من لفظه ومعناه، انظر: الممتع ١/ ٢٤١.وقال في سُتْهُم (عظيم الأست) أنها من الأست، المرجع السابق ١/ ٢٤٠ وهو قول أبي عبيدة كما نرى.

(٢) انظر ما جمعه السيوطي من الكلمات التي زادوا فيها الميم ٢/ ٢٥٧ — ٢٥٩.وجلهمة الوادي جانبه من الحجارة، السابق ١/ ٣٠٣.

(٣) النقائض ١/ ٤٤١.

(٤) قال ابن عصفور : وزعم بعض النحويين أن الميم في سَرْطم وصلقم.وجُلهمة ... زائدة ، وينبغي عندي أن تجعل الميم أصلية وذلك لأن زيادة الميم غير أول قليلة فلا ينبغي أن يذهب إليها إلا أن يقود إلى ذلك دليلٌ قاطع ، وليست هذه الألفاظ كذلك، الممتع ١/ ٢٤٢ و ٢٤٣، ونرى أن الذي يزعم ذلك هو أبو عبيدة ولكن اعتراض ابن عصفور لا يدفع ما قاله أبو عبيدة حيث سرطم من السرْط وهو الابتلاع والسرطم الواسع سريع الابتلاع وجُلْهمة الوادي ما استقبلك منه.

(٥) النقائض ١/ ١٤٣.

(٦) الممتع ١/ ٢٣٩ و ٢٤٠، وقال بأن دُلامص مشتقة من الدليص، وقدّم شواهد لذلك والدلاص الدرع البرّاقة.

ويفهم من الأمثلة:

١ــ أن صيغة شدقم وستهم ونحوها صيغ معدولة عن صيغة أفعل وكلاهما يــؤدي معنى المبالغة.

٢ــ تم تحويل الصيغة باستبدال الزيادة واستبدال موضعها حيث حــذفت همــزة " أفعل " وهي في موضع السابقة وعوض عنها بلاحقة الميم وهي وسيلة من وســائل توليد الصيغ.

٣ــ يمكن أن نفسر صيغة " جُلْهمة " وكذلك الصيغ التي لم يُسْمع فيهــا أفعــل نفسرها بتعميم الظاهرة زيادة الميم آخرًا من باب الحَمْل.

زيادة اللام:

قال أبو حيّان[١]: ذهب أبو عبيدة إلى زيادة اللام في نحو هيقل وفيشلة[٢]، وقبل ابن عصفور[٣] ذلك فقال: يمكن أن تجعل اللام فيها زائدة ؛ لأنه يُقَالُ: فيــشة في معــنى فيشلة وهيق في معنى هيقل.

زيادة الياء:

مثال١: قال تعالى: ﴿أَلاَّ يَسْجُدُوا﴾ [النمل: ٢٥] مجازه الأمر، وهذه الياء التي قبــل الألف (اسجدوا) تزيدها العرب للتنبيه[٤] إذا كانت ألف الأمر فيها من ألفات الوصل نحو قولك اضرب يا فتي واسلم ، ونحو ذلك قال العجاج: (الرجز)

يا دار سلَمى يا سلمي ثم اسلمي

فالياء زائدة في قوله (يا سلمي) وقال ذو الرُّمة[٥]: (الطويل)

ألا يا سلمي يادار ميّ على البلَى وَلاَ زال مُنْهَلاً بِجَرْعائكِ القَطْرُ

---

(١) الارتشاف ١/ ٢٢٢.

(٢) الهيقل الظليم، اللسال هيق ٦/ ٤٧٣٨، والشافية ٢/ ٣٨١، والفيشلة: الضعيف ، وقيل من الفيشة ، وهي رأس الذكر وقيل أعلى الهامة مادة (فيش) في اللسان ٥/ ٣٤٩٩.

(٣) الممتع ١/ ٢١٤، وانظر المزهر ٢/ ٢٥٩.

(٤) وهو مضمون كلام سيبويه، انظر: الكتاب ٤/ ٢٢٤.

(٥) المجاز ٢/ ٩٣ و ٩٤، وقد أحصى الدكتور رجب عثمان أربعين موضعًا من المصادر والمراجع المختلفة ذكر فيها شاهد ذي الرُّمة وكان أول من ذكر هذا الشاهد هو أبو عبيدة ــ وهو من شواهد أبي عبيدة كما نرى ــ انظر: الارتشاف ٣/ ١١٦١، والحاشية رقم ٣.وقد اعتمد عليه ابن هشام وابن عقيل والأشموني وغيرهم انظر قطر الندى وبل الصدى ١٢٨ ، الشاهد ٤١.

وقال الأخطل: (الطويل)

أَلاَ يَا سَلْمي يا هندُ هِنْدَ بني بدرٍ وَإِنْ كان حيّانا عِدىً آخر الدَّهرِ

٢: قال أبو عبيدة[1]، قال: العُدَيل بن الفَرْخ العجلي: (الطويل)

ودون يَدِ الحجاج من أن تنالني بَساطٌ لأيدي اليَعْمُلاتِ عريضُ

قال (اليعملات: العوامل، والياء زائدة لأنها من عملت).

ونلحظ هنا أن الزيادة عنده لها معنى قد يكون للتنبيه أو المبالغة أو نحو ذلك، وتدخل على الأسماء والأفعال، وتكون سابقة ولاحقة وفي حشو الكلمة ، والشواهد الشعرية التي ذكرها كانت منهلاً لعلماء النحو في كل العصور التالية له.

(١) البيان والتبيين ١/ ٣٩٨.

الفَصْلُ الأَوَّلُ- الأَبْنِيَةُ

أولاً- الفعل

١ــ أبنية الثلاثي:

أ ــ الصحيح: [السالم ــ المهموز ــ المضاعف]

ب ــ والمعتل: [المثال ــ الأجوف ــ الناقص ــ اللفيف]

٢ــ المتعدي واللازم

٣ــ فعل وأفعل

ثانيا- أبنية المصادر:

١ــ المصادر الثلاثية

٢ــ المصادر الرباعية

٣ــ المصادر وأسماء المصادر

ثالثا- المشتقات:

١ــ بناء اسم الفاعل

٢ــ بناء اسم المفعول

٣ــ بناء الصيغ المعدولة

أولاً- الفعل

أبنية الثلاثي وتشمل: أ ــ الصحيح ب ــ والمعتل

وأقسام الصحيح هي: [السالم، والمهموز، والمضاعف]

١ــ السالم:

أــ أمثلة ما كان ماضيه على تقدير " فَعَلَ " بفتح العين ومضارعه على تقدير " يَفْعُل " بضم العين، أو على تقدير " يَفْعِل " بكسرها، وضابطه عند الصرفيين نصر وضرب.

١- في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ﴾ [يونس: ٦١]، قال:(يقال: أين عَزَبَ عَقْلُكَ؟)(١).

٢- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ٤٦]، قال:(يقال: صَدَفَ عني بوجهه؛ أي أعرض)(٢)، في هذين الشاهدين جاء المضارع في القرآن الكريم على تقدير يَفْعُل ويَفْعِل، ومثَّل للماضي من كلام العرب وهو على تقدير(فَعَل).

٣ــ وفي قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: ٦٨]، قال:(يَعْرِش ويَعْرُش)(٣).

٤ــ وفي قوله تعالى: ﴿يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، قال:(يَعْكِفون ويَعْكُفون لغتان)(٤).

ب ــ ما كان ماضيه على وزن فَعِلَ يَفْعَل بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع وضابطه عند الصرفيين باب فَرِحَ وعَلِمَ.

الأمثلة: ١ــ في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ﴾ [الروم: ٥٩]، قال:(يقال للسيف إذا جَرِبَ، وصَدِئ قد طَبِعَ السيف، وهو أشد الصدأ)(٥).

٢ــ وفي قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ [النجم: ٢]، قال:(وأما من قال غَوِيَ يَغْوَى، تقديره: شَقِيَ يَشْقَى فهو من اللبن يُبْشَمُ عنه، يقال: غَوِيَ الفصيل

---

(١) المجاز ١/ ٢٧٨. ومن أمثلة ذلك عنده في باب نصر عجف يعجُف وهو من الهُزال انظر النقائض ٢/ ٥٦٦.

(٢) المجاز ١/ ١٩٢ ومن أمثلة ذلك ما ذكره في قوله تعالى: ﴿فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٦]، قال: يقال لمن رجع من حيث جاء نكص فلانٌ على عقبيه السابق ٢/ ٦٠.

(٣) المجاز ١/ ٣٦٤. (٤) المجاز ١/ ٢٧٧. (٥) المجاز ٢/ ١٢٥.

يَغْوَى إذا بَشِمَ)[1].

٣ــ وقال:(وعَجِفَتْ نفسي على المرض؛ إذا صبرتْ عليه وعَجِفَ يَعْجَف، وهو من الهُزَال)[2].

٤ــ وفي قوله تعالى: ﴿هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا﴾ [المائدة: ٥٩]، قال:(نَقَموا ونَقِموا، واحد، وهما لغتان ليس أحدهما بأولى بالوجه من الآخر)[3].

٥ــ وروي ابن قتيبة[4] عنه قال:(يقال: فَضِلَ منه شيءٌ قليل فإذا أرادوا المستقبل ضموا الضاد "يَفْضُل "، وليس في الكلام حرفٌ من السالم بشبهه[5]، وقد جاء من المعتل مثله؛ فقالوا مِتَّ فكسروا ثم قالوا: تموت، وكذلك دِمْتَ ثم تقول تدوم، ثم قال:(وروي أن من العرب من يقول فَضِلَ يَفْضَل مثل حَذِرَ يَحْذَر وقالوا أيضًا تمات وتدام، قال: والأجود فَضَلَ يَفْضُل ومُتَّ تموت، ودُمْتَ تدوم)[6].

٦ــ وقال ابن السكيت[7]: قال أبو عبيدة:(وزعم بعضُ النحويين أنه يقال حَضِرَ القاضي امرأة ثم يقولون تَحْضُرُ).

ج ــ ما كانت عينه أو لامه حرفًا حلقيًّا:

١ــ وفي قوله تعالى: ﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَ﴾ [الكهف: ٥٦]، قال مجازه: ليزيلوا به الحقَّ ويذهبوا به ودَحَضَ هو[8].

٢ ــ وفي قوله تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً﴾ [العاديات: ١]، قال: ضَبَحَتْ الخيلُ تَضْبَحُ ضَبْحًا[9].

د ـ ما كان بضم العين في الماضي والمضارع، وضابطه عند الصرفيين باب كَرُم يكْرُم ولا يكون إلا لازمًا

الأمثلة: ١ــ قال تعالى: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ [طه: ٩٦]، قال:

---

(١) المجار ٢/ ٢٣٥ (٢) النقائض ٢/ ٥٦٦.

(٣) المجاز ١/ ١٧٠ وجاء في اللسان: قال الكسائي: وَنقِمتُ بالكسر لغة، وقال أبو إسحاق: يقال نَقَمْتُ على الرجل أنقِمُ ونَقِمْتُ عليه أنْقَمُ، والأجود نقَمْتُ أنْقِمُ وهو الأكثرُ في القراءة انظر اللسان مادة نقم ٦/ ٤٥٣١

(٤) انظر أدب الكاتب ٣٧٢ و ٣٧٣.

(٥) دكر اللسان الجزء المتقدم من النص عن أبي عبيدة برواية لابن السكيت انظر اللسان مادة فضل ٥/ ٣٤٢٩.

(٦) أدب الكاتب ٣٧٣. (٧) اللسان مادة فضل ٥/ ٣٤٢٩. (٨) المجاز ١/ ٤٠٨.

(٩) المجاز ٢/ ٣٠٧.

فَعُلْتُ من البصيرة، فصرت ها عالمًا بصيرًا[١].

٢ــ قال تعالى: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، قال: بَهُتَ انقطع وذهبت حجته، وبُهِتَ أكثر الكلام[٢].

٣ــ وفي قوله تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [النمل: ٢٢]، قال:(كاف مكث مفتوحة، وبعضهم يضمها)[٣].

ونسجل هذا النموذج ما يلي:

١ــ جعل اشتقاق الصفة المشبهة من الفعل اللازم وصرّح بتقديره في الوزن " فَعُل".

٢ــ بين في المثال الثاني معادلة الفعل اللازم من هذا الباب لفعلٍ مبنى للمجهول، مع إيضاح الكثير في الاستعمال.

٣ــ في المثال الثالث أن التوافق في المضارع بين باب نصر وكرُم قد يؤدي إلى سيادة حالة واحدة من الماضي.

٢ ـ الفعل المهموز:

١ ــ وفي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ [الأنعام: ٧٦]، قال:(أي غاب، يقال:(أين أَفَلْتَ عنا؟ أي أين غبتَ عَنّا وهو يَأْفِلُ مكسورة الفاء)[٤].

٢ ــ وقال:(وأَلَتَ يَأْلِتُ تقديرها أَفَلَ يأفل)[٥].

٣ ــ وفي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٨]، قال أي جمعناه.. قال عمرو بن كلثوم[٦](الوافر)

هجانِ اللونِ لم تَقْرأْ جنينا

٤ ــ قال: بَأَوْتَ تَبْأى بأوًا[٧]، وبَهَلَه الله يَبْهَله بَهْلَةً أي لعنه[٨].

٥ ــ وفي قوله تعالى: ﴿إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٤]، قال: أي كما يَجْأَرُ

---

(١) المجاز ٢/ ٢٦. (٢) المجاز ١/ ٧٩.

(٣) المجاز ٢/ ٩٣ وجاء في اللسان، قال الفراء: قرأن الناس بالضم، وقرأها عاصم بالفتح، وقال أبو منصور اللغة العالية مَكُثَ وهو نادر، ومَكَثَ جائزة وهو القياس انظر مادة مكث ٦/ ٤٢٤٦.

(٤) المجاز ١/ ١٩٩. (٥) المجاز ٢/ ٢٣٢. (٦) المجاز ١/ ١٧.

(٧) البأوُ الكِبْر انظر النقائص ١/ ٣٣٨. (٨) الجامع لأحكام القرآن ٤/ ١٠٤.

الثور، قال عَدِيُّ بن زيد[1]:(المتدارك)

إنني والله فاسمع حَلِفِي — بِأبِيلٍ كُلّما صَلّى جَأَّرْ

٣ ــ الفعل المضعف

١ ــ قال:(بَلَّ يَبِلُّ ويَبُلُّ، بمعنى بَرَأ وصَحَّ)[2].

٢ ــ في قوله تعالى: ﴿**إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ**﴾ [الزخرف: ٥٧]، قال:(من كسر الصاد، فمجازها يضجون، ومن ضمها فمجازها يعدلون)[3].

٣ــ وفي قوله تعالى: ﴿**الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْه عَاكِفاً**﴾ [طه: ٩٧]، قال:(وقومٌ يكسرون الظاء، إذا حذفوا اللام المكسورة فيحولون عليها كسرة اللام([4])، فيقولون " ظِلْتَ عليه " وقد تحذف العرب التضعيف)[5].

٤ــ وفي قوله تعالى: ﴿**قُلْ لا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً**﴾ [الأنعام: ٥٦].

قال: (ضَلَلْتُ، تقديرها فررتَ تَفِرُّ وضَلِلْتَ تَضَل تقديرها مَلِلْتَ تَمَلُّ، لغتان)[6].

ب ـ الفعل المعتل: [المثال الأجوف الناقص]

[١] الفعل المثال:

ــ في قوله تعالى: ﴿**وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ**﴾ [محمد: ٣٥]، قال: لن ينقصكم.. ويقال وَتَرْتني حقّي، ظلمتني[7].

ــ وفي قوله تعالى: ﴿**فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ**﴾ [محمد: ٣٥]،

---

(١) المجاز ٢/ ٦٠ ومما أورده في النقائض قول الفرزدق:(الكامل)

فاسأل غداة جَدودَ أيُّ فوارسٍ — منعوا النساء لعوذ هن جُؤار

قال وقوله جؤار وهو مثل جُوار الثور وهو من قوله الله تعالى: ﴿**لا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لا تُنْصَرُونَ**﴾ [المؤمنون: ٦٥]. النقائض ٢/ ٨٧٢.

(٢) انظر الغريب المصنف ١/ ٢٤٤، وفي اللسان بَلَّ يَبُلُّ من الندى والبلل، وبَلَّ يَبِلُّ بَرَأ وصحَّ انظر مادة بلل ١/ ٣٤٨، ٣٤٩.

(٣) المجاز ٢/ ٢٠٥ وما حكاه اللحياني في اللسان حول هذه المادة يتطابق مع ما ذكره في المجاز انظر مادة صدد ٤/ ٢٤١٠.

(٤) هي قراءة عبد الله بن مسعود وآخرين، وقرأ أُبيٌّ ظَلَلْتَ انظر مختصر في شواذ القرآن / ٩٢.

(٥) المجاز ٢/ ٢٨. (٦) المجاز ١/ ١٩٣. (٧) المجاز ٢/ ٢١٦.

قال: وَهَنَ يَهِنُ[١].

ـــ وفي قوله تعالى: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ**﴾ [الأحزاب: ٣٣]، قال: القاف مكسورة؛ لأنها من وَقَرْتُ تَقِرُ، تقديره: وزنتُ تَزِنُ ومعناه من الوقار، ومن فتح القاف، فإن مجازها من قَرَّتُ تَقَرُ، تقديره قَرَرْتُ تَقَرُّ، فحذف الراء الثانية فخففها وقد تفعل العرب ذلك..)[٢].

١ـــ الفعل المثال مضارعه يأتي مكسور العين وكذلك ما كان حلقي العين[٣] وتتطابق تلك النتيجة مع ما يقوله الصّرفيون[٤]: "وتركوا ضم عين المضارع في هذا النوع استثقالاً لياءٍ أو واوٍ بعدها ضمة؛ إذ فيه اجتماع الثقلاء ".

٢ـــ اتبع طريقتين لإحداث البيان المطلوب في أصل فِعل الأمر(قَرْن) وكذلك بيان مضارعه:

الأولى: القياس حيث عَدَّه من ما صدقات الفعل المثال وقاسه على الفعل " وزن " وذلك في حالة كسر القاف في الأمر " قِرن ".

الثانية: أن يكون الفعل من المضاعف وقد عَمِلَ فيه قانون التخفيف[٥] بحذف إحدى الرائين ونقل حركة المحذوف إلى نائب العين[٦] في(قَرْن) من قَرَرَت تَقَرُّ.

[٢] الفعل الأجوف:

١ـــ في قوله تعالى: ﴿**جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ**﴾ [الفجر: ٩]، قال: نقّبوا.

ـــ ويجوب الفلاة يَدْخُلُ فيها ويقطعها[٧].

٢ـــ وفي قوله تعالى ﴿**وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ**﴾ [سبأ: ٥٢]، قال: ناش ينوش.

---

(١) مجاز ٢/ ٢١٦ (٢) المجاز ١/ ٣٦٤.

(٣) جاء فتح عين المضارع في حَلْقي العين على قلة في مثل وهب يَهَب وأكثر منه ما كانت لامه حرفًا حلقيًّا. والاطّراد هو كسر عين مضارعه انظر المغني في تصريف الأفعال ١٧٦

(٤) هو قول الشريف الرضي، انظر المغني في تصريف الأفعال ١٧٦.

(٥) ضمن القوانين الصوتية عند أبي عبيدة.

(٦) عين الفعل هي القاف في الحالة الأولى وذلك حذف فاء الفعل من المثال ووزن مضارعها تَقِرُ تَعِلُ أما في الحالة الثانية فوزن المضارع تقَرُّ تَفَعْ وذلك حذف الراء الثانية عنده وهي لام الكلمة فأصبحت عين الكلمة وهي الراء الأولى حرف إعراب فانتقلت حركتها لفاء الكلمة وهي القاف التي أخذت مكان العين.

(٧) المجاز ٢/ ٢٩٧.

ـــ قال غيلان[1]:(الرجز) **فهي تَنُوشُ الْحَوْضَ نَوْشًا مِنْ عَلَا**

٣ــ وذكر عنه ابن قتيبة[2]مثال: دام يدوم، ومات يموت.

٤ــ وفي قوله تعالى: **﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾** [المطففين: ١٤]، قال: غلب على قلبه والخمر ترين على عقل السكران والموت يرين على الميت قال أبو زبيد[3]:(المتقارب)

ثم لمّا رآه رانت به الخمر وألا ترينه بإنقاء.

٥ــ وفي قوله تعالى: **﴿لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً﴾** [الحجرات: ١٤]، قال: لات يليت قال رؤبة[4]:(الرجز)

وليلةٍ ذات نَدًى سريتُ ولم يلتني عن سُراها ليتُ

٦ــ وفي قوله تعالى: **﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾** [هود: ٤٤]، قال: غاضتِ الأرض والماء وغاض الماء يغيض؛ أي ذهب وقَلّ[5].

٧ــ وفي غريب الحديث " ضافت الشمس " ضافت تضيف ضيفًا، إذا مالت للغروب[6].

٨ــ وفي قوله تعالى: **﴿قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾** [النجم:٢٢]، قال:(ضِزْتُه حقّه وضُزْتُه حقّه، تضيزه وتضوزه، تنقصه وتمنعه)[7] وفي تتعاقب الواو والياء.

ونسجل على هذه المجموعة ما يلي:

١ــ الفعل الأجوف المعتل بالواو بناؤه من باب فَعَلَ يَفْعُل.

٢ــ الفعل الأجوف المعتل بالياء بناؤه من باب فَعَل يَفْعِلُ وتفسير ذلك عنده يندرج في التجانس بين أشباه الصوامت ومقابلها من الحركات القصيرة.

٣ــ جعل الأجوف المعتل بالياء وحدة لقياس الصحيح في كسر عين الفعل في المضارع فجعل " أفل " على تقدير " غاب " وجعل ألت على تقدير " أفل " مما يوضح لنا طريقته في القياس حيث يقيس المحتمل للوجهين على ما لا يأتي إلا على وجه واحد ثم يقيس عليه بعد ذلك مما يمكن أن نسميه، قياس القياس وهو من القياس

---

(١) المجاز ٢/ ١٥٠. (٢) أدب الكاتب ٣٧٣. (٣) المجاز ٢/ ٢٨٩.

(٤) المجاز ٢/ ١٣٢. (٥) المجاز ١/ ٢٨٩. (٦) غريب الحديث للهروي ١/ ٢٢.

(٧) المجاز ٢/ ٢٣٧.

الصريح وعبارته تقديره كذا ....

٤ـ تدخل الأفعال المفسّرة لمعنى الشواهد في إطار القياس أيضًا فالفعل " مال " يطابق الفعل " ضاف " في اللزوم والاعتلال بالياء والمعنى في السياق المذكور وهناك ما يطابق الفعل المفسَّر من وجه ويخالفه من وجه آخر، فالفعلانُ " ذهب " " وقلَّ " اللذان فَسّر بهما معنى غاض يؤديان وهما فعلانٍ لازمان مثل غاض لكن مضارع " ذهب " لا يطابقه ومضارع قَلَّ يطابقه[1] ويمكن أن نسمي ذلك القياس الضمني.

[٣] الفعل الناقص:

ـ وفي قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [الرعد: ٣٩]، قال: محوت تمحو وتَمْحِي لغة)[2].

ـ وفي قوله تعالى: ﴿فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٩]، قال:(لا يزيد ولا يَنْمِي)[3].

ـ وفي قوله تعالى:﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات:٣٠]، قال:(دحوتَ ودحيتَ).

ـ وقال:(رسا يرسو رُسُوًّا إذا ثبت)[4].

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٨]، قال:(عتوت تعتو عتيًّا)[5].

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠]، قال:(من عثيتَ تَعْثَى عُثُوًّا، وعثا يعثو عُثُوًّا وهو أشد الفساد)[6].

ـ وفي قوله تعالى: ﴿إِلاَّ أَنْ يَعْفُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، قال:(عفوتُ لك عن كذا وكذا، تركتُه لك)[7].

ـ وفي قوله تعالى: ﴿تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾ [الكهف: ٤٥]، قال:(ذرته الريح تذروه، وأذرته تُذْرِيه)[8].

---

(١) كنت أظن أن ذلك ينطبق على عدة أفعال فلما راجعت جميع الشواهد السابقة وجدته يسير على هذه الطريقة في معظم الشواهد.

(٢) المجاز ١/٣٣٤. (٣) المجاز ٢/ ١٢٣. (٤) النقائض ٢/ ٧٧٠.

(٥) المجاز ٢/١٠. (٦) المجاز ١/ ٤١. (٧) المجاز ١/ ٧٦.

(٨) المجاز ١/ ٤٠٢.

ـــ وقال: (حميت المريض حِمْيَةً وحميت القوم العدُّو[١]، وصَلَيْتَ تَصْلَى صِلِيًّا[٢].

ـــ وفي قوله تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٢]، قال: أي بـــاعوا ... وقال ابن مُفرِّغ الحميري: (الكامل)[٣]

وشريتُ بُرْدًا لَيْتَنِي مِنْ بَعْدِ بُرْدٍ كُنْتُ هَامَه

أي بعته.

ونسجل على هذا النموذج ما يلي:

١ـــ الفعل الناقص المعتل بالواو جاء مضارعه مضموم العين.

٢ـــ الفعل الناقص المعتل بالياء جاء مضارعه مكسور العين.

٣ـــ الفعل الناقص الذي تتعاقب فيه الواو، والياء أو ما كان أحد حروفـــه حرفًـــا حلقيًّا جاء المضارع منه مفتوح العين مثل عشى وعتا ودحى.قد يأتي المضارع مفتـــوح العين من فِعْلٍ ناقص غير ما تقدم مثل صَلَى يَصْلَى صِلِيًّا.

٤ـــ في هذا الأمثلة كان يُسْنِدُ الماضي إلى تاء الفاعل ويقيسه على البناء المـــشهور مثل " شرى " يقيسه على الفعل الأجوف المعتل بالياء " باع " أو يشير إلى المعاقبة بين الواو والياء.

ومما يلحق بالفعل الناقص اللفيف المفروق واللفيف المقرون ومن أمثلة ذلك:

ـــ وفي قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ [الانشقاق: ٢٣]، قال كمـــا يَـــوْعَى المتاعُ ووعته أُذُني[٤].

ـــ وقال: وَلِيتَ العَمَلَ والأَمْرَ تليه[٥].

ـــ وفي قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ [الـــنجم: ٢]، قال: يَغْوَى مـــن الغيّ والغاوي[٦].

ونسجل على هذه الطائفة من الشواهد ما يلي:

١- جاء على الوجهين في المضارع المضاعف مثل " بلَّ وصدَّ " والمتعدي مثـــل "

---

(١) المرجع السابق ٢/ ٢١٨ (٢) المرجع السابق ٢/١٠. (٣) المجاز ١/ ٤٨.

(٤) المجاز ٢/ ٢٩٢. (٥) المرجع السابق ١/ ٤٠٥. (٦) المجاز ٢/ ٢٣٥

عَرَشَ " واللازم مثل عكف والأجوف الذي تتعاقب فيه الواو والياء مثل " ضاز " أما الناقص المُعتَل بالواو مثل محا يمحو، وربا يربو فإنه حكى في الأول لغة من باب ضرب في المضارع " يَمْحِي " وهي حكاية صريحة وفي "ربا " إشارة ضمنية إليها دون تصريح حيث مثل لمعنى الفعل بصيغتين على تقدير " يَفْعِلُ " وهما يزيد ويَنْمِي.

ونخلص من ذلك إلى أن مضارع " فَعَلَ " يأتي مضموم العين ومكسورها من تلـــك الأفعال وهي:

١ــ الأفعال الصحيحة التي لم يسمع فيها بغلبة أحد البابين على الآخر في العـــادة اللعوية متعديًّا كان أو لازمًا.

٢ــ الفعل الأجوف الذي تتعاقب فيه الواو أَوْ الياء في المضارع[1].

٣ــ الفعل الناقص الذي تتعاقب فيه الواو أو الياء في المضارع.

٤ــ الفعل المضاعف المسموع فيه الكسر والضم في المضارع[2].

٢- أشار إلى التمايز الدلالي الذي تجريه النغة ترتيبًا على التعاقب الـــصوتي ومثّـــل لذلك بالفعل يَصدُّون حيث خصصت اللغة ــ في مرحلة لاحقة ــ كُلَّ صيغة بمعـــنى مستقلٍ وأسماه أبَو عبيدة مجازًا[3].

٣- أشار إلى نَقْل الحركة من عين الفعل بطريق التأثير الرجعي وهو مما يتطابق مـــع منهجه الصوتي، ففي الفعل صَدَّ الذي مضارعه مكسور العين انتقلت الكسرة من عين الفعل إلى الصاد الساكنة تقديرًا فصارت " يَصِدُّون " بدلاً من يَصْدِدُون، وفي مضموم العين حدث نفس الأمر. فصارتْ " يَصُدُّون " بدلاً من يَصْدُدُن وكذلك الأمَرْ ــ نَقْل الحركة ففي الفعْلِ ضاز من يضيزه مثّل له بـــ " ضِزْت" بكسر الضاد ومن يضوزه بـــ

(١) عالجنا في قوانين(المعاقبة عند أبي عبيدة التعاقب بين الحركات الضيقة مثل الضمة والكسرة ونظائر ذلك في أشباه الصوامت وهي الواو والياء) انظر المبحث الصوتي بالكتاب.

(٢) فرّق الصرفيون في المضاعف بين اللازم والمتعدي فالمضاعف اللازم يكثر في باب ضرب والمضاعف المتعدي يكثر في باب نصر، انظر المغني في تصريف الأفعال ١٧٠ و ١٧٧ وقد جاء من المتعدي عند أبي عبيدة قوله تعالى: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص: ٣٥]، قال: شدَّ فلان على عَضُدِ فلان عاونه وآزره انظر المجاز ٢/ ١٠٤ ومن اللازم ما ذكرناه مما يأتي على الوجهين في الأمثلة.

(٣) اتبع العلماء طريقة أبي عبيدة هذه -التخصيص الدلالي- انظر ما نقلناه عن اللسان في مادة " نَزَّ " بالحاشية.

٥- ونسجل على أمثلة فعِل يفعَل ما يلي:

١ــ اهتمام أبي عبيدة بالأفعال اللازمة أو ما يتعدى منها بحرف الجر وكذلك ما يقيسه.

٢ــ أقسام الأمثلة تتجه إلى خمسة أقسام:

الأول- ما يتفق مع القياس بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع وأمثلته جَرِبَ وصَدِئَ وَطبِعَ.

الثاني- ما ورد فيه القياس من الباب وجاء السماع فيه من باب آخر، وكلاهما جيد فهما في مرتبة واحدة ومثاله الفعل نَقِمَ ونَقَمَ.

الثالث- ما ورد فيه القياس من باب آخر، وقلّ في باب فَعِلَ مثل " فضل " حيث يحسن من باب نصر ويقل في باب فَرِحَ في المضارع.

الرابع- ما خالف القياس حيث يأتي ماضيه من باب ومضارعه من باب آخرمثل حَضِرَ يَحْضُرُ(٢).

الخامس- ما جاء ماضيه ومضارعه بكسر العين وهو الفعل وَلِي " وَلَعَلّ السبب الذي يمكن أن نفسر به ذلك هو وجود هذا الفعل ضمن قائمة الفِعْل "المثال " الذي يأتي مضارعه من باب ضرب.

٣ــ شملت أمثلة هذا النموذج السالم والصحيح والمعتل والمضاعف وجاء " اللفيف المفروق " شاذًا.

٤ــ اتبع طريقته في النماذج السابقة حيث قاس اللازم على اللازم فقاس طَبِعَ السيف على صَدِئَ السيف وقاس المعتل على المعتل فَغَوى يَغْوَى تقديره شَقِي يشقى.

---

(١) انظر قوانين التخفيف بالمبحث الصوتي.

(٢) أورده أبو عبيدة على صيغة التضعيف حيث صدَّر عبارته بقوله وزعم بعض النحويين.

٥ــ استخدم بعض التعبيرات التي استخدمها العلماء من بعده مثل(وليس أحدهما بأولى بالوجه من الآخر) أو عبارة(وليس في الكلام حرف من السالم يشبهه).

٦ــ استخدم قانون التخفيف للتدليل على أن الفعل من هذا الباب وذلك في الفعل " ظَلْلتَ " واستخدم القياس في الفعل " ضَلِلْت " حيث لم يعمل قانون التخفيف.

ما كانت عينُه أو لامه حرفًا حلقيًّا[1] فقياس مضارعه بفتح العين وضابطه عند الصرفيين" فَتَحَ يفتح "

٧ــ اتبع منهجه السابق في القياس وبيان الماضي والمضارع والإسناد إلى تاء الفاعل في الغالب.

٨ ــ طريقة عرض الصيغ:

١ ــ يذكر الشاهد فإن كان يحتوي على صيغة المضارع مَثّل للماضي منه بشاهد آخر أو ذكر الصيغة مباشرة وإن كان المذكور ماضيًا مثل بالمضارع.

٢ ــ إن كانت الصيغة لها وجهان وهي في الشاهد مسموعة على وجه واحد أشار إلى الوجه الآخر ضمنًا أو تصريحًا.

٣ــ في معظم الشواهد يبدأ بالماضي ثم المضارع ويتلو ذلك بالمصدر وذلك في المادة اللغوية التي يَعْمد إلي بيان اشتقاقها وهي طريقة الكوفيين في سياق الأبنية.

٤ ــ يُسْنَد الفعل الماضي إلى تاء الفاعل مع مناسبة السياق[2].

٩- من حيث السماع والقياس اتخذ القياس عنده عدة صور منها:

١ ــ قياس صريح وعبارته فيه لفظة تقديره كذا.

٢ ــ قياس ضمني وهو معادلة صيغة بأخرى بحيث تطابقها من وجهٍ وتخالفها من وجهٍ آخر.

واتخذ بالنسبة للسماع عدة صور

٣ــ قد يكون القياس وما يخالفه متساويين في الدرجة لتواتر السماع فيها فليس

---

(١)المراد بالحروف الحلقية هنا هو مراد الصرفيين من أقصى الحلق ووسطه وأدناه وهي الهمزة والعين والحاء والغين والخاء والهاء.

(٢) من مذكر أو مؤنث ومن خطاب أو تكلّم.

أحدهما بأولى بالوجه من الآخر.

٤ــ قد يكون السماع كثيرًا في الصيغة ومخالفاً في نفس الوقت للقياس وهذا عنده معتمد جيد وعبارته والعرب تفعل ذلك.

٥ــ قد يكون القياس هو الأصل وسُمِعَ بما يخالفه وهو عنده يأخذ لفظة حكاية أو زعم أو لغة

١٠- من حيث استخدام القوانين الصوتية:

استخدم أبو عبيدة القانون الصوتي لتفسير الظواهر الصرفية في أبنية الثلاثي المختلفة وأهمها ما يلي: ١ ــ قانون المعاقبة وظهرت بشكل جلي في المعاقبة بين كَسْرِ عين المضارع وضمها في صيغة فَعَلَ(يَفْعُل ويَفْعِل)

٢ــ قانون التخفيف واستخدم في مناسبات عِدَّة ويظهر بشكل جلي في المضاعف في النماذج المختلفة.

٣- *المتعدي واللازم*

١ــ المتعدي واللازم في إطار علاقة الفعل والمفعول والأداة

مثال: قال تعالى: ﴿**سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى**﴾ [طـه: ٢١]، قال:(أي خلقتها التي كانت عليها قبل ذلك).

وقد يجعلون أيضًا بينها وبين الذي قبلها " إلى " كقولهم لمن كان على شيء فتركه ثم عاد إليه، وتحوّل عن هذا ــ عاد فلانٌ إلى سيرته الأولى)[١].

ــ ويُفْهَم من هذا المثال أن الفعل يتعدى إلى المفعول " بواسطة " وتلك الواسطة قد تسبق الفعل مثل

" أعاد "[٢] أو قد تلحق بالفعل مثل " عاد إلى "

ــ ويفهم من سياق النص أنه ينظر إلى التعدي واللزوم باعتبار المفعول والأداة يجعلون بينها لفظة سيرة وهي المفعول ــ وبين الذي قبلها ــ " الفعل " ــ إلى، وهي الأداة.

---

(١) المجاز ٢/ ١٨.

(٢) مضارعه(نُعيدِ) مسبوق بعلامة الاستقبال(سعيد) والسابقة هنا همزة التعدية.

٢ ـ حمل اللازم على المتعدي:

١ـ قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، قال: أي أجابهم، وتقول العرب: استجبتك في معنى استجبتُ لك قال الغنوي[١]:(الطويل)

وداعٍ دعا يا مَنْ يجيبُ إلى النَّدى فَلَمْ يستجبه عِنْدَ ذاك مجيبُ

٢ـ قال تعالى: ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ [العنكبوت: ١٧]، قال: اشكروا له واشكروه واحد[٢].

ونلحظ في هذين المثالين:

١ـ في الفعل استجاب يتعدى بواسطة حرف الجر في الآية وفي بعض المنثور يتعدى بدون واسطة

وفي الشاهد الشعري تظهر لنا قرينة الحَمْل حيث حُمِل على الفعل " أجاب " الذي يتعدى بدون واسطة.

٢ـ المثال الثاني يعبر عن مرحلة يتعدى فيها الفعل بنفسه بعد أن كان يتوصل إلى المفعول بواسطة وقد جاءت أمثلته في القرآن على النحو التالي:

أن اشكر لله[٣] / لعلكم تشكرون[٤]/ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ[٥].

قال أبو عبيدة:(ومن مجاز ما جاء على لفظين، فأعملت فيه الأداة في موضع، وتركت منه في موضع قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ١ـ ٣]، معناه: إذا كالوا لهم أو وزنوا لهم[٦].

الفعل المتعدي بواسطة:

ـ اكتالوا على الناس(أي منهم) (الفعل)(الأداة)(المفعول)

---

(١) المجاز ١/ ١١٢.
(٢) المجاز ٢/ ١١٤.
(٣) سورة لقمان / ١٤ ويشبهها ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ لقمان / ١٤ والبقرة / ١٥٢، ١٧٢ والعنكبوت / ١٧ وسبأ / ١٥ والنمل / ٤٠. والنحل / ١٢١.
(٤) البقرة / ٥٢ ويشبهها أكثر من ثلاثين آية في القرآن الكريم.
(٥) [الأحقاف: ١٥]، [النمل: ١٩]، [النحل: ١١٤].
(٦) المجاز ١/ ١٤.

حذفت الأداة في الآية الثانية لدلالة الآية الأولى عليها[1]

مثال٤– قال أبو عبيدة[2]:(ومن مجاز ما جاء على ثلاثة ألفاظ فأعملتْ فيه أداتان في موضعين وتركتا في موضع قوله تعالى: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾[3] [الفاتحة: ٦]، وإلى الصراط المستقيم[4] وللصراط المستقيم[5]، ومن مجاز ما جاء فيه على لفظين فأعملت فيه أداة في موضع، وتركت منه في موضع قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ**﴾[6] [النحل: ٩٨] وقوله تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ**﴾[7] [العلق: ١].

ونلحظ هنا ما يلي:

١ـ اتجاه أبي عبيدة الصريح للفعل والأداة والمفعول على أنها وحدات صرفية تحدد قضية التعدي بحرف الجر.

٢ـ من خلال مراجعة ما قاله بنصوص الآيات الكريمة يتبين أنه يريد بالأداتين حرف الجر " إلى " في(إلى الصراط) كما يريد بالأداة الفعل في(**اهدنا الصراط المستقيم**)

أما " اهدنا للصراط " فهو الموضع الذي تركه القرآن و لم يستعمله وإذا صَحّ هذا التأويل لعبارة أبي عبيدة يكون مصطلحه في اعتماد الفعل أداة من الأدوات هو ما تتجه إليه المدرسة الكوفية.

٣ـ في الفعل " قرأ " تبيَّن " أن أداة استعملت في موضع وهي حرف " الباء " ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ**﴾، وتركت في موضع ﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ**﴾، ويتضح من المراجعة المعجمية لورود الفعل في القرآن الكريم كثرة الاستعمال لحذف الأداة وتعدية الفعل

---

(١) فالقرينة هنا سياقية.

(٢) المجاز ١/١٥ وانظر ما قال ابن دُرُستويه في تصحيح الفصيح ١٢٩ حيث يتشابه كثيرًا مع مقولة أبي عبيدة.

(٣) استخدم هذا النمط في القرآن الكريم ست مرات انظر المعجم المفهرس(مادة صرط) ٤٠٧.

(٤) وقد وردت في القرآن الكريم قرابة خمسَ عشرة مرة المرجع السابق نفسه.

(٥) لم تستخدم في القرآن الكريم.

(٦) ورد هذا النمط في القرآن أكثر من عشر مرات انظر المعجم المفهرس مادة قرأ ٥٣٩

(٧) ورد ذلك مرة واحدة انظر المعجم المفهرس مادة قرأ.

للمفعول دون الأداة المشار إليها.

مثال٥– قال تعالى: ﴿**فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا**﴾[1] [الأحزاب: ٦٧]، ويقال أيضًا في الكلام، أضلني عن السبيل[2].

وينطبق على هذا المثال ما مَرّ من ملاحظات غير أن التعدي إلى المفعول الثاني:

مثال٦– قال الفرزدق[3]:(الطويل)

سَيَبْلُغُ ما لاقتْ من السر جعفرٌ تِهامةَ من ركبانها من يغورها

قال: أراد من يغور بها

مثال٧– وقال أيضًا[4]:(الكامل)

وَلَهُمْ عليك إذا القرومُ تخاطرتْ خَمْطُ الفحولةِ مُصْعَبٌ خَطّارُ

قال:(يقال من ذلك: تخمّط فلانٌ فلانًا وذلك إذا تعسفه وظلمه، ويقال تخمَّط فلانٌ، إذا تكبّر، قال لا أعلمه يتعدّى) وقال:(وفي الكلام: أنصتك حتى فرغت واشتقتك أي اشتقت إليك)[5].

نسجل على تلك الشواهد ما يلي:

ـــ في البيت الأول اجتمع الفعل " يغور " ـــ الذي يتعدى بحرف الجر الباء ـــ بفعلين قد تعديّا بدون واسطة من الحروف وإنما بزيادة سابقة للفعل أو في حشو الفعل فجرى مجراها.

ـــ في البيت الثاني يحدد المفعول دلالة الفعل فإذا تعدَّى الفعل إلى المفعول أخذ دلالة المتعدي(تخمطه) أي ظلمه أما إذا افتقر على الفاعل أخذ دلالة(تكبّر) ويتضح فيه القياس والحَمْل حيث يقيس اللازم على اللازم والمتعدي.

ـــ والمثال الأخير يعبر عن حذف الأداة " الواسطة " وتأدية الفعل لدور إضافي كانت تقوم به الأداة.

---

(١) جاء هذا النمط ثلاث مرات في القرآن الكريم انظر المعجم المفهرس(مادة ضل) ٤٢١ــ ٤٢٢.

(٢) المجاز ٢/ ١٤١. وقد جاء هذا النمط خمس مرات في القرآن الكريم المعجم المفهرس(مادة ضل).

(٣) النقائض ١/ ٥٢٨.

(٤) المرجع السابق ٢/ ٥٧٢.

(٥) المجاز ٢/ ٨٧ وقد قاسه على(كالوهم أو وزنوهم) في سورة المطففين / ٣.

ومن خلال تلك الأمثلة وتعليقات أبي عبيدة، يطرح البحث في مسألة التعدي واللزوم النتائج التالية:

١ــ التعدي في الأصل لا يكون إلا بواسطة أو أداة سواء أكانت سابقة للفعل مثل همزة التعدية أو لاحقة له من الحروف المختلفة أو في حشو الفعل كما في ألف المفاعلة وتاء الافتعال ونحو ذلك وبناء على ذلك تكون صيغ اللزوم هي الأصل ومكونات التعدي هي الفعل والمفعول والأداة.

٢ــ بكثرة المصاحبة اللغوية بين المكونات الثلاث يمكن الاستغناء عن المفعول كما في(لعلكم تشكرون) أو الاستغناء عن الأداة كما في الأفعال المتعدية بغير أداة ولكن لا يستغني عن الفعل.

٣ــ كشفة الأمثلة عن طريق التحويل من التعدي بواسطة إلى التعدي من غير واسطة بالوسائل الآتية:

١ــ حَمْل سياق على آخر كحمل الآية الثالثة من سورة المطففين ــ لم تذكر فيها الواسطة ــ على الآية الثانية قبلها والتي ذكرت فيها الواسطة.

٢ــ وقوع الفعل اللازم في مجال الأفعال المتعدية في دائرة سياقية واحدة.

٣ ــ تضمين وظيفة الأداة داخل الأدوار الوظيفية التي يؤديها الفعل.

٤ــ كثرة الاستخدام، ما يلحق بالمتعدي واللازم ويتضح ذلك مما نقله أبو عبيدة من منثور الكلام.

ومما يلحق المتعدي واللازم:

١ــ المطاوعة:

مثال: هَرَّجته حتى هرج قال رؤبة[1]:(الرجز)

وكبْدٍ مَطْالٍ وخَصْمٍ مِنْدَهِ   هَرَّجتُ فارتدَّ ارتدادَ الأكمهِ

قال: هَرَّجته حتى هَرَج، مثل هرج الحرّ.

مثال: استصْرخني فأصرخته

---

(١) المرجع السابق ١/ ٩٣و ٩٤ ومعنى هرَّجت ــ كما يفهم من شرح اللسان لمعنى البيت ــ حملت عليه حتى فرَّ انظر اللسان مادة(هرج).

وجاء في القرآن ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ [إبراهيم:٢٢]، أي بمغيثكم، ويقال استصرخني، فأصرختُه؛ أي استعانني فأعَنته واستغاثني فأغثته[١].ومعنى المطاوعة في اصطلاح الصرفيين التأثر وقبول أثر الفعل بمعنى أن يدل أحد الفعلين المتلاقيين في الاشتقاق على تأثير ويدل الآخر على قبول فاعله لذلك التأثير[٢].ونلحظ في المثال الأول تحويل المتعدي إلى لازم أو المزيد إلى مجرد وفي المثال الثاني تحويل الأدوار الدلالية التي يؤديها الفعل لكل من الفاعل والمفعول.

٢ــ المغالبة: مثال: قال جرير[٣]:(الكامل)

تطاولكم حبالُ بني تميم ويحمي زأرُها أَجَمًا وغابًا

(يقال من ذلك: طاولته، فطلته، أي كنت أطول منه)[٤].

ونلحظ في هذا المثال تحويل المزيد إلى مجرد في بنية المغالبة.

٣ ــ: " فعل وأفعل "

ذكر العلماء أن لأبي عبيدة مؤلفًا تحت هذا العنوان[٥]، لكنه فُقِدَ مع المفقود من تراثنا؛ وقد عثرتُ له على قدرٍ لا بأس به من الآثار العلمية في مصادر مختلفة حول تلك القضية التي شغلت جانبًا من جوانب التفكير اللغوي عند علماء المدرستين وَمَنْ تبعهم فَأُفْرِدَتْ لها المؤلفات أو خُصِّصَتْ لها بعض الأبواب[٦].

ويمكننا أن نُقدِّم تصورًا مقارنًا للاتجاه اللغوي الذي يَصْدر عنه أبو عبيدة حول هذه القضية من خلال عَرْض مجموعة من النصوص والملاحظات التي كان يُدْلي بها ومحاولة اكتشاف المحاور الأساسية التي يعالج بها الموضوع في إطار من الرؤية المنهجية المتكاملة.

---

(١) مجاز ١/ ٣٣٩.

(٢) انظر المغني في تصريف الأفعال ١٥٩.

(٣) النقائض ١/ ٤٤٥.

(٤) المرجع السابق ١/ ٤٤٦.

(٥) تتبع ذلك الدكتور رمضان عبد التواب في المصادر المختلفة وأشار إلى مواضعها في تلك المصادر انظر مشكلة الهمزة ١٢٦، وكذلك المغني في تصريف الأفعال للدكتور عضيمة ١٣١

(٦) سجل ذلك يوهان فك " وقدّم الدكتور رمضان تحقيقًا إحصائيًا زمنيًا مبدئًا بـ(قطرب) ت.(٢٠٦ هـ)، ومنتهيًا بأبي البركات بن الأنباري ت.(٥٧٧هـ) ما بين مخطوط ومطبوع أو مؤلف أو أحد الأبواب في بعض المؤلفات انظر مشكلة الهمزة ١٢٥ ـ ١٢٧.

بنائه، فيزيدون الألف كقولك أعطيتُ، وإنما أصلها عَطَوتُ، ثم يقولون مُعْطي فيزيدون الميم بدلاً من الألف،وإنما أصلها(عاطي)

(والأصل فَعَلَ)[1].

ومن ذلك قول العجاج[2]: (الرجز)

يكشف عن جمَّاته دَلْو الدال

وهي من أدلى دلوه، وكذلك قول رؤبة:(الرجز)

يخرجن من أجواز ليلٍ غاضي

وهي من أغضى الليل، أي سكن.ويفهم من ذلك أن بناء " فعل " الثلاثي هو الأصل وأن العرب قد تزيد في أول الفعل وآخره ووسطه، ومثل ببناء أفعل لما يُزاد في أوله ثم أوضح أنهم قد يرجعون إلى الأصل مرة أخرى وعلى ذلك جاء الشاهدان:

٢ـ هُمَا لغتان " نجد والحجاز "

في قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ [الواقعة: ٧١]... من أوريت وأكثر ما يقال.. وريتُ، وأهل نجد يقولون ذلك[3].

وفي قوله تعالى:﴿مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ [الحجر: ٢٢]، ... وكل ماء كان من السماء، ففيه لغتان: أسقاه الله، وسقاه الله قال الصقر بن حكيم الرِّبْعيُّ[4]:(الرَّجز).

يابْنَ رُقَيعٍ هَلْ لها مِنْ غَبَقِ؟ ما شَرِبَتْ بعد طَوِيّ العرقِ

مِنْ قَطْرةٍ غيرُ النجاء الدَّفقِ هَلْ أَنْتَ ساقيها سَقَاكَ السَّقِي

فجعله باللغتين جميعًا، وقال لبيد[5]: (الوافر)

سقى قومي بني مَجْدٍ وأسقى نُمَيرًا والقبائل من هلالِ

---

(١) انظر النص بكامله في المجاز ١/ ٣٧٦ و ٣٧٧.

(٢) وقد سُبِقَ قول العجاج بعبارة مؤداها أنهم قد يعودون إلى الأصل وهي في سياق النص السابق انظر المرجع السابق ١/٣٧٧.

(٣) المجاز ٢/ ٢٥٢. (٤) المجاز ١/ ٣٤٩. (٥) المرجع السابق ١/ ٣٥٠.

فجاء باللغتين[١].

وفي قوله تعالى: ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ﴾ [المائدة: ٤٩]، قال: وأفتنت لغة، وقال الأعشى[٢]، أعشى همدان:(الطويل)

لَئِن فَتَنَتْنِيَ لَهْنَ بالأمس أَفْتَنَتْ   سُعَيْدًا فأمسى قَدْ قَلَا كُلَّ مُسْلِمِ

فيه لغتان[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾[٤] [هود: ٨١]، يقال سَرَيْتُ وأَسْرَيْتُ به قال النابغة الذبياني[٥]:(البسيط)

سَرَتْ عَلَيْه مِنْ الجَوْزاءِ سَارِيَةٌ   تُزْجِي الشَّمالُ عليهِ جَامِدَ البَرَدِ

٣ـ وجاء عن أبي عبيدة في اللسان[٦] مَضَى الأمرُ وأمضي ثم قال: أمضي كلامُ تميم.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿لا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِه﴾ [لقمان: ٣٣]، قال:(قومٌ يقولون: جزيتُ عنك كأنه من الجزاء، وقومٌ يقولون لا يجزئ عنك، يجعلونه من أجزأت عنك يهمزونه، ويدخلون في أوله ألفًا)[٧].

---

(١) ومثل ما ذكر في سقي وأسقى ذكر ألف وآلف انظر المجاز ٢/ ٣١٢.

(٢) المجاز ١/ ١٦٨.

(٣) ومن الأمثلة التي جاءت عنه في قوله تعالى: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦٠]، قال: أرهبته ورهبته سواء المجاز ١/ ٢٤٩ وجاء عنه في الغريب المصنف(٢/ ٥٧٢ و ٥٧٣): هلكت الشئ وأهلكته، ومنه قول العجاج:(رجز)

ومَهْمهٍ هالكِ من تعرّجا   هائلةٍ أهوالُهُ مَنْ أدلجا

يعني مُهْلك لغة لبني تميم وجاء عنه بالمرجع السابق ٢/ ٥٧٦ صاب السهم وأصاب لغتان وصَعِدْتُ وأصعدت ورجعت يدي وأرجعتها وعمدت السيف وأعمدته وجاء عنه في المزهر ٢/ ٣٢١ صبت الريح وأصبت.

(٤) سورة هود / ٨٤، قرأ ابن كثير ونافع:(فاسرْ وأهلك من سريت بغير همز، وقرأ أبو عمرو وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي:(فأسر بأهلك) من أسريت، انظر السبعة ٣٣٨.

(٥) المجاز ١ ٢٩٥ وقد ذكر مثل ذلك في مواضع أخر ففي الآية ٣٣ من الأنعام(لَيَحْزُنُك) قال: يقال حزنته وأحزنته لغتان انظر المجاز ١/ ١٦٦ وجاء في السبعة(٢٥٦ و ٢٥٧) قرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وحمزة وابن عامر والكسائي مفتوحة الياء مضمومة الزاي وقرأ نافع وحده(لَيُحْزِنُك) بالضم.

(٦) انظر مادة(مضى) ٦/ ٤٢٢٠ ومشكلة الهمزة ١٢٢.

(٧) المجاز ٢/ ١٢٩، وجاء في مختصر شواذ القرآن ١١٨(لا يُجزئ) بالهمز، أبو السمال، وعامر بن عبد الله، وأبو السرار.

وفي قوله تعالى ﴿لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلاً﴾ [الحج: ٥٩]، قال:(الميم مضمومة لأنها من أدخلت، والخاء مفتوحة، وإذا كان من دخلت فالميم والخاء مفتوحتان)[١].

ثانيًا- الدلالات التي تؤديها صيغة(أفعل)

يمكن تقسيم الأمثلة عند أبي عبيدة في الدلالات الآتية:

١ـــ معنى التعدية:

مثال١- في قوله تعالى: ﴿شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل: ١٠]، قال: أَسَمْتُ إبلي، وسَامَتْ هي[٢].

مثال٢- وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ﴾ [الحشر: ٣]، قال: جلوا من أرضٍ إلى الأرض جلاءً، وأجليتهم أنا[٣].

مثال٣- في قوله تعالى: ﴿إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ﴾ [الصافات: ٥٦]، قال: أرديته أهلكته، وردي هو، هلك[٤].

مثال٤- قال الشاعر[٥]:(الطويل)

لنا ذادةٌ عند الحفاظِ وَقَادَةٌ   مقاديمُ لم يذهب شعاعًا عزيمها

قال: شَعَّ الشيءُ، تَفَرّق، أشع الرجل ببوله إشعاعًا إذا فرَّقه.

مثال٥- نقل عنه أبو عبيد القاسم بن سلام[٦]، أنسأ الله فلانًا أجَلَه، ونسأ الله في أجله بغير ألف.

ونسجل على هذه المجموعة ما يلي:

١ـــ الأفعال اللازمة تتعدى بزيادة همزة في أول الفعل.

٢ـــ عادل الفعل اللازم بمثله[٧]،

---

(١) المجاز ٢/ ٥٣ وقرأ نافع وحده(مَدْخَلا) بفتح الميم وقرأ الباقون مُدْخلا مرفوعة الميم وروي الكسائي عن أبي بكر عن عاصم(مَدْخلا) بفتح الميم مثل نافع انظر السبعة ٤٣٩ و ٤٤٠. وجاء ذلك عند أبي عبيدة في قوله تعالى:(أدخلني مُدْخل صدق) الإسراء / ٨٠. انظر المجاز ١/ ٣٨٩.

(٢) المجاز ١/ ٣٥٧.   (٣) المجاز ٢/ ٢٥٦.   (٤) المجاز ٢/ ١٧٠.

(٥) النقائض ١/ ١١٧.   (٦) غريب الحديث ١/ ٢٣.

(٧) مثل ردى: هلك وشعَّ الشيء: تفرّق.

وكذلك المتعدي[١].

٣ــ إبراز الفاعل مع الفعل اللازم وإبراز المفعول مع المتعدي[٢].

٤ــ ذكر بعض العلماء مثل هذه الشواهد على طريقة أبي عبيدة قال السيوطي: جلوا أوطانهم، وأجليتهم أنا[٣].

٥ــ في المثال الأخير عادل بين ما يتعدى بالهمزة وما يتعدى بحرف الجر.

٢ ــ دلالة اللزوم في " أفعل " بحملها على صيغة مشابهة:

مثال ١- قال جرير[٤]:(الطويل)

ولا نَـعْتَصِي الأَرْطَى ولكنَّ عِصيَّنـا رِقاقُ النـواحي لا يُبِـلُّ سليمها

يقال: بَلَّ المريض، وأبلَّ ؛ بَرَأَ

مثال ٢- ثوى وأثوى وأنشد[٥]: (الكامل)

أثوى وقصّر ليله لِيُزَوِّدا

وقال في موضع آخر[٦]: وثويت عنده، وأثويت من الإقامة.

مثال ٣- قال زهير بن أبي سلمي[٧]:(الطويل)

جَعَلْنَ القِنَـانَ عَنْ يمينٍ وَحَزْنِـهِ وكم بالقنـان من مُحِلٍّ ومُحْرِمِ

يقال: حَلَّ من إحرامه،وأحلَّ وقال في موضع آخر[٨]: يقال: حَلَّ الرجلُ إذا خرج من إحرامه، وأحلَّ إذا أتى بلاد الحُلِّ، وإنما فَعَلَ هذا لِيُحِلَّ من إحرامه بعد قضاء نسكه.

---

(١) مثل أرديته: أهلكته و أشع سوله فرّقه أنسأ الله فلانًا: أخّرَهُ.

(٢) مثل: سامت هي وردى هو، إبرار الصمير المؤكد للصمير المستتر بالإصافة إلى الأسماء الظاهرة. وقد أظهر المفعول في جميع الأمثلة المتعدية الأفعال.

(٣) المزهر ٢/ ٢٣٧.

(٤) النقائص ١/ ١١١ وقال عن موضع آخر مستدًا لجرير:(الطويل)

ألم ترني أني لا تُبِلُّ رميَّتي فمن أَرْمِ لا تخطئ مقَاتله بِبْلى

وقال: بَلَّ وابلَّ، لا تُبِلُّ، لا يبرأ صاحبها. السابق ١/ ١٦٦.

(٥) الغريب المصنف ٢/ ٥٩٦، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ١١.

(٦) الغريب المصنف ٢/ ٥٦٨. (٧) شرح القصائد السبع الطوال ٢٤٦. (٨) النقائص ١/ ٢٨١.

مثال٤- وجاء عنه حُصِرَ الرجلُ في الحبس وأُحْصِرَ في السفر من مرضٍ وانقطاع به[١].

مثال٥- وفي قوله تعالى: ﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ﴾ [الأنعام: ١١٣]، من صغوت إليه؛ أي ملت إليه، وأصغيت إليه لغة[٢].

مثال٦- قال الفرزدق[٣]:(الكامل)

وإذا عَدَدْتَ بني كليبٍ لَمْ تجدْ حسبًا لهم يُوفي بِشسْعِ قِبالِ

ويقال: وفيت بالعهد وأوفيت[٤].

ونلحظ على هذه المجموعة: أن " أفعل " قد حُملَ على معنى(فَعَل) بدليل معادلة الصيغتين بصيغة فِعْلٍ لازم مرادف لهما.حيث جاءت في الأمثلة على النحو التالي:

فعل =	أفعل	(المتعلق)	= الفعل المعادل
بَلَّ	أَبَلَّ		= بَرَأَ.
حَلَّ	أحلَّ	(من إحرامه)	= خرج من إحرامه
ثوى	أثوى	(عنده)	= أقام
صغوت	أصغيت	(إليه)	= ملتَ إليه
وفى	أوفى	(بالعهد)	

٣ــ الدلالة على الجعل: الأمثلة:

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ [عبس: ٢١]، قال[٥]:(أقبره: أمر بأن يُدْفَن فيه، وقبرته دفنته، وحكى أيضًا: " أشفني عسلا " أي اجعله له شفاءً وقولهم: " أَسْقني إهابك " أي اجعله لي سِقاء، قولهم: " أَحْلَبْتُكَ الناقة، وَأَعْكَمْتُكَ[٦]، وأحْمَلْتُكَ، وأبغيتُكَ "

قال: كل هذا إذا أردت أنّك طلبته له، وأعنته عليه[٧] فإن أردت أنك فعلت به

---

(١) العريب المصنف ٢/ ٥٧٤. (٢) انظر المجاز ١/ ٢٠٥. (٣) النقائض ١/ ٢٨٤.

(٤) العريب المصنف ٢/ ٥٦٢. (٥) انظر أدب الكاتب ٣٤٧ و ٣٤٨.

(٦) جاء في اللسان: عكم المتاع شده بثوب، والعِكامُ ماعُكِمَ به وهو الحبل، وأعكمني: أي اعكم لي(ع ك م) ٣٠٦٠/٤.

(٧) جاء عن الفراء: وأما أَعْكِمْني بقطع الألف فمعناه أعني على العكم، وأحلبني أعني على الحلب المرجع السابق (ع ك م) ٣٠٦١/٤.

ذلك قلت: بغيتُك وحلبتُك وعكمتك وَحَمَلْتك).

ونلحظ أن هذه المجموعة جميعها قد جاءت متعدية وقد اشتركت الصيغتان " فعل وأفعل " في ذلك ولكن الدلالة مختلفة.

٤ـ دلالة الصيرورة:

١ـ قال أبو عبيدة[١]:(يقال سقيت الرجلَ ماءً وشرابًا، وغير ذلك وليس فيه إلا لغة واحدة بغير ألف، إذا كان في الشَّفَة، وإذا جعلت له شربا فهو أسقيته، وأسقيت أرضه، وإبله، لا يكون غير هذا) وأنشد لذي الرمة:(الطويل)

وَأَسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مما أبثُّه تُكَلِّمُنِي أحجارهُ وَمَلاَعِبُهْ

٢ـ وعنه في الغريب المصنف[٢]: داء الرجل يَدَاءُ، وأداء يُديئ إداءةً[٣] ؛ إذا صار في جوفه الداء(وسَفَقْتَ الباب وأسفقتُه، إذا رددته[٤]، ويقال: عذرت الرجل وأعذرته في العذر[٥] قال ومن قوله الأخطل:(الطويل)

فإنْ تَكُ حَرْبُ ابنيْ نزارٍ تواضعت فَقَدْ أعذرتنا في كلابٍ وفي كعب

ومما جاء عنه أيضًا في هذا المعنى:(يقال جذا الشيء يجذو وأجذى يُجْذي ؛ إذا ثبت قائمًا[٦] وغُمِيَ وأُغْمِي عليه[٧] وأُشْقِذَ الرجل إذا طرد، قال الشاعر[٨]: (الوافر)

إذا غضبوا عليَّ وأشقذوني فَصُرْت كأنني فَرأٌ مُتَارُ

٥ـ وجود المفعول على صفته:

قال: وَعَدَني الرجلُ؛ فأخلفته ؛ أي وجدته قد أخلفني، ومنه قول

(١) المجاز ١/٣٤٩، ٣٥٠. (٢) ٢/ ٥٦٨، ٥٦٩.

(٣) انظر اللسان مادة(د و أ) ٢/١٤٤٨ و ١٤٤٩ والمزهر ٢/ ٢٣٦.

(٤) جاء في اللسان سفقت الباب وأسفقته إذا رددته عن أبي زيد انظر مادة(سفق).

(٥)جاء في اللسان: ويكون(أعذر) بمعنى اعتذر اعتذارًا يُعْذرَ به وصار ذا عُذر منه وأورد بيت الأخطل مرتين إحداهما على ما روي عن أبي عبيدة ومعنى البيت في اللسان: أي جعلت لنا عذرًا فيما صنعناه مادة(عذر) ٤/ ٢٨٥٤.

(٦) الغريب المصنف ٢/ ٥٧٣ وجاء في اللسان جذى وأجذى لغتان كلاهما: ثبت قائمًا.

(٧) الغريب المصنف ٢/ ٥٦٩ وذكره المزهر عن ابن قتيبة انظر المزهر ٢/ ٣٣٤.

(٨) الغريب المصنف ٢/ ٥٧٧ ومُتَار يرمي تارة بعد تارة أي مُفزَّع يقال أترته أي أفزعته وطردته انظر اللسان مادة شقذ ٢/٢٢٩٧.

الأعشى[١]:(الكامل)

أثوى، وقصَّر ليلةً لِيُزَوَّدا فمضى وأخْلَفَ مِنْ قُتَيْلَةَ مَوْعدا

أي وافق منها خُلْفاً[٢].

وفي قول الفرزدق[٣]:(الطويل)

فمهما أَعِشْ لا يُضْمِنوني ولا أُضِعْ لَهُمْ حسبًا ما حَرّكَتْ قَدمِيَ نَعْلِي

قال: أضمنتُ الرجل ؛ إذا وجدته ضمنًا وأبخلته إذا أصبته بخيلا، وأحمدته؛ إذا أصبته محمودًا.

٦ـ الدخول في حيز المكان أو الزمان: مثال: قال جرير[٤]: (الوافر)

أبيتُ الليل أَرْقُبُ كُلَّ نجم تعرَّض حيث أنجدَ ثم غارا

قال:(أنجد: أتى ناحية نجد، وغار، أخذ ناحية الغور وهي تِهامة).

وقد توافق هذا البيت مع مقولة أبي عبيدة في لغة نجد وتهامة فقال(أنجد) بالهمز مع نجد وقال " غار " مع تهامة والحجاز، وهو نوع من التضاد اللغوي على مستوى الدلالة وعلى مستوى التوزيع الجغرافي للصيغة.

٧ـ دلالة السلب والإزالة:

قال أبو عبيدة: زِلْتُ الشيء، وأزلته[٥]، وعذرتُ الغلامَ والجارية عَذْرًا، وأعذرتهما، إذا خَتَنْتُهُما[٦].

٨ ـ دلالة المبالغة:

في قوله تعالى: **﴿أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا﴾** [طـه: ٤٥]، قال:(مجازه، أن يقدم علينا ببسط

---

(١) الغريب المصنف ٢/ ٥٩٦ وقد أورد أبو عبيدة القاسم بن سلام شاهدًا للأصمعي في نفس الدلالة يتفق مع ما أورده لأبي عبيدة وهو قول الأصمعي: أتينا الأرض فأحييناها ! وجدناها حية النبات غضة، وأوحشناها، وجدناها وحشة قال وسمعت العرب تنشد هذا البيت:(الطويل) فأوحش منها رَحْرَحان فراكسا أي وجدناها كذلك. انظر المرجع السابق ٢/ ٥٩٧.

(٢) وهذا المعنى وشاهده مذكور في اللسان مادة حلف ٢/١٢٤٢.

(٣) النقائض ١/ ١٢٩. (٤) النقائض ١/ ٢٥٠. (٥) الغريب المصنف ٢/ ٥٧٣.

(٦) المرجع السابق ٢/ ٥٦٩. وقد ذكره ابن سلام دون نسبة في غريب الحديث ٢/ ٤٥٧ وجاء في اللسان: العُذْرة، الختان، والعذرة، الجلدة يقطعها الخاتِن وعذر الغلام والجارية يَعْذِرُهما عَذْراً وأعذرهُما: ختنهما اللسان مادة عذر ٤/ ٢٨٥٨.

وعقوبة ويُعجل علينا، وكل متقدِّم أو متعجِّل فارط قال:(الرجز).

قد فرط العِلْج علَيْنا وعَجَلْ

وإذا أدخلوا في أوله الألف، فقالوا أفرط علينا؛ فإن معناه اشتط وتعدي)[١].

ويمكن أن نُجْملَ النتائج في النقاط التالية:

١ـ بناء " فعل " الثلاثي هو الأصل عند أبي عبيدة وبناء " أفعل " بزيادة الهمزة في أوله بناء أحدث في لغة الحجاز وعكس ذلك صحيح في لغة نجد وتميم.

٢ـ يأتي كل بناء لوظائف مختلفة تتعلق بالدور الدلالي الذي تؤديه الصيغة الفعلية للفعل الثلاثي أو الرباعي في اللغة المعينة.

٣ـ قد تتوافق صيغة " أفعل" مع صيغة " فعل " في اللغة المشتركة(الفصحى) لأسباب لهجية تتعلق بتاريخ الفصحى أو لأسباب دلالية وأهمها ما يلي:

أـ سقوط الهمزة تخفيفًا من " أفعل " وتوافقها مع " فعل " مع استمرار بعض الصيغ المحتفظة بالهمزة.

ـ حَمْل صيغة " أفعل " على صيغة " فعل " في المعنى وذلك لقرائن دلالية مثل المجاز(مصطلحه في المجاز) أو التشبيه(مصطلحه في النقائض) أو الرجوع إلى أصل قديم قد تُرِك(وذلك في الشعر).

٤ـ كثير من المصطلحات الشائعة في معالجة هذه القضية بعده في مراحل زمنية مختلفة من الدرس اللغوي عند العرب مستمدة من ملحوظاته وأمثلته مثل:

[هما لغتان / الأصل فعل / الرجوع إلى الأصل / الحمل / والتشبيه والمجاز / الحذف التخفيف].

بالإضافة إلى الدلالات المذكورة في " أفعل ".

٥ـ ويمكن أن نتصور العلاقة التاريخية والمعجمية من خلال الأمثلة بين الصيغتين في إطار المراحل التالية:

١ـ مرحلة المفارقة بين الصيغتين في الأداء الدلالي حيث(فعل) لغة قومٍ و(أفعل) لغة

---

(١) المجاز ٢/ ١٩و ٢٠ ويشبه ذلك ما ذكره في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الاسراء: ٧٠]، قال: كرّمنا أي أكرمنا إلا أنها أشد مبالغة في الكرامة انظر المجاز ١/ ٣٨٦.

آخرين.

٢ـــ مرحلة التداخل للجمع بين اللغتين.

٣ـــ مرحلة التوافق الدلالي لِعَوامِل دلالية وتاريخية وقد جمعت اللغة المشتركة آثارًا لغوية من كل مرحلة مما شكّل وجود هذه الظاهرة اللغوية.

ثالثًا – تأثير مقولات أبي عبيدة في العلماء اللاحقين:

مناقشة أبي جعفر النحاس:

١ـــ ناقش أبو جعفر النحاس آراء الثلاثة العلماء وهم: " أبو زيد " "وأبو عبيدة " و " الأصمعي " في مسألة هل " فَعَلَ وأفعل " على معنى واحد أم يختص كـــل بنـــاء بدلالة مستقلة؟ فحكى عن أبي عبيدة في سقيته وأسقيته لغة[١] وعن أبي زيد أن " أفعل " بالهمز لغة تميم[٢]، وأما الأصمعي فقال سقيته لفيه، وأسقيته جعلت له شربًا، ثم قال النحاس: وعلى ما قال الأصمعي اللغة الفصيحة[٣] ؛ إلا أنه عاد في " فتن وأفتن "[٤] و " سلك وأسلك "[٥] وقال بأنهما لغتان عند كثير من أهل اللغة، ثم ذكر شـــواهد أبي عبيدة وكان يقول في بعضها(ولم يطعن الأصمعي في هذا البيـــت[٦]ويـــبين التماســـه

---

(١) انظر إعراب القرآن ٥/ ٤٩ . ٥٠ وقد ذكرنا ذلك منذ قليل وشواهده عند أبي عبيدة في المجاز ١/ ٣٤٩ و ٣٥٠.وقال ابن النحاس(في إعراب القرآن) ٢/ ٤٠١) في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ [النحل: ٦٦]، نسقيكم بفتح النون قراءة عاصم وشيبة ونافع(ونسقيكم) بضم النون قراءة ابن كثير وأبي جعفر وأبي عمرو بن العلاء والكوفيين إلا عاصمًا ثم قال: وأسقيته بمعنى سقيته عند أبي عبيدة إلا أنه حكى عن محمد بن يزيد أنه قال نسقيكم بالفتح أشبه بالمعنى ها هنا.

(٢) ذكر ذلك في قوله تعالى: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجـــن: ١٧]. انظر إعراب القرآن ٥/ ٥٠.

(٣) ثم قال: غير أن أبا عبيدة أنشد للبيد وهو غير مدافع عن الفصاحة ـــ سقى قومي بني مَجْدٍ وأسقى.. البيت ثم قال: فسئل الأصمعي عن هذا البيت فقال هو عندي معمول ولا يكون مطبوع يأتي للغتين في بيت واحد، وقد خرّجه المحقق من شرح ديوان لبيد ومن معاني القرآن للفراء ومن النوادر لأبي زيد ومن المفضليات انظر إعراب القرآن ٢/ ٣٣٠ والمراجع هناك وانظر ٥/ ٥٠.

(٤) مذكور في المجاز ١/ ١٦٨.

(٥) مذكور في المجاز ١/ ٣٤٧، وقد ذكرناها منذ قليل والشواهد هناك هي نفس الشواهد التي استشهد بها أبو جعفر النحاس هنا.

(٦) أي في بيت أعشى همْدان:

لَئِنْ فَتَنَتْنِي لَهِيَ بالأمس أفتنت ... البيت(في المجاز ١/ ١٦٨)، وذكر أبو جعفر ذات التعليق على بيت شاهد آخر لأبي عبيدة وهو بيت لعبد مناف بن ربع الهذلي(في المجاز ١/ ٣٣١) وخرّجه المحقق من المصادر الموثقة انظر إعراب القرآن ٥/ ٥٠ حاشية ٤ و ٥/ ٥١ حاشية ٦ والمصادر هناك.

للفروق فيقول: غير أنه قال: " أسلكه حمله على سلك " ونقل عنه أيضًا في رَدّه لبعض شواهد أبي عبيدة " لا يلتفت إليه، وإن كان قد قيل قديمًا " وقال النحاس نفسه تلك المقولة عن بعض شواهد أبي عبيدة فقال: " وهذا شعر قديم "[١].

وقال النحاس: حكى الجِلَّة من أهل اللغة ممن يُرَجع إلى قوله في الصدق[٢] " فتنه وأفتنه " غير أن سيبويه فرّق بينهما[٣] فذهب إلى أن المتعدي أفتن وأن معنى فتنه، جعل فيه فتنةً[٤].

ونخلص من مناقشة النحاس لآراء العلماء:

١ـ يرى سيبويه أنهما ـ فعل وأفعل ـ يتفقان في مواضع ويختلفان في مواضع أخَر.

٢ـ يرى أبو عبيدة وأبو زيد أنهما لغتان، وقدَّم أبو عبيدة شواهد لم يتمكن معارضوه من رَدِّها هذا بالنسبة للشعر أما بالنسبة للقراءات فهي أكثر شواهده، وهي مرآة للهجات العربية.

٣ـ يرى الأصمعي أنهما مختلفان في الدلالة ويسعى في الشواهد المذكورة لالتماس الفروق، ونظر إلى شواهد أبي عبيدة فاتهمه في بعضها، والبعض الآخر رَدّه باعتبار أنه كلام قديم قد تُرِك.

٤ـ كانت شواهد أبي عبيدة محور المناقشة عند النحاس.

٥ـ يتضح ميل النحاس إلى آراء الأصمعي.

٣. مناقشة المزهر:

نقل المزهر بعض المناقشات والمحاورات الدالة في هذه المسألة فنقل عن الجمهرة:(باب ما اتفق عليه أبو زيد وأبو عبيدة وكان الأصمعي يشدد فيه، ولا يجيز

---

(١) إعراب القرآن ٥/ ٥٠ وهذا يتوافق مع مقولة لأبي عمرو بن العلاء يقول فيها(مَضَّى وأمضى كلام قديم قد تُرِك) انظر المزهر: / ٢١٨.

(٢) يريد أبا عبيدة وأبا زيد ومن تابعهم لأنهم ممن يقول ذلك وحكى بعض شواهدهما.

(٣) ذكر سيبويه نماذج كثيرة لافتراق فَعَلَ وأفعل في المعنى ومن بينها أمثلة عدة ذكر أبو عبيدة وأبو زيد أنها من باب اللغتين انظر أمثلة سيبويه الكتاب ٤/ ٥٧٥٥ غير أنه ذكر أنه قد يجيء فعلتُ وأفعلت والمعنى فيهما واحد السابق ٤/ ٦١.

(٤) انظر إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٥١ والكتاب ٤/ ٥٦.

أكثره مما تكلمت به العرب من فعلت وأفعلت، وطعن في الأبيات التي قالتها العرب)[١].

ومثّل لذلك بقولهم بان لي الأمر، وأبان، ونار لي الأمر وأنار.. ثم ذكر بعض الشواهد التي وردت باللغتين، وتكلّم فيها الأصمعي واستثنى شواهد تحرّج الأصمعي من الحديث فيها لورودها في القرآن الكريم مثل(سرى وأسرى وعصفت وأعصفت وسحته وأسحته ورفث وأرفث وجلوا وأجلوا، وسلك وأسلك وينع وأينع ونكر وأنكر وخلد وأخلد وكننت وأكننت ووعيت وأوعيت)[٢].

ونقل المزهر حوارًا دار بين أبي حاتم والأصمعي في هذه القضية يقول فيه أبو حاتم: سألت الأصمعي عن " باع وأباع " فقال: لا يقال: " أباع "، فقلتُ: قول الشاعر:

فليس جوادنا بمباع

فقال: أي غير معرض للبيع، وقال الأصمعي: هوى من علو إلى أسفل، وأهوى إليه إذا غشيه، قال ابن دريد، قلت لأبي حاتم: أليس قد قال الشاعر:(الطويل)

هوى زهدمٌ تحت العجاج لحاجبٍ   كما انقض بازٍ أقتم كاسِر

فقال: أحسب الأصمعي أُنْسِي، وهذا بيت فصيح صحيح[٣].ونقل أيضًا عن ثعلب[٤] أن " أدير بي " لغة في" دير بي " ثم قال: فالأصل في هذا " دُرْت " وهو الفعل اللازم ثم ينقل إما بالباء قد" أدير بي " كما قيل " أسرى بي " على لغة من قال " أسرى بمعنى سري ".

وتكشف مناقشة السيوطي النتائج التالية:

١ ــ رفض العلماء الصريح لطعن الأصمعي في شواهد أبي عبيدة حيث قالوا " وطعن في الأبيات التي قالتها العرب " ووصفهم لشواهد أبي عبيدة بالصحة والفصاحة.

٢ ــ كشفت المحاورات عن غزارة الرواية عند أبي عبيدة حيث آراؤه وشواهده هي محور المناقشة.

---

(١) انظر المزهر ٢/ ٣٢٦.
(٢) انظر المرجع السابق ٢/ ٣٢٦ و ٣٢٧.
(٣) انظر المحاورة في المزهر ٢/ ٣٣٨.
(٤) ذكر السيوطي ذلك في إطار مناقشة المبرد لآراء ثعلب انظر المرجع السابق ١/ ٣٨٦. مع ملاحظة أن بداية النص بكلمة الأصل في هذا درت والفعل والأمثلة هي من آثار أبي عبيدة وطريقته في هذا الباب.

٣ــ فكرة نقل الفعل اللازم بالألف أو غيرها وإسناده في التمثيل لتاء الفاعل التي ذكرها ثعلب هي الفكرة التي يصدر عنها أبو عبيدة من خلال النص الذي رواه يونس عن أبي إسحاق وأشرنا إليه في بداية المسألة.

مناقشة ابن دُرُسْتُويَه(١)

لَخّص ابن درستويه وجهته في القضية بقوله:(لا يكون فَعَلَ وأفعل بمعنى واحد، كما لم يكونا على بناء واحد، إلا أنه يجيء ذلك في لغتين مختلفتين)(٢).

وبين الوسائل المؤدية إلى اتفاق الدلالة بين فعل وأفعل وأهمها.

١ــ تشبيه شيء بشيء(٣):

٢ــ التخفيف يقول(إلا أنه ربما كثر استعمال هذا الباب في كلام العرب حتى يحاولوا تخفيفه)(٤).

٣ــ حَمْل فِعْل على آخر من غير لفظه يقول:(أو يُشَبَّه فِعْلٌ بِفِعْلٍ آخر متعدٍّ على غير لفظه فيجري مجراه، لاتفاقهما في المعنى).

ونخلص من آراء ابن درستويه أنه ينظم فكرة أبي عبيدة وأمثلته أما مقصود ابن درستويه من التخفيف فهو ما يريده أبو عبيدة بتخفيف الهمزة أو حذف حرف الجر توسعًا.

وقد ابتدأ ابن درستويه تصحيح الباب السادس من فصيح ثعلب(٥) بقوله:

(اعلموا أن أصل أفعلت إنما هو من فعلت؛ لأن الهمزة التي في أفعلت زائدة على فعلت) وهي عبارة أبي عبيدة في المجاز التي نقلها عن يونس عن أبي إسحاق ".

وتكشف المناقشات السابقة عن امتداد الفكر اللغوي لأبي عبيدة في مؤلفات ومحاورات اللاحقين من العلماء.

---

(١) هو عبد الله بن جعفر بن درستويه المرزبان الفارسي، وُلد بـ(فسا) في بلاد فارس ٢٥٨ هـ ورحل إلى بغداد وتوفي ٣٤٧هـ من خلافة الطائع انظر تصحيح الفصيح وشرحه ١٦.

(٢) المزهر ١/ ٣٨٤.

(٣) يقول:(وليس يجيء شيء من هذا الباب إلا على لغتين متباينتين أو يكون على معنيين مختلفين أو تشبيه شيء بشيء) انظر المرجع السابق نفسه.

(٤) المرجع السابق ١/ ٣٨٦.

(٥) قال وهو المترجم باب فَعَلْتُ وأفعلتُ باختلاف المعنى) انظر تصحيح الفصيح وشرحه ١٢١.

ثانيًا- أبنية المصادر

١. أبنية المصادر الثلاثية:

المصدر يدل على الحدث:

مثال: قال تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُم﴾ [النساء: ١١٤]، قال: النحوي فعْلٌ قال النابغة:

وقد خِفْتُ حتى ما تزيد مخافتي على وَعِلٍ في القفارة عاقلِ

قال: (والمخافة. فعْلٌ والوعل اسم)(١) ويفهم من هذا النص أن المصدر يدل على الحدث أو الإحداث وأسماه هنا فعْلا.

١.ما جاء من المصادر على تقدير "فَعْل":

(١:١) ـــ **فَعَلَ يَفْعِلُ** (أو **يَفْعُل فَعْلاً**): **مثال ١- عَدَلَ يَعْدِل عَدْلاً**

قال تعالى: ﴿**يَحْكُمُ به ذَوَا عَدْلٍ منْكُمْ**﴾ [المائدة:٩٥]، قال:(فجاء مصدرًا في القرآن الكريم كله، من جعله صفةً على أنه مصدر ولفظه للأنثى والذكر، والجميع سواء: هي عَدْلٌ وهُم عَدْل قال زهير: (الطويل)

مَتَى يشتجرْ قومٌ يَقُلْ سرواتهم هُمُ بيننا فَهُمْ رضًا وهُمُ عَدْل

فجعله هشام أخو ذي الرُّمة صفة تجري مجرى ضخْم وضخمة فقال: عَدْل وعَدْلة للمرأة)(٢).

مثال ٢- مَكَرَ يَمْكُر مَكْرًا

قال تعالى:﴿**لِيَمْكُرُوا فيهَا**﴾ [الأنعام: ١٢٣]، قال مصدره المَكْرُ وهو الخديعة والحيلة بالفجور والغدر والخلاف(٣).

مثال ٣- حَلَبَ يحْلُب(يَحْلِبُ) حَلَبا وحَلْبًا(٤).

---

(١) المجاز ١/ ١٤٠.

(٢) المجاز ١/ ١٧٥ و ١٧٦، وما نقل في اللسان عن ابن بَرّيّ، وابن جني يكاد يتطابق مع مقولة أبي عبيدة هذه انظر مادة(عدل) ٤/ ٢٨٣٨.

(٣) المجاز ١/ ٢٠٦ وجاء عن ابن سيده في اللسان مكر يمكر مكرًا، وهو الخديعة والاحتيال(مادة مكر) ٦/ ٤٢٤٧.

(٤) جاء في اللسان: الحَلَبُ: بالفتح مصدر حلبها يَحْلُبها ويَحْلِبُها حَلْبًا وحَلَبًا وحِلابا انظر مادة(حلب) ٢/ ٩٥٦.

قال جرير[١]: (الكامل)

وَحَسبْتَ حَرْبي وَهْيَ تَخْطُر بالقنا حَلْبَ الحمارة يا ابن أمٍّ رعال

قال: والحلب الفِعْل[٢].

ونلحظ على الأمثلة:

١ـ المصدر لفظ عام يستغرق الجنس والعدد فيأتي على صيغة الإفراد والتذكير إلا إذا حُمل على الوصف وقد اقتبس هذه الفكرة ابن بري وابن جني[٣].

٢ـ جاء المصدر على تقدير فَعْل من المتعدي بنفسه والمتعدي بحرف الجر.

(١: ٢) مصدر " فَعْل " من الأفعال المسماة بالحلقية:

مثال ١– رأي يري رَأْيًا قال تعالى: ﴿**يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ**﴾ [آل عمران: ١٣]، قال: مصدر، تقول فَعَلَ فلانٌ رأي عيني وسَمْعَ أذني[٤].

مثال٢– خَطَأَ يَخْطأُ خَطْئًا: قال تعالى: ﴿**إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً**﴾ [الإسراء: ٣١]، قال: إنما هو اسمُ من خَطَأتَ، وإذا فتحت فهو مصدرَ كقولَ بن علفاء الهُجَيمي[٥]: (الوافر)

دَعِيني إنّما خَطْئِي وصَوْبي عليَّ وإنَّ ما أهلكتُ مَالُ

مثال٣– بأى يَبْأي بَأْوًا قال الشاعر[٦]: (الوافر)

وما باءوا كبئوهُمُ علينا بِفَضْلِ دِمَائِهم حتّى أراحوا

قال:(البأو، الكبر، يقال منه: بأوتَ تَبْأى بأوًا وهو المصدر).

مثال٤– بَخَسَ يَبْخَس بَخْسًا قال تعالى: ﴿**وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ**﴾ [يوسف: ٢٠]، قال ك يقال، بَخَسَني حقّي، أي نقصني، وهو مصدر بخست فوصفوا به، وقد تفعل العرب ذلك[٧].

---

(١) النقائض ١/ ٢٨١.

(٢) ضبط المحقق الكلمة بكسر فسكون فإن صَحَّ ذلك يكون مراد أبي عبيدة أن دلالة المصدر أو تعريفه هو الإحداث(الفعْل) بمعنى أنه يدل على الحدث وقد أشرنا إلى ذلك في عبارة صريحة له منذ قليل.

(٣) وذلك بمقارنة ما ورد عنهما في اللسان بما جاء في المجاز في المصدر(عَدْل).

(٤) المجاز ١/ ٨٨. (٥) المجاز ١/ ٣٧٧. (٦) النقائض ١/ ٣٣٨.

(٧) المجاز ١/ ٣٠٨ وقال في اللسان، البخس: النقص بخسه حقه يبخسهُ بخسًا نقصه، مادة بخس ١/ ٢٢١.

مثال٥– ضبح يَضْبَحُ ضبحًا قال تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً﴾ [العاديات: ١]، قال: ضبحت الخيل تضبح تنحم[١].

مثال٦– وطَعَنَ يَطْعَنُ طَعْنًا. قال حُمَيدُ بن ثور[٢]: (الطويل)

وطعني إليك اللَّيْلَ حِضْنيه إنَّني لِتِلْكَ إذا هَابَ الهِدانُ فَعُولُ

أراد وطعني حِضْنَي الليل إليك.

ونلحظ على الأمثلة:

١ـ جاء مصدر(فَعْل) من اللازم والمتعدي من فَعَلَ يَفْعَل.

٢ـ استخدم المصدر استخدام الوصف في قوله(بِثَمنٍ بَخْس).

(١: ٣) مصدر(الفَعْل) من المضاعف والمعتل:

مثال المضاعف: مثال: هَدَّ يَهدُّ هدًّا : قال تعالى: ﴿وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً﴾ [مريم: ٩٠]، مصدر هَدَدَت أي سقطتْ، فجاء صفة للجبال[٣].

مثال١– تاب يتوبُ توبًا قال تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غافر: ٣]، مجازها أن يكون مصدرًا وجماعًا[٤].

مثال٢– ضار يضير ضيرًا: قال تعالى: ﴿لا ضَيْرَ﴾ [الشعراء: ٥٠]، مصدر ضار يضير[٥].

مثال٣– قال يقول قولاً(قيلاً): قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾ [النساء: ١٢٢]، أو قولاً واحد[٦].

مثال٤ – ضاف يضيف ضيفًا:

في الحديث " تضيَّفت الشمس " قال: ضافت تضيف ضيفًا؛ إذا مالت للغروب[٧].

مثال٥– صاب يصوب صَوْبًا: قال أو بين ابن علفاء الهُجَمي[٨]: (الوافر)

دعيني إنما خَطئِي وصَوْبي عليَّ وإنّ أهلكتُ مالُ

---

(١) المجاز ٢/ ٣٠٧.
(٢) عن أبي عبيدة في اللسان مادة طعن ٤/ ٢٦٧٧.
(٣) المجاز ٢/ ١٢.
(٤) المجاز ٢/ ١٩٤.
(٥) المجاز ٢/ ٨٥.
(٦) المجاز ١/ ١٤٠.
(٧) غريب الحديث للهروي ١/ ٢٢ عن أبي عبيدة.
(٨) المجاز ١/ ٣٧٧.

صوبي: إصابتي.

مثال٦– ناش ينوش نَوْشًا(تناول) قال غيلان[1]: (الرجز)

فَهِيْ تنوشُ الحوضَ نَوْشا من عَلاَ

مثال الناقص: مثال ١– بدا يَبْدُو بدوًا في البادية:

قال تعالى: **﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾** [يوسف:١٠٠]، وهو مصدر بدوت في البادية[2].

مثال٢– قال أبو عبيدة[3](يقال: رسا يرسو رَسْوًا إذا ثَبت)

ونلحظ عل الأمثلة:

١ــ جاء المصدر من المتعدي بنفسه والمتعدي بحرف الجر واللازم.

٢ــ جاء المصدر وصفًا كما في(هدًّا) وجاء علم على معين كما في البدو.

٣ ــ بين المعاقبة بين فَعْل وفعْل في قَوْل وقِيل

(١ــ ٤ مصدر) " الفَعْل " من فَعِلَ يَفْعَلُ:

مثال١– أَمِنَ يَأْمَنُ أَمْنًا قال تعالى: **﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ﴾** [الأنفال: ١١]، هو مصدر بمنزلة أَمِنْت أَمَنَةً وأمانا وأَمْنًا وكلهن سواء[4].

مثال٢– سَمِعَ يسمع سَمْعًا: قال تعالى: **﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ﴾** [النحل: ٧٨]. قال: لفظه لفظ الواحد، وهو في موضع الجميع كقولك الأسماعَ[5] ونلحظ في المثال الأول خروج اسم المصدر أمنة إلى معنى المصدر وفي المثال الثاني تأدية المصدر لمعنى اجميع بقرينة ما عُطِفَ عليه.

٣.ما جاء عن المصادر(على تقدير فَعْلة حَمْلاً على فَعْل:

مثال١– غَرَفَ يَغْرِفُ غَرْفَةً قال تعالى:**﴿إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾** [البقرة: ٢٤٩]،

(١) المرجع السابق ٢/ ١٥٠.   (٢) المجاز ١/ ٣١٩.   (٣) النقائض ٢/ ٧٧٠.

(٤) المجاز ١/ ٢٤٢.

(٥) المجاز ١/ ٣٦٥. وقد شرح ابن الأنباري التوجيهات الممكنة لورود " السمع " غير مجموع في هذه الآية ونظائرها وذلك لكونها مصدرًا أو على تقدير حذف مضاف(أي مواضع سمعهم) أو حمل المفرد على الجمع لدلالة السياق وهذه مقولات أساسية لأبي عبيدة وما ذكره من شواهد هي شواهد لأبي عبيدة انظر البيان في غريب إعراب القرآن ١/ ٥٢ وقارن ذلك بما جاء عن أبي عبيدة في المصدر في هذا المبحث وما جاء عن أبي عبيدة في صفة السرج واللجام ٥٩.

قال: الغَرْفَة مصدر، والغُرْفَة مِلء الكف[1].

مثال٢– نَضَرَ ينضُر نَضْرة قال تعالى: ﴿نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٤]، قال: مصدر ناضرة[2].

جاء اسم المصدر في المثالين بمعنى المصدر عن طريق الحمل وقد يؤدي اسم المصدر معناه الاشتقاقي بحمله على اسم الفاعل كما في نَضْرة أو حمله على اسم المفعول كما في غُرْفة.

٣.ما جاء من المصادر على تقدير "فَعَل" وفَعَلة:

مثال١– أَسِيَ يأْسَى أَسىً: قال تعالى: **﴿فَلا تَأْسَ﴾** [المائدة: ٢٦]، قال العجاج: (الرجز)

وانحلبت عيناه من فرط الأسى والأسى، الحزن، أَسِيَ ياسَى[3]

مثال٢– ضَرَّ يضرُّ ضررًا: قال تعالى: **﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾** [النساء: ٩٥]، مصدر ويقال: ضرير بيْن الضرر[4].

مثال٤– أَمِنَ يأْمَن أمنة وأمْنًا[5].

٤.ما جاء من المصادر على تقدير فَعَالة:

مثال١– أَثَرَهُ يَأْثره أَثْرَةً وأَثارةً: قال تعالى: **﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾** [الأحقاف: ٤]، أي بقية، وقال راعي الإبل[6]: (الوافر)

وذات أثارةٍ أكلت عليه نباتًا في أكِمَّته قِفارا

ومن قال: أَثَرَةً فهو مصدر، أثره يأثره، يذكره.

ويفهم من هذا المثال أنه يحمل " أثارة " على اسم المصدر بمعنى بقية ويحمل " أَثَرَةً " على المصدر، ونرى أن العلاقة بينهما هي من قبيل تطور فَعَلة إلى فَعَالة.

---

(١) المجاز ١/ ٧٧ وجاء في اللسان: عرف الماء والمرق ونحوهما يَغْرفه غَرْفًا وقال: الغرفة اسم المرة من المصدر والغُرْفَة اسم المفعول ويقال: الغَرفة مِلء اليد انظر مادة عرف ٥/ ٣٢٤٢.

(٢) المجاز ٢/ ٢٨٩. (٣) المجاز ١/ ١٧١. (٤) المجاز ١/ ١٣٨.

(٥) تعرضنا له منذ قليل وإيراده هنا للتدليل على حمْل فَعَلة على فَعْل انظر المرجع السابق ١/ ٢٤٢.

(٦) المجاز ٢/ ٢١٢.

مثال٢– مَثُل الرجل يَمْثُل مَثَالةً:

مصدر الوالي الذي يلي الأمر والمَوْلى واحد(٣).

ويفهم من ذلك معاقبة الفتحة للكسرة في مصدر(فَعَالة) بالسماع، كما يفهم أنـــه يجعل من هذا البناء اسمًا للمصدر فإذا كسرته فهو يحمل مضمون اســـم الفاعـــل وإذا فتحته يَحْمل دلالة اسم المفعول وقد سجلنا هذه الملاحظة ـــ منذ قليل في نضرة النعيم و(غرفة بيده).

٥.مصدر الفَعْلان والفَعَلان:

مثال١– قرأ يقرأ قرآنا(قَرْأً)

قال تعالى: **﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾** [القيامـــة: ١٨]، أي جمعناه ومجازه مجاز قـــول عمرو بن كلثوم: (الوافر) **هِجانِ اللون لم تَقْرأ جنينا**

مثال٣– جال يجول جَوَلانًا قال الفرزدق:(الكامل)(٤)

وَأَبي الذي وَرَدَ الكُلابَ مسوِّمًا والخيلُ تَحْتَ عجاجها المُنْجَالِ

قال: [والمنجال، هو المنفعل من الجَوَلان](٥).

مثال٢– طَعَنَ يَطْعَنُ طعْنانًا(طَعْنًا)

قال الشاعر(٦): (الوافر)

---

(١) النقائض ١/ ١٨٤.

(٢) فسّر صاحب اللسان ـــ نقلاً عن العلماء ـــ الرعالة في المثل بالحُمْق وهو بعيد عن تفسير أبي عبيدة، وبمراجعة مادة (رعل) تبين أن معناها المعجمي يتجه إلى شدة الطعن (الرعْل) والقطعة من الخيل (رعالة) ومقدمة الخيل (الرعيل) أما معنى الحُمْق فهو وارد من الإبدال بين الرعانة والرعالة، وقد ذكر الأزهري في معناها الاسترخاء بمعنى الرخاء ولذلك نرى أن تفسير أبي عبيدة لهذا المثل أولى فيكون معناه رادك الله رخاءً كما زدت وجاهة وسلا انظر مادة(رعل) ٣/ ١٦٧٤. ومادة (مثل) ٦ / ٤١٣٤.

(٣) المجاز ١/ ٢٥١. (٤) المجاز ١/ ١٧ (٥) النقائض ١/ ٢٨٩.

(٦) النقائض ١/ ١٦.

ولا يدرون ما الطعْنانُ حتى   يُمَدَّ الجري من طَبقِ العنان

قال: (يقال طعن الفرس في مسحله طعْنًا وطعنانا والطعنان، أن يبسط جرى الفرس حتى يحمي فيعصي مسحله)[1]، وقد دلت المصادر السابقة على الحركة وزادت عن البناء القياسي باللاحقة(ألف + ن) في فعْلان وبنفس اللاحقة مع زيادة حركة قصيرة في فَعَلان.

٦.ما جاء من المصادر على تقدير(فِعْل وفِعْلة)

مثال١– بَرَّ يَبَرُّ برًّا: قال تعالى: **﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ﴾** [البقرة: ١٧٧]، قال: البرُّ هاهنا مصدر[2].

مثال٤– ذَلَّ يَذلُّ ذلَّة

قال تعالى: **﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾** [البقرة: ٦١]، قال الذِّلَّة الصغار جاء المصدر " فِعْل وفِعْلة " من اللازم والمتعدي ويتضح من المصادر الأخرى لـ(خلف وذلّ) حَمْل اسم المصدر على المصدر وتعاقب الفتحة والضمة والكسر في المصادر الثلاثية.

مثال٢– وَرَدَ يَرِد ورْدًا قال تعالى: **﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً﴾** [مريم: ٨٦]، مصدر ورد يرد[3].

مثال٣– خَلَف يَخْلُفُ(يَخْلفُ) خُلْفًا وخلْفًا وخلْفة[4].

قال تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾** [الفرقان: ٦٢]، قال: يجيء الليل بعد النهار، ويجيء النهار بعد الليل يخلُف منه وجعلهما خلْفَةً وهما اثنان لأن الخلفة مصدر فلفظه من الواحد والاثنين والجميع والمذكر والمؤنث واحد قال: (الطويل)

بها العين والآرام يمشين خِلْفةً   وأطلاؤها ينهضن في كلّ مجثم

٧.ما جاء من المصادر على تقدير" فُعْل "

مثال: وَدَّ يَوَد وُدًا

قال تعالى: **﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾** [مريم: ٩٦]، أي محبةً وهو مصدر

---

(١) جاء في اللسان: فعلان يجيء في مصادر ما يتطاول فيه ويُتمادى مادة(طعن) ٤/ ٢٦٧٦.

(٢) المجاز ١/ ١٤٠، وجاء في اللسان بَرَّ يَبَرُّ إذا صلح انظر مادة(برر) ١/ ٢٥٢.

(٣) المجاز ٢/ ١١.

(٤) اللسان ٢/ ١٢٣٧(مادة خلف) وذكر ما يذكره أبو عبيدة في المجاز واستشهد ببيت زهير شاهد أبي عبيدة.

وَدِدْت[1].

٨ - ما جاء من المصادر على تقدير " فُعُول "

مثال ١ – أَفَلَ يَأْفِلُ. أُفولا قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ [الأنعام: ٧٦]، قال: وهو يَأْفِل مكسورة الفاء والمصدر " أَفَل أفولا " كقوله: (المتقارب)

ذا ما الثريا أحسّت أُفُولا

مثال ٢ – دَحَرَ يَدْحَرُ دُحُورًا

قال تعالى: ﴿دُحُوراً وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ [الصافات: ٩]، قال: مصدر دحرت تقول العرب: ادحر عنك الشيطان[2].

مثال ٣- عتا يعتو عُتُوًّا وعتيًّا قال تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتيًّا﴾ [مريم: ٨]، قال عتا يعتو عتيًّا[3] وقال: مصدر عتوت تعتو[4].

مثال ٤ – عثى يَعْثِي عُثُوًّا: قال تعالى: ﴿وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠]، تعثوا أي لا تفسدوا من عثيت تعثى عثوًّا، وعثا يعثو عَثْوًا وهو أشد الفساد[5].

مثال ٥ – صَلَى يَصْلَى صليًّا: قال تعالى: ﴿أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا﴾ [مريم: ٧٠]، قال: مصدر صليت تصلي خرج مخرج فعلت فعولا" ولا يظهرون في هذا أيضًا الواو[6].

مثال ٦ – قال أبو عبيدة: رَسَا يَرْسُو رُسُوًّا ورسوًا وذلك إذا ثبت[7].

ونلحظ على مصدر " فُعول " في الأمثلة:

١ـــ أشار أبو عبيدة إلى المصدر القياسي وهو رَسْوًا وعَتْوًا إلى جانب رُسُوًّا وعُتُوًّا مما يعني أنه يراعي قانون المعاقبة والتثقيل(بزيادة الضمة وواو فعول).

٢ـــ أشار إلى أصل الصيغة " عتيًّا وصليًّا " بأنها على وزن فعول غير أن الواو ذهبت على خطوتين في توليد هذه الصيغة[8].

أولاً– كسر فاء المصدر لاتجاه الكسر عند القبائل.

---

(١) المجاز ٢/ ١٣ وقال أبو زيد: وَدِدْتُ الشيء أَوَدُّه قال الفراء هذا أفصل الكلام.. والمصدر ودًّا و وِدًّا و وِدادًا ومَوَدَّة انظر اللسان(ودد) ٦/ ٤٧٩٣.

(٢) المجاز ٢/ ١٦٦.

(٣) المجاز ٢/ ٢.

(٤) المرجع السابق ٢/ ١٠.

(٥) المجاز ١/ ٤١.

(٦) المجاز ٢/ ١٠.

(٧) النقائض ٢/ ٧٧٠.

(٨) مذكور بالتفصيل في القوانين الصوتية(المماثلة). عند أبي عبيدة.

ثانيًا– حدوث تأثير تقدمي لكسر فقلبت الواو ياء وثقلت مع ياء الكلمة.

وقد أفاد أبو عثمان المازني بملاحظة أبي عبيدة هذه في مناظرته للكوفيين حول وزنَ بغيّ "[1].

مثال٧– صَعَدَ المكان ــ وفيه ــ صُعُودًا.(هبط يهبط هُبُوطًا).

قال الفرزدق[2]: (الوافر):

وإنك واجدٌ دوني صَعُودًا جراثيم الأقارع والحُتَات

قال: (يقال وقعوا في صَعودٍ وهَبوط مفتوحان، والمصدر مضموم منها، صَعَدَ صُعُودًا وهبط هُبُوطا).

٩. مصدر الفُعُوليَّة:

ونعده مما يلحق بصيغة فعول السابقة على النسبة.

مثال: خَصَّ يخُصُّ خُصُوصيَّة:

قال[3]: يقال هو لِصٌّ بين اللَّصوصية[4] بفتح اللام، وهو حُرٌّ بين الحرورية، وهو خاص بالأمير بين الخَصَوصية[5] بنصب الخاء).

وروي عنه كذلك وعن الأصمعي بأنهما لم يسمعا شيئًا من النحو على هذا الباب وعلى هذا الوزن بالفتح إلا هذه الثلاثة الأحرف والباقي من هذا الجنس مضموم الأول كله[6].

١٠. مصدر " فُعْليًّا " يلحق كذلك بصيغة فعول:

مثال١– سخر يسخر سُخْرِيًّا وسِخْرِيًّا قال تعالى: **﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا﴾** [ص: ٦٣]، من كسر سِخرْيا جعله من الهُزْء ويُسْخَر به، ومن ضمّ أولها جعله من السُّخرة يتسخرونهم ويستذلونهم[7].

---

(١) انظر المدارس النحوية ١١٦.

(٢) النقائض ٢/ ٧٧٠، وما نقله اللسان عن الأزهري في الفرق بين المفتوح والمضمون كلامه في النقائض انظر مادة(هبط) ٦/ ٤٦٠٥.

(٣) النقائض ٢/٦٣٣.

(٤) جاء في اللسان " بالفتح والضم انظر مادة لصص ٥/ ٤٠٣١.

(٥) وجاء في اللسان حصه بالشيء يَخُصُّه حصًّا وخَصوصيَّة وخُصُوصيَّة والفتح أفصح انظر مادة(حصص) المرجع السابق ٢/ ١١٧٣.

(٦) النقائص ٢/ ٦٣٣.

(٧) المجاز ٢/ ١٨٧.

ونلحظ على هذين البناءين أنه عاقب بين الفتحة والضمة في بناء الفُعُولية وفرّق بينهما في بناء فُعليّا ونرى أنهما اسما مصدر أغنيا عن المصدر القياسي كثيرًا مع وجود استخدام الأسماء المشتقة.

١١. ما كان مفتتحُ المصدر منه غير مفتتح الفعل:

١ـ ثاب يثوبُ مثابةً قال تعالى: ﴿مَثَابَةً لِلنَّاس﴾ [البقرة: ١٢٥]، مصدر يثوبون إليه[١].

٢ــ جَرَى يَجْرِي مَجْرَى(أجرى يُجْرِى مُجْرَى)

رسا يَرْسو مَرْسىً (أَرْسَى يُرْسِي مُرْسىً). قال تعالى: **﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾** [هود: ٤١]، أي مسيرها ووقفها وهي من جرت بهم ومن قال مُجْرَاها جعله من أجريتها، أنا قال لبيد[٢]:(الكامل)

وعَمِرْتُ حَرْسًا قَبْلَ مُجَرَى داحسٍ لَوْ كان للنفس اللجوج خلودُ

ويقال: مَجْرى داحسٍ (ومُرْساها) مصدر أرسيتها أنا

٣ــ سَكَنَ يَسْكُن مسكنة قال تعالى: **﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾** [البقرة: ٦١]، المسكنة مصدر المسكين[٣].

٤ــ غَفَرَ يَغفرُ غفرانًا ومغفرة:

قال تعالى: **﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾** [البقرة: ٢٨٥]، مغفرتك أي اغفر لنا[٤].

مثال٥– نسك يَنْسُك نسكًا ونُسُكًا: قال تعالى: **﴿وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ﴾** [الأنعام: ١٦٢]، قال:(وهو مصدر نسكت، وهو تقربت بالنسائك وهي النسيكة وجمعها أيضًا نُسُك متحركة بالضمة[٥].

٦ــ ناص ينوص مناصًا:

---

(١) المجاز ١/ ٥٤. (٢) المجاز ١/ ٢٨٩.

(٣) المجاز ١/ ٤٢ وجاء في اللسان: المسكنة فقر النفس مصدر المسكين، وإذا اشتقوا منه فعلا قالوا تمسكن الرجل أي صار مسكينا انظر مادة(سكن) ٣/ ٢٠٥٦.

(٤) المجاز ١/ ٨٤.

(٥) المجاز ١/ ٢٠٩ وفي اللسان النُّسْك والنسُك، العبادة والطاعة وكل ما تقرب به إلى الله تعالى مادة(نسك) ٣/ ٤٤١٢.

قال تعالى: ﴿فَنَادَوْا وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص: ٣]، والمناص مصدر ناص ينـــوص، قال أبو النجم: (الرجز)

آسادُ غِيلٍ حِيْنَ لاَ مَنَاصُ

أي لا تحرك.

وفي هذه الأمثلة جاء المصدر على تقدير مَفْعَل أو مَفْعلة ومفتحه بالميم على غـــير مفتتح فعله مع وجود مصادر قياسية لتلك الأفعال حيث استخدم وزن مَفْعل استخدام المصادر.

٣-أبـنـيـة المصادر الربـا عيـة

ـــ " **الفِعلال والفَعْلَلَة** ": مثال: قال البعيث[١] (خِداش بن بشر مـــن مجاشـــع): (الطويل)

وَعيسٍ كَقِلْقَالِ القداح زَجَرْتُها بِمُعْتَسَفٍ بين الأجار والسَّهْلِ

(القِلْقَالُ: مصدر القلقة، وتَقَلْقُلُها خفَّتها في السير). ونلحظ هنا أنه فسر المـــصدر وذكر معه مصدرين آخرين في طريق الاختيار اللغوي.

٢ ـــ **الإفعال**: مثال ١- " الإصعاد " قال تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلَـــى أَحَدٍ﴾ [آل عمران: ١٥٣]. إذا تُصْعدون في الأرض قال الحادي[٢]: (الرجز)

قَدْ كُنْتِ تَبْكِين على الإصعادِ فاليوم سُرِّحْتِ وصاح الحادي

مثال ٢- الإيلاف ـــ قال تعالى: ﴿لإِيلافِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش: ١].

العرب تقول آلفت، وألفت[٣].

مثال ٣- الإزلال: في الحديث عن النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ أنه قال[٤].

" مَنْ أُزِلّت إليه نعمةٌ فَلْيشكر " قال أبو عبيدة: أُزِلّتْ إليه نعمةٌ، أســـديت إليـــه، واصْطُنِعَتْ عنده يقال من ذلك أَزْلَلْتُ إلى فلانٍ نعمةً فأنا أُزِلُّها إزلالاً.

ونلحظ على طريقة أبي عبيدة في سياق الشواهد أنه في المثال الأولى عندما سِيق الفعلُ الرباعي في الشاهد القرآني ذكر مصدره في الشاهد الـــشعري وفي المثـــال

---

(١) النقائض ١ ١٣٤. (٢) المجاز ١/ ١٠٥. (٣) المجاز ٢/ ٣١٢.

(٤) غريب الحديث للهروي ١/ ٢٠٠.

الثاني ذُكِر المصدر في الشاهد القرآني فساق قول العرب في فعل المصدر وفي الشاهد الثالث الحديث الشريف ساق المصدر وفعله معًا هذا هو منهج أبي عبيدة في أبنية المصادر كما هو منهجه في أبنية الأفعال.

٣ـ الفِعال والمفاعلة:

انشغل أبو عبيدة بهذين البناءين وراوح بينهما فإذا ذُكِرَ أحدهما في شاهد لغوي كان حريصًا على ذكر البناء الآخر فهما متصاحبان عنده في معظم الشواهد:

الأمثلة[1]: قال الفرزدق:(الكامل)

مُتَجَرِّدِين على الجياد عَشِيَّةً عُصُبًا مُجَلِّحةً بدارِ ظَلَامِ

قال: شبهها بطير قد رأت ظُلْمةً فهي تبادر إلى أوكارها بدارا مصدر، ويروي: مبادرة بِدارَ

٢ ـ وقال أيضًا[2]: (الطويل)

لكان ابنها خيرًا وأهون روعةً عليها من الجُرْبِ البطيء طرورُها

ويروي البطاء طرورُها. قال تعالى: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، أي لا شك فيه أنه لازمٌ في ذي الحجة، هذا فيمن قرأ(جدالَ) ومن قال لا جدالٌ في الحج من المجادلة؟[3].

٣ ـ وقال أيضًا:[4] (الوافر)

يئسن من اللحاق بهن منكم وقد قطعوا بهنَّ لِوَى جِدابا

وروي " وقد قطعوا بهنَّ مَعًا جِذابا " وقال: أي مجاذبة.

مثال: قال (الوافر)

فيخبره مكان النون مني وما أعطيته عَرَقَ الخلال

أي المخالة.

٤ـ وقال أيضًا[5]: (الوافر)

ولِكنَّ اللئام إذا هجوني غضبت فكان نصرتي الجهارا

---

(١) النقائض١/ ٢٦٨.
(٢) المرجع السابق ١/ ٥٢٤.
(٣) المجاز ١/ ٧٠.
(٤) النقائض ١/ ٤٧٧.
(٥) المرجع السابق ١/ ٢٥٧.

قال: أي أجاهرهم لا أخاتلهم يقال جاهرته جهارًا ومجاهرة ...

٥ ـــ قال جرير[1]: (الوافر)

أطامعةٌ قيون بني عقالٍ بعقبي حين فَاتَهُمُ حِضاري

قال: حضاري محاضرتي

٦ ـــ وقال أيضًا[2]: (الطويل)

بأمضى من الحجاج في الحرب مُقْدِما إذا بَعْضُهم هاب الخياض فَعَرَّدا

قوله: الخياض يعني المخاوضة

مثال: قال: (الوافر)

فيخبره مكان النون مني وما أعطيته عَرَقَ الخلال

أي المخالة[3].

٧ ـــ وفي قوله تعالى: ﴿وَرَابِطُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، قال الأخطل[4]:(البسيط)

ما زال فينا رباط الخيل معلمة وفي كليب رباط اللوم والعار

٨ ـــ وفي قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ [البقرة: ١٣٧]:

قال: مصدر شاققته وهو المشاقة أيضًا وشاقّه باينه قال النابغة الجعدي[5]: (الطويل)

وكان إليها كالذي اصطاد بَكْرها شِقاقا وبغضًا أَوْ أَطَمَّ وأهجرا

٩ـــ قال جرير[6]: (الوافر)

أتنسونَ الزبيرَ وَرَهْنَ عَوْفٍ وعوفًا حين عَرَّكُمُ فجارا

أي جار عليكم في الحكم، ويروي فِخارًا ؛ أي مفاخرة.

١٠ـــ وقال جرير أيضًا[7]:(الكامل)

والرِّدْفِ إذْ مَلَكَ الملوكَ ومن له عِظَمُ الدسائع كُلَّ يوم فِضالِ

فِضال، أي مفاضلة ومفاخرة

---

(١) المرجع السابق ١/ ٢٤٧.
(٢) المرجع السابق ١/ ٤٨٧.
(٣) المجاز ١/ ٣٤١.
(٤) المجاز ١/ ١١٢.
(٥) المجاز ١/ ٥٨.
(٦) النقائض ١/ ٢٥٤.
(٧) المرجع السابق ١/ ٢٩٨.

١١ــ وقال الفرزدق[١]: (الوافر)

ولما مُدَّ بين كليبٍ وبيني غايةٌ كَرِهوا النِّصابا

أي المناصبة.

١٢ــ وقال غسان بني ذهيل[٢]: (الطويل)

رَمَيتَ نِضالا عن كُلَيبٍ فَقَصَّرتْ مراميك حتى عاد صِفْرًا حفيرُها

قال: النِّضال: أن تَرْمي وتُرْمَي، والمناضلة في معناه.

٤ــ **الافتعال:**

في قوله تعالى: ﴿**وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ**﴾ [الأنعام: ١١٣]، مجاز الاقتراف، القرفة والتهمة والادعاء، قال رؤبة[٣]: (الرجز)

أعيا اقترافُ الكذبِ المقروفِ تَقْوى التَّقيِّ وعِفَّة العفيفِ

٥ــ **التَّفَعُّل:** في قوله تعالى: ﴿**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ**﴾ [البقرة: ٢٢٨]، قال: التَّربُّصُ، أن لا تقدم على زوجٍ حتى تقضي ثلاثة قروء[٤]. مثال: تَهَبَّط تَهَبُّطا رُوِي عن أبي عبيدة التَّهَبُّطُ في اللسان[٥] على لفظ المصدر

٦ ــ **التفعيل:** في قوله تعالى: ﴿**وَنُقَدِّسُ لَكَ**﴾ [البقرة: ٣٠]، قال: التقديس التطهير[٦].

٧ــ **الاستفعال:** قال تعالى: ﴿**سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [الأعراف: ١٨٢]، قال الاستدراج: أن تأتيه من حيث لا يعلم[٧].

٨ ــ المصادر المبنية بزيادة التاء

١ــ مصادر ذات أصل ثلاثي

مثال ١ – ملكوت قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ [الأنعام: ٧٥]، قال:(أي مُلْكَ السماوات، خرجت مخرج قولهم في المثل

---

(١) المرجع السابق ١/ ٤٦٦. (٢) المرجع السابق ١/ ٦. (٣) المجاز ١/ ٢٠٥.
(٤) المجاز ١/ ٧٤. (٥) مادة(هبط) ٦/ ٢٤٠٦. (٦) المجاز ١/ ٣٦.
(٧) المجاز ١/ ٢٣٣.

رهبوتٌ خيرٌ من رحموت، أي رهبة خير من رحمة والملك والملكوت واحد)[١].

مثال٢– تُدْرَء: قال جرير[٢]: (الطويل)

وإنْ حَلَّ بَيْتِي فِي رَقَاشٍ وَجَدْتَنِي إِلى تُدْرَءٍ مِنْ حَوْمِ عِزٍّ قُمَاقِمِ

وقوله(تُدْرء) أي دافع يدفع عني، قال وإنما هو تُفْعل من درأتُ يعني دفعت والتاء زائدة فيه قال الراجز:

كَمْ لِي مِنْ ذي تُدْرءٍ مِذَبِّ يَغْرِفُ مِنْ ذِي حَدَبٍ لا يُوْبي(٣)

٢ــ المصادر الرباعية (التِّفْعَال)

مثال١ – التبيان

قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، قال: أي بيانا[٤].

مثال٢ – تِلْقاء قال تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٢٢]، قال: يقال فَعَل ذلك من تِلقاء نفسه، ودار فلان تِلقاء دار فلان[٥].

مثال٣– التجفاف قال بَدْرُ بن حمراء: (الطويل)

وَفَيْتُ وَفَاءً لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَه بِتِعْشَارَ إذ تحنو إليَّ الأكابر

قال[٦]: (تِعْشار، وتِبْراك، وتقصار، وتجفاف، وتلقاء) قال أحد الرواة معلقًا[٧]: (تِعْشار ماء لبني ضبة وتِبْراك ماء لبني العنبر وتِقْصار هو القلادة وقال أما المصادر فهي تلقاء وتبيان).

ونلحظ أن بعض تلك المصادر تستخدم استخدام الأسماء المعينة مثل " تِعْشار وتِبْراك، وتقصار " وبعضها يستخدم استخدام الظرف مثل " تلقاء" وبعضها ظَلَّ على مصدريته مثل تبيان وتجفاف وإن كان في سبيله أن يلحق بنظائره.

ويمكن أن نسجل على المصادر الرباعية وما فوقها ما يلي:

---

(١) المجاز ١/ ١٩٧ و ١٩٨ و ٢/ ١٦٥. (٢) النقائض ٢/ ٧٥٨ وانظر الممتع ١/ ٢٧٤.

(٣) دو حدب أي بحرٌ دو أمواج عالية لا يُوبي أي لا ينفد.

(٤) المجاز ١/ ٣٦٦. (٥) المجاز ٢/ ١٠١. (٦) النقائض ١/ ١٩٧.

(٧) المرجع السابق ١/ ٤٤٥ وقد ذكر ابن عصفور أن الكلمات المذكورة تدخل في بناء المصادر المزيدة بالتاء انظر الممتع ١/ ٢٧٤ و ٢٧٥.

١ــ كانت طريقة أبي عبيدة أن يذكر الشاهد اللغوي موضع البيان فإن كان بـــه المصدر ذكر فعله وإن كان المذكور الفعل ذكر مصدره وإن وجدت قراءة أو روايـــة (في الشعر) تساند ما يقصد إليه من بيان المصادر وأفعالها عمد إلى ذكرها.

٢ــ عاقب بين بنائي فِعال ومفاعلة لدرجة المصاحبة اللغوية.

٣. المصدر واسم المصدر

نعرض لمجموعة من النصوص التي ذكر فيها لفظة "اسم"، وعلق عليها ونـــستخلص من ذلك فكرته حول اسم المصدر وعلاقته بالمصدر وغيره من المشتقات.

أ ــ المصدر واسم المصدر: اختلاف الصيغة:

مثال ١ – قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَان﴾ [العنكبوت: ٦٤]، قال[1]: (ومجازه الحياة والحيوان واحد، ومنه قولهم: نهر الحيوان؛ أي نهر الحياة، ويقال: حييت حيًّا، على تقدير: عييت عيًّا، فهو مصدر، والحيوان والحياة اسمان فيما تقول العرب؛ قال العجاج: (الرجز)

وَقَدْ ترى إذ الحياةُ حَيٌّ

١ــ أن المصدر يأتي على وزن فَعْل (حي)، واسم المصدر يأتي على وزن فعلة (حياة)، وعلى وزن فعلان (حيوان).

٢ــ يشبه تمثيله الكوفيين في أصل الاشتقاق، حيث يبدأ بالفعل وينتهي بالمصدر، ثم يجعل أسماء المصادر مشتقة.

مثال ٢ – قال تعالى: ﴿إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، قال[2]: (أي إدراكه وبلوغه، ويقال: أنى لك أن تفعل يأْني أنيا، والاسم: إني وأنى أبلغ وأدرك، قال: (الوافر)

تَمَخَّضَتِ المَنُونُ لَهُ بيوم أنى وَلِكُلِّ حَامِلَةٍ تمامُ

ــ وفي هذا المثال تتضح رؤية أبي عبيدة، حيث بدأ بالفعل الماضي وانتهى بالمصدر، وجعل الاسم مشتقا منه ــ أي المصدر ــ ثم جعل شاهده على الفعل الماضي.

---

(١) المجاز ١١٧/٢.

(٢) المجاز ١٤٠/٢، وقد ذكر في اللسان مرويا عن ابن الأنباري والزجاج، وهو نص كلامه في المجاز، كما نرى. اللسان (أ ن).

مثال٣– قال جرير: (الكامل)

عَمِرتْ مُكَرَّمَةُ المِسَاكِ وَفَارَقَتْ ما مَسَّها صَلَفٌ وَلاَ إِقْتَارُ

قال: (المساك اسم الإمساك، ويقال في مثل: (ما فيه بَيْعٌ ولا إمساك)[1]، ونقل عنه في غريب الحديث[2] (رشح هالع وجبن خالع، قال: والاسم منه الهالع، والهلاع وهو أشد الجزع[3]، كما جاء عنه[4] (هو ممتون ومملوس قد متن وملس، والاسم منه المتن والملس).

وفي تلك النصوص الدلائل الآتية:

١ــ اسم المصدر أقل في عدد حروفه من المصدر.

٢ــ الاسم يعني أحيانا الصفة المشبهة (الهلاع).

٣ــ اسم المصدر يأتي بمعنى اسم المفعول، واشتقاق اسم المفعول من الفعل المبني للمجهول.

ب. المصدر واسم المصدر: اتفاق الصيغة

مثال١– قال تعالى: ﴿**وَإِذْ هُمْ نَجْوَى**﴾ [الإسراء: ٤٧]، قال: (وهي مصدر من ناجيت، أو اسم منها، فوصف القوم بها، والعرب تفعل ذلك كقولهم: إنما هو عذاب وأنتم غم)[5]، وفي قوله تعالى: ﴿**وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ**﴾ [التوبة: ٣]، قال: (ومجازه: علم الله، وهو مصدر، واسم من قولهم: آذنتم؛ أيَ: أعلَمتم)[6]، وفي قوله تعالى: ﴿**فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ**﴾ [التوبة: ٤٠]، قال: (مجاز فعلية من السكون، قال أبو عريف الكلبي[7]: (الكامل مدور)

لله قبر غالها ماذا يجن لقد أجن سكينة ووقارا

وفي هذه الشواهد نلحظ ما يلي:

ــ اسم المصدر والمصدر يتشابهان على مستوى الاستخدام اللغوي، حيث استخدم اسم المصدر استخدام المصدر من قبيل المجاز العقلي.

---

(١) النقائض ٨٤٨/٢، والبيت السابق نصه، وكذلك كلام أبي عبيدة منسوب في اللسان لابن بري واللحياني. انظر: اللسان (م س ك) ٥/ ٤٢٠٤.

(٢) غريب الحديث للهروي ٤٥٢/١. (٣) اللسان (هـ ل ع) ٤٦٨٥/٦.

(٤) النقائض ٩/١. (٥) المجاز ٣٨١/١. (٦) المجاز ٢٥٢/١.

(٧) المجاز ٢٥٤/١، ٢٥٥.

ـ اسم المصدر جاء من فعلين رباعيين، و لم يأت على أبنية المصدر القياسية "نجي" من "ناجيت"، و"أذان" من "آذنت"، فهما يختلفان في طريقة البناء.

مثال ٢– قال الفرزدق[١]: (الطويل)

إذا ذُكِرَتْ أَيَّامُهُم يَوْمَ لم يقَم لِسلَّة أسياف الضّبابِ نَفِيرُها

قال: (السَّلَّة: الاسم، والسلَّةُ الفعلة الواحدة، والسلة السَّرق[٢]، وفي أمثالهم: النجاة في السلة، والهلكة في السلة، يعني في استلام السيوف، وأنشد[٣]: (الرجز)

هذا سلامٌ كاملٌ وألّةْ وذو غِرارينِ سريع السَّلّةْ

ونلحظ في هذا النص أنه قد عمد إلى اسم المصدر (السلة) ومصدره من: سل يسل سلا، ثم ذكر ما يحمل عليه من مشتقات فاستخدمت بمعنى:

ـ اسم علم على معين "السرقة" الخلة تدعو إلى السلة"[٤].

ـ اسم مرة في عبارة "الفعلة الواحدة".

ـ صيغة مبالغة " السَّرِق"[٥] بالإضافة إلى المصدر "استلال السيوف"، واسم مصدر "النجاة في السلة".

وبالنظر إلى كل ما تقدم إلى مجمل الأمثلة لأبي عبيدة في علاقة المصدر واسم المصدر نتبين النتائج التالية:

١ـ طريقة سياق الأمثلة تشبه طريقة الكوفيين، حيث يبدأ بالفعل الماضي ثم المضارع ثم المصدر، ومن المصدر يشتق اسم المصدر وبقية المشتقات.

٢ـ الاسم عنده يعني اسم الذات، واسم المعنى واسم المصدر والصفة المشبهة وصيغة المبالغة، واسم المرة[٦]، فالاسم مشتق من المصدر، أو محول عن وصف[٧] بالإضافة إلى الأسماء المرتجلة.

---

(١) النقائض ٥٢٧/١.

(٢) جاء في اللسان: السلة السرقة الخفيفة، ويقال: في بني فلان سلة، ويقال للسارق: السلال. يقال وروى القاسم ابن سلام عن أبي عبيدة وأبي عمرو مثل ذلك. انظر: غريب الحديث ١٢٣/١.

(٣) منسوب في اللسان لحماس بن قيس بن خالد الكنابي. مادة (س ل ل).

(٤) ذكرها اللسان تحت مسمى "السرقة الخفيفة". (٥) ذكرها اللسان تحت لفظ "السلال".

(٦) سنذكر بعض تلك المشتقات وطرق بنائها عنده لإظهار منهجه في هذا الجانب.

(٧) في دراسة الألقاب والأسماء والكنى عند أبي عبيدة تتضح تلك العلاقة.

ثالثًا - أبنية الأسماء المشتقة

١ـ بناء صيغة اسم الفاعل واسم المفعول:

يبنى اسم الفاعل من الفعل الثلاثي على تقدير " فاعل " ومن غير الثلاثي على تقدير مُفْعِل أو ما يشبهه

مثال ١ – قال تعالى: ﴿بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[الأنفال: ٩].

قال: (مجازه مجاز فاعلين من أردفوا، وبعضهم يقول: ردفني، ومن قرأها بفتح الدال وضعها في موضع مفعول)[١]، ويفهم من هذا المثال أن اسم الفاعل من الثلاثي "ردف ".

قد يأتي على تقدير " فاعل " أو مُفْعِل بحمله على الفعل الرباعي وكذلك اسم المفعول يأتي على تقدير "مفعول" من الثلاثي " ومُفْعَل " من الرباعي وقد التزم هذا النهج الذى ارتآه في مواضع مختلفة من توظيف اسم الفاعل واسم المفعول فهو عندما يتأول بعض المشتقات باسم الفاعل أو اسم المفعول يراعى البناء القياسيّ ويراعى الاستخدام فعندما يبين أن صيغة " أليم " بمعنى اسم الفاعل يقول: (أي موجع من الألم وهو في موضع مُفْعِل)[٢] وكذلك في بقية الصيغ تعرض لها مسمع ومبصر[٣] وكاظم[٤] ومعاند[٥]، ومبتدع[٦] وراحم[٧] وفي اسم المفعول مُحْرَض[٨] ومدكوك[٩] ومأموم[١٠] ومحنوذ[١١] ومحكم[١٢] ومحمود[١٣] ٠٠٠٠ إلى آخره

٢ـ بناء اسم الفاعل من الفعل الأجوف:

اسم الفاعل من قام، قائم[١٤] ومن دام دائم[١٥] ومن هاع هائع، ومن لاع

---

(١) المجاز ١/ ٢٤١ وفي قوله تعالى: { فاحتمل السيل زبدًا رابيًا } الرعد / ١٧ قال (مجازه: فاعل من ربا يربو) المجاز ١/ ٣٢٨.

(٢) المجاز ١/ ٢٣٢.
(٣) المجاز ١/ ٢٨٢.
(٤) السابق ١/٢٨٢.
(٥) السابق ٢/ ٢٧٤.
(٦) السابق ١/ ٥٢.
(٧) السابق ١/٢١.
(٨) المجاز ١/ ٣١٦.
(٩) السابق ١/ ٤١٥.
(١٠) النقائض ١/ ١٠٩.
(١١) المجاز ١/ ٢٩٢.
(١٢) إعراب القرآن النحاس ٢/ ٢٤٤.
(١٣) المجاز ١/ ٢٩٣.
(١٤) المجاز ١/ ٧١.
(١٥) المرجع السابق ١/ ٤٠٤.

لائع[١]، ومن لاث لائث[٢] وهذا هو القياس عنده،لكنه بين أنه قد يأتي مخففًا بحذف الهمزة وحذف حركتها فيأتي – سماعيًا – مرفوعًا نحو

(هاعٌ و لاعٌ)[٣] هـ ـَ ـَ ء ـِ ع ـُ ن ← هـ ـَ ـَ ـَ ع ـُ ن ←

هـ ـَ ـَ ع ـُ ن

وتفسيره صوتيًّا

ـ حذف صامت الهمزة، حذف حركة الهمزة

ـ توليد صيغة جديدة

ولاحظ أبو عبيدة طريقة أخرى للعرب في إنتاج صيغة اسم الفاعل

من الفعل الأجوف ونفسرها بقانون القلب المكاني عنده مثال: قال تعالى: **﴿عَلَى شَفَا جُرُف هَار﴾** [التوبة: ١٠٩]، قال: (هارٍ مجازه: هائر، والعرب تنزع هذه الياء من فاعِل ، قالَ العجّاج: (الرجز)

لاثٍ بـه الأشاء والعُبْرِيُّ

أى لائث، ويقال : كيْدٌ خابٍ أي خائب)[٤].

الخطوات[٥]:

١- هائر ولائث قلب مكان هارِيءٌ ولائِيءٌ.

٢- حذف الهمزة الواقعة آخرًا تخفيفًا (هارِيُ).

٣- تتحول الحركة المزدوجة إلي صوت انزلاقي هو الياء.

٤- تنزع العرب هذه الياء حَمْلا على الاسم المنقوص.

فتصير (هارٍ) و (لاثٍ) و (خابٍ)

٣. بناء اسم المفعول من الفعل المبنى للمجهول

جَرَت طريقة أبي عبيدة عندما يتعرّض لاسم المفعول أو الصيغ المحمولة عليه أن يذكر الفعل المبنى للمجهول الذي بنى منه وكانت عبارته على النحو التالي:

---

(١) العريب المصنف ٣/ ٦٥١ والمزهر ١/ ٤٨٠.

(٢) المجار ١/ ٢٦٩. (٣) في رواية عنه في العريب المصنف ٣/ ٦٥١. (٤) المجاز ١/ ٢٦٩.

(٥) هده الخطوات قد عالجنا أمثلة لها في المبحث الصوتي وكذلك القوانين التي تحكمها.

الأميم، هو المأموم الذي شُجَّ آمةً[١]حسير، يعني حسرت ومعنى حسير، أى محسور[٢]خليف، مُخْلَف من أُخلِفْتُ الموعدَ[٣] والمظهور، ما أُظْهِر به[٤]، والشعيرة ما أُشْعِرَ لموقف أُعْلِمَ لذاك[٥].

وصهير، أي مصهور[٦] من قولة تعالى: ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾ [الحج: ٢٠].

وقد أوضحت البحوث المقارنة للغات السامية [٧] أن المشتقات إذا استخدمت استحدام اسم المفعول فإنها تشتق من الفعل المتعدى المبنى للمجهول ففي العبرية مثل māšiyah بمعنى ممسوح أو (مُسِحَ) وكلمة بمعنى مأسور (أُسِرَ)

وفى السريانية[٨] kĕṭil بمعنى مقتول (قُتِلَ)، sĕlōb̲ بمعنى مصلوب.

وفى الحبشية[٩] seh̲ūf معنى مكتوب (صُحِفَ) èsūr بمعنى مأسور.

٤ .بناء اسم المفعول من الفعل الأجوف:

اهتم أبو عبيدة ببعض الصيغ القديمة أو المتروكة والتي استخدمها بعض الشعراء، ولكنه كان يدلل بها على تطور الصيغ الأحدث منها.

مثال: قال تعالى ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٦٠]، قال من قرأها مَثُوبَةً فجعل تقديرها مفعولة، بمنـزلة مصنوفة، ومعوشة، كما قال: (الطويل)

وكنت إذا جاري دعا لِمَصُوفَةٍ أشمرُ حتى يَنْصُفَ الساقَ مِئزري

فخرج مخرج ميسور ومعسور)[١٠] ويمكن أن نحلل رؤية أبي عبيدة في هذا النوع من البناء بالخطوات التالية:

مثوبة من ثاب يثوب، وبناء مفعول من ثُوِبَ

تقدير مفعول مَثْوُوبَة

١ ـــ م ـــَ ث و ـــُ ـــُ ب ـــَ هـــ

---

(١) النقائض ١/ ١٠٩. (٢) المرجع السابق ١/ ٥١٦. (٣) المجاز ١/ ٢٧٣.

(٤) السابق ٢/ ٧٧و ٧٨. (٥) المرجع السابق ١/ ٦٢. (٦) النقائص ١/ ٥١٠.

(٧) انظر: الوصف في اللغة العربية (رسالة دكتوراه عين شمس) ص ١٠٨) ١١٢.

(٨) المرجع السابق ١١٠. (٩) المرجع السابق ١١٢. (١٠) المجاز ١/ ١٧٠.

نقل حركة الضم من عين الكلمة إلى الحرف الساكن قبلها

٢ ـــ م ـــَ ث ـــُ و ـــُ ب ـــَ هــ

وقعت الواو (شبه صامت) بين حركتين من جنسها فحذفت.

٣ ـــ م ـــَ ث ـــُ ـــُ ب ـــَ هــ (مَثوبة)

معوشة: (بناء مفعولة)

١ ـــ م ـــَ ع ي ـــُ ـــُ ش ـــَ هــ (معيوشة)

٢ ـــ م ـــَ ع ـــُ ي ـــُ ش ـــَ هــ

٣ ـــ م ـــَ ع ـــُ ـــُ ش ـــَ هــ (معوشة)

وقد تؤثر الياء في حركتي الضم فتحولها إلى الكسر في تأثير رجعي وتنشأ كسرة طويلة بعد حذف الياء وتنتج الصيغة الفصيحة

٣ ـ م ـَ ع ـِ ـِ ش ـَ هـ

(٥) بناء صيغ المبالغة:

مثال ١ – قال تعالى: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ**﴾ [التوبة: ١١٤]،

قال: (مجازه مجاز فَعَّال من التأوه ومعناه متضرع شفقًا وفرقًا.

قال المثقّب العبدى[١]: (الوافر)

إذا ما قُمْتُ أرحلها بليلٍ تَأَوَّهُ آهة الرجل الحزين

مثال ٢ – قال تعالى:﴿**إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ [التوبة: ١١٧]، (رءوفٌ) فعول من الرأفة، قال كعب بن مالك الأنصاري [٢]:(الوافر)

نطيع نبيَّنا ونطيع ربًّا هو الرحمن كان بنا رءوفا

وقال: (الوافر)

نرى للمسلمين عليك حقًّا كفعل الوالد الرءوف الرحيم

٦- بناء بعض الصيغ المعدولة:

أ ـــ صيغة (فَعِيل)

---

(١) المجاز ١/ ٢٧٠.

(٢) المجاز ١/ ٢٧٠ و ٢٧١.

١ـ العدول عن صيغة (فعيل) إلى صيغة (فُعال)[1]

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، قال: (مجازه مجاز عجيب، وقد تحول العرب فعيلاً إلي فُعال قال العباس بن مِرْداس: (الرجز)

إنَّكِ عينٌ خذِلَتْ مُضَاعة تبكي على جار بن جُداعةْ
أين دُريدٌ وَهْوَ ذو براعةْ حتَّى تروه كاشفًا قِناعَهْ
تعدو به سَلْهبَةٌ سُراعةْ

أي: سريعة[2].

٢ـ العدول عن صيغة (فعيل) إلى صيغة (فعول)[3]

قال تعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥]، قال: (عنود وعنيد وعاند كلها واحد)[4].

(٣) العدول من صيغة (فعيل) إلى صيغة (فعلان)

قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١]، الرحمن مجازه: ذو الرحمة، وقد يقدرون اللفظين من لفظ واحد، والمعنى واحد ، وذلك لاتساع الكلام عندهم، وقد فعلوا مثل ذلك فقالوا نَدْمان ونديم، قال بُرْج بن مُسْهر[5] الطائي (جاهلي): (الوافر)

ونَدْمانٍ يزيدُ الكأس طيبًا سَقَيْتُ وقد تَغَوَّرت النجوم

وقال النعمان بن نضلة – عدوى – (من عدى قريش): (الطويل)

فإنْ كُنْتَ نَدْماني فالأكبر اسقني ولا تسقني بالأصغر المُتَثَلِّم

---

(١) فسرنا ذلك في المبحث الصوتي بالمعاقبة بين الحركات الضيقة والمتسعة في اتجاه الفتح والضم (المبحث الصوتي).
(٢) المجاز ٢/ ١٧٦ و ١٧٧.
(٣) وتفسير ذلك بقانون المعاقبة بين الكسرة الطويلة والضمة الطويلة في إطار الحركات الضيقة. (المبحث الصوتي).
(٤) المجاز ١/ ٣٤٠.
(٥) انظر المجاز ١/ ٢١ و ٢٢

وقال بُريق الهُذلي: (الطويل)

رُزينا أبا زيدٍ ولا حيَّ مِثلَهُ وكان أبو زيدٍ أخي ونديمي

وقال حسان بن ثابت: (المتقارب)

لا أَخْدِشُ الخدش ولا يخش نديمي إذا انتشيت يدي

ونلحظ على هذه الصيغة أنه قد نسب الشعراء لقبائلهم وذكر شواهد متساوية لكل ليدلل على أن العدول يحدث بالتبادل بين الصيغتين فكلاهما يؤديان معنى الصفة المشبهة.

٤ـ العدول من فعيل إلى فُعْلة

قال أبو عبيدة[1]: خُلّة مصدر الخليل، تقول فلان خُلَّتي أي خليلي، قال أوفى ابن مطر المازني: (المتقارب)

ألا أبلغا خُلَّتي جابرا بأن خليلك لم يُقْتل

(٥) العدول من فعْل وفَعْل إلى فعيل

مثال ١ – قال تعالى: ﴿**لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا**﴾ [الأنبياء: ١٠٢]، قال: الحِسُّ والحسيس واحد،

قال عَبيد بن الأبرص[2]: (مخلع البسيط)

فاشتال وارتاع من حسيسها وفَعْلَه يفعلُ المذءبُ

مثال ٢ – قال الشاعر[3]: (الطويل)

مقاديمُ لم يذهبْ شعاعًا عزيمها

قال: عزيمها رأيها وعزمها على الأمر

ب. صيغة فاعل

١ـ العدول من صيغة (فاعل) إلى بناء (فوعل)

مثال ١ – قال جرير: (الكامل)

وزعمْتَ أمَّكُمُ حصانًا حُرَّةً كذبا قفيرةُ أُمُّكُمْ والقوبع[4]

---

(١) المجاز ١/ ٧٨. (٢) المجاز ٢/ ٤٢. (٣) النقائض ١/ ١١٧.

(٤) القوبع: قلنسوة من خوص تلبسه النساء العجائز والدُّباء والحشان انظر النقائض ٢/ ٩٧٥.

(وقَوْبَعٌ من قابع، كما جُعِل خَولَع من خالع)

قال أيضًا[1]: (الكامل)

لا يُعْجِبنَّكَ أن ترى لمجاشعٍ جَلَد الرجال ففي القلوب الخولع

وقال أيضًا[2]: (الكامل)

كانت قفيرةُ بالقعودِ مُرِبَّةً تبكي إذا أخذ الفصيلَ الروبعُ

قال: والروبع داءٌ يصيب الفصْلان فتضعف لذلك والملاحظ في هذه الصيغة هو ورودها عند جرير وتتبع أبي عبيدة لها وقد رأينا ملاحظاته في زيادة التفصح في المبحث الصوتي عند جرير خاصةً ويسجل هنا العدول من صيغة فاعل إلى (فوعل).

٢ ـ العدول من اسم الفاعل إلى أفعل التفضيل

مثال: قال: (الطويل)

لعمرك ما أدري وإني لأوجلُ على أيِّنا تعدو المنية أولُ

قال: يُوضَع [أفعل] في موضع الفاعل أي وإني لواجل

وقال أيضًا: (الطويل)

تَمنّى رجال أن أموت وإنْ أمُتْ فتلك سبيلٌ لستُ فيها بأوحد

أي: بواحد [3].

٣ ـ العدول من اسم الفاعل إلى الصفة المشبهة

قال تعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

قيوم هو فيعول، القائم هو الدائم الذي لا يزول[4].

ج ـ العدول من فعال إلى فعْل

قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا﴾ [الأعراف: ٢٦]، قال: (الرياش والريش واحد وهو ما ظهر من اللباس والشارة)[5].

---

(١) المرجع السابق ٢/ ٩٦٧ وجاء في الحديث (جُبن خالع) بمعنى أنه يخلع القلب انظر غريب الحديث للهروي ١/ ٤٥٢ عن أبي عبيدة.

(٢) المرجع السابق ٢/ ٩٧٦.

(٣) المجاز ٢/ ١٢١.

(٤) المجاز ١/ ٧٨.

(٥) المجاز ١/ ٢١٣.

ويمكن في ضوء بعض المعطيات تفسير ملاحظات أبي عبيدة في ظاهرة العدول بين الصيغ:

أ ـــ **معطيات صوتية:**

١ـــ العدول عن طريق زيادة حركة

مثل التَحوُّل من فِعْل إلى فِعال (+ فتحة طويلة)

فَعْل إلى فَعِيل (+ كسرة طويلة)

٢ـــ العدول عن طريق زيادة حركة مع المعاقبة

مثل التحول من صيغة إلى صيغة.

من فُعْل إلى فَعال (المعاقبة بين الضم والفتح + فتحة طويلة)

فِعْل فَعيل (المعاقبة بين الكسر والفتح + كسرة طويلة)

٣ـــ العدول عن طريق المعاقبة (الحركات الضيقة)

فَعِيل ← فَعُول (المعاقبة بين الكسرة الطويلة والضمة الطويلة)

٤ـــ العدول عن طريق المعاقبة (الحركات الضيقة والمتسعة)

فَعِيل ← فُعَال

ب ـــ معطيات متعددة:

ـــ من فاعل ← أفعل ـــ أسباب دلالية

ـــ من فاعل ← فوعل ـــ قافية الشعر

ـــ من فعِيل ← فَعْلان أسباب دلالية

(تخصيص بالوصف ـــ تخصيص بالاسمية)

ملحوظة: المعطيات الصوتية هي نتاج الدراسة الصوتية عند أبي عبيدة وقد عالجناها في الباب الأول من الكتاب.

---

(١) المجاز ١/٣٤٠.

الْفَصْلُ الثاني- تَصْرِيفُ الاسْمِ

أولا- التعريف والتنكير [الألقاب والكنى]

ثانيا- التذكير والتأنيث

ثالثا- الإعراب والبناء [الممنوع من الصرف ــ المقصور والممدود]

رابعا- الصرف

ــ التصغير

ــ النسب

تصريف الاسم

الألقاب والكُنى

اهتم أبو عبيدة بطوائف مختلفة من أسماء الأعلام وتندرج الألقاب والكُنى في ذلك الاهتمام، لكنَّ عنايته بما كان منها نبزًا — أوفرُ وأكثر ! فاللقب، عنده، إنْ كان مرادًا به الذمَّ والتعيير، أو الضعة والتحقير فهو نبز وهذا المعنى هو المذكور في قوله تعالى: **﴿وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ﴾** [الحجرات: ١١]، وقد ارتاب العلماء المعاصرون لأبي عبيدة وكذلك اللاحقون — في سر انشغال أبي عبيدة بالأنباز والمثالب حيث يُظن له مؤلفان في هذين الموضوعين[١] وفسّروا ذلك بنزعة شعوبية معادية للعرب تسيطر على فكر أبي عبيدة[٢] ولكنَّ البحث وجد مبررًا يخلص أبا عبيدة من هذه التُّهمة بعض التخليص[٣]؛ وهو ارتباط أبي عبيدة برواية النقائض وشرح أبياتها وأحداثها وألفاظها وفي النقائض تحتشد الأنباز والمثالب والتعيير[٤] حيث تجري على ألسنة الشعراء؛ وترتيبًا على ذلك كانت المادة اللغوية سببًا مباشرًا في عناية أبي عبيدة بتلك المسألة[٥] وقد شرح أبو عبيدة لنا هذا الارتباط بين فكرة المثالب والهجاء في قول جرير[٦]: (الكامل)

أَفَيَنْتَهُونَ وَقَدْ قَضَيْتُ قَضَاءَهم أَمْ يَصْطَلُونَ حَرِيقَ نَارٍ تُسْفَعُ

قال: (أراد، أن شعره كالنار تُغَيِّر وجوههم لما يسمعون من هجائي إياهم، وذكرى مثالبهم)

---

(١) الأسار صرّح به ابن دريد في الجمهرة انظر العققة والبررة ٣٣٨. (المثالب) منسوب إليه انظر الكناية والتعريض للثعالبي ١٠٦.

(٢) ناقش الدكتور نهاد الموسي هذه القضية باستفاضة وتوصَّل إلى أنه لم يكن متعصبًا على العرب، واستدل على ذلك بكراهية أبي عبيدة الشديدة للعادات السيئة التي كان يقلد فيها العرب العجم أما تأليفه في مثالب العرب فاستدل باتجاه بعض العرب أنفسهم بالتأليف في بخلاء العرب ولصوص العرب ونحو ذلك انظر: (أبو عبيدة) ص ٧٢ — ٨٠.

(٣) ربما حدث نوعٌ من ردّ الفعل تجاه بعض العرب الذين أسرفوا في النعرة العربية أو لما كانوا ينبذونه به من أنباز مثل الخوزي أو سُخّت ونحو ذلك، وبخاصة إذا علمنا بعض طباعه الشخصية الحادة مما يكون قد ندر منه ما أخذ عليه تُوُسِّع فيه انظر ما يدل على هذا المعنى في أخبار النحويين البصريين ٦٨.

(٤) انظر تعليقاته التي تربط بين الهجاء والتعيير بالمثالب في النقائض ٢/٨٦٤ و ٩٧٦.

(٥) سنرى ذلك من خلال التطبيقات.

(٦) النقائض ٢/٩٦٦.

وأورد خبرًا عن الفرزدق يقول فيه[١] (وقد استغاث بي عمي شبّه بـن عقـال "، ولست أعرف مثالبهم، ولا ما يهجون به ...) ثم قال: (فأتوه[٢] بصحيفة فكتب فيها المثالب التي هجاهم بها في قول القصيدة التي يقول فيها[٣]: (الطويل)

وَنُبِّئْتُ ذا الأهدام يعوي دونه من الشَّأْمِ زرّاعاتها وقصورها

ونلحظ في هذا المثال أنه ربط بين المثالب والهجاء

واللقب الذي بني عليه القصيدة " ذا الأهدام " ويقوي هذا التفسير الـذي يقدمـه البحث أن معظم الألقاب التي نعالجها هنا مصدرها النقائض وبخاصـة الأنبـاز، أمـا الألقاب الطبيعية العامة فقد نثر طرفًا كبيرًا منها في كتابه الديباج[٤] ويبدو لي أن فكر المثالب والأنباز قد انطلق من النقائض ثم فصله في بحوث مستقلة بعد ذلك ونعـرض لطائفة من الألقاب والكنى كما عرضها أبو عبيدة ونرتبها على حـروف الهجـاء ثم نسجل ما نلاحظه في هذا الجانب:

أولاً- ما كان لقبًا على اسم شخص

١ــ الأحيمر[٥]: واسمه، عبد الله بن الحارث بن عاصم ..... بن يربوع[٦].

٢ــ الأهوج[٧]: يعني وكيع بن أبي سُود من بني تميم[٨] .

٣ــ الخَطَفِيُّ: واسمه، حذيفة بن بدر بن سلمة؛ وإنما سمـي الخَطَفـيُّ لقولـه[٩]: (الرجز)

وعَنَقًا باقي الرَّسيم خِيْطَفا

---

(١) أي الفرزدق.

(٢) عُمَرُ بن لَجأ التيمي الذي لَقَّن الفرزدق ما هجا به ابن جعفر عندما تعرضوا لهجاء عمه شبة بن عقال بن صعصعة بن ناجية من بني مجاشع انظر القصة وتفاصيلها في النقائض ٩٠٧/٢ وما بعدها.

(٣) الضمير يعود على الفرزدق انظر المرجع السابق ٥٢٣/١.

(٤) محقق نشره الخانجي ١٩٩١.

(٥) من معانيه في اللسان الجمال قياسًا على حميراء للمرأة الجميلة انظر مادة (حمر) ٩٨٩/٢.

(٦) النقائض ٢٤٧/١.

(٧) من معانيها المسرع إلى الأمور كما يتّفق، والمفرط في الطول وكذلك الأحمق والشجاع الذي يرمي بنفسه في الحرب على التشبيه اللسان مادة هوج ٤٧١٧/٦ وهذه الأوصاف التي اخترتها واردة المعنى في قصة وكيع التي حكاها أبو عبيدة.

(٨) النقائض ٣٥٨/١.

(٩) السابق ١/١ وخيطفًا: سريعًا يقال خَطِفَ خَطَفًا.

كان خطبها إلى أبيها، وهي جارية فقال له أبوها: إنها صغيرة ضَرَعة فقال له سويد: لقد عَهْدتُها وإنها لَحقّة

(والحِقّة من النُّوق طروقة الفَحْل) فصيّره نبزًا لقبًا ثم سرد بعد ذلك بعض ما هجا به الشعراء أبناء جرير بهذين اللقبين (حقة والخَطَفى) من أمثال أبي الرُّديني[٢] وبشام بن نكت[٣]

٥ـ دالق: عمارة بن زياد العبسي[٤].

٦ـ ذو الأهدام[٥]: لقب متوكّل بن عياض.. بن جعفر.. بن صعصعة والأهدام: الخُلْقان قال الفرزدق:

وَنُبِّئْتُ ذا الأهدام يَعْوِي ودونه من الشأم زرّاعاتها وقصورها.

٧ـ ذو السنينة[٦]: واسمه حبيب بن بُعَج.. وذلك أنه كانت له سنٌّ زائدة.

٨ ـ ذو الخمار[٧]: فرس مالك بن نويرة.

٩ـ الزَّبابة[٨]: الفأرة نبز بها جريرُ أمَّ الفرزدق لينة بنت قَرطة حيث يقول: (الوافر)

بها شبهُ الزَّبابة في بنيها وعِرْقٌ من قُفَيْرةَ غير نامِ

١٠ـ الزّبرقان بن بدر[٩]: الزبرقان: اسم القمر سُمِّي به لجماله، وهو أجمل العرب.

---

(١) السابق ٢٠٥/١ واسمها أم قيس بنت مُعَيْد بن حيَّة.. بن كُليب السابق ٢٠٦/١.

(٢) وهو يهاجي عُمارة بن عقيل بن بلال بن جرير انظر المرجع السابق ٢٠٥/١.

(٣) وهو يهاجي نوح بن جرير السابق ٢٠٦/١.

(٤) النقائض ١٩٣/١ والديباج ٧٤ وفي اللسان كان يُقال لِعُمارة بن زياد العبسيِّ أخي الربيع بن زياد دالقٌ: لكثرة غاراته مادة دلق ٢ .١٤١١.

(٥) النقائض ٥٢٣/١.

(٦) المرجع السابق ٤٥٥/١ وأخباره ومقتله هناك.

(٧) السابق ٢٤٧/١.

(٨) السابق ١٠٢٧/٢.

(٩) السابق ٢٦٤/١.

١١ــ الصَّعِقُ[1]: واسم الصَّعِق خويلد بن نفيل بن عمرو.والصَّعِق، لقب ؛ وذلك أن صاعقة أصابته.

١٢ــ العِمِّيت[2]: الرجل الأعمى الجاهل بالأمور، وقال: (الرجز)

كالخُرْس العماميت

١٣ــ قينة العراق[3]: قابوس بن هِنِد، وكانت فيه حَلِيَّة يعني لينًا، وليس بالمُخَنَّث لَقَب هو

١٤ــ المبير[4]: سُمِّي عِصمة بن حدرة من بني رياح يومَ الصرائم بالمبير لقتله سبعين رجلاً من بني عبس، وقال قائل بل قعنب بن عتاب.

١٥ــ مثغور[5]: سُمِّي عُبَيد بن غاضرة بن سَمُرة العبري مثغورًا لأنه قد كُسِرَ ثَغْرهُ قال جرير: (الطويل)

أيشهد مثغورٌ علينا وَقَدْ رأى سُمَيْرةُ مِنّا في ثناياه مشهدا

١٦ــ مُضرِّط الحجارة[6]: عمرو بن هند سُمِّي بذلك لشدته.

ونسجل على هذه المجموعة من الألقاب الملحوظات التالية:

أ ــ من حيث الأنواع، جاءت الألقاب على ثلاثة أقسام هي:

١ــ لَقَبٌ مُحوّل عن اسم، قد يكون اسمًا لحيوان في الأصل أو صفة تقوم مقام الاسم مثل الزّبابة "وحقة " وقد يكون اسمًا لجماد مثل "الزبرقان" اسم للهلال.

٢ــ لقب مُحوّل عن وصف اسم فاعل مثل دالق وكامل ومبير أو صفة مشبهة مثل الصَّعِق والعِمِّيت أو صيغة مبالغة مثل وهّاب أو أفعل التفضيل مثل الأهوج مصغرًا منها متل الأحيمر.

---

(١) السابق ٣٨٧/١.

(٢) مقاييس اللغة ١٣٦/٤ وهو عن أبي عبيدة ويقولون: العميت: السكران، والعَمْت: أن يضرب ولا يبالي من أصابه ضربه المرجع السابق نفسه.

(٣) النقائض ٢٦٧/١. (٤) السابق ٣٣٧/١.

(٥) السابق ٤٨٤/١ و ٤٨٥ وَفَصَّل أبو عبيدة خبر كسر ثنيتَيْ عبيد بن غاضرة في سياق مطول هناك.

(٦) السابق ٢٦٧/١ وانظر الديباج ٨٣.

٣ــ لقب محوّل عن التركيب الإضافي وله ثلاث صور:

١ــ ذو[1] + مضاف إليه

٢ــ مشتق + اسم مضاف

٣ــ اسم + اسم

ب ــ من حيث الدلالة:

١ــ دلالة معجمية تُفهم من لفظة اللقب مباشرة

٢ــ دلالة مناسبة أو موقف وُلِدَ فيه اللقب.

٣ــ دلالة غامضة تحتاج إلى إزالة اللبس كما في (قينة العراق).

٤ــ يتبع انتشار دلالة اللقب أحيانًا مثل لقب الخَطَفَى وحقّة وذو الجدّين.

ثانيًا- ما كان لقبًا لقبيلة أو حيٍّ أو مجموعة قبائل:

الأمثلة:

١ــ الأثافي: هي قبائل سُلَيم وهوازن أُثْفيَّة[2]وغطفان أثفيّة، ومحارب أثفيّة وهــي

---

(١) عالج أبو عبيدة مجموعة كبيرة من هذا النوع في أماكن متفرقة مثل ما ذكرنا عن النقائض وفي الديباج ذو الإصبع العدواني ١١٥ وذو الحلم (عامر بن الظرب) السابق نفسه وذو الجَدَّين (بِسْطام بن قيس الشيباني) يقول الرَّبقَعِيُّ: (الطويل)

تَألّى على ما في يَدَيْكَ كَأ نَّما رَأَيْتَ ابن ذي الجدَّين عِندك عانيا

انظر الديباج ٢٣، ١١٣، ١٢٢، ١٤٥، وكذلك ٢١، ٢٢ وذو الجدين (قيس بن مسعود بن قيس بن خالد) انظر الديباج ٨٥، ٨٦ والنقائض تفيض بأخباره وقال الأعمش ليزيد بن مسهر الشيباني: (البُسيط)

تَنْحَمُ أبناءَ ذي الجدَّين سَادتكم أَرْمَاحُنَا ثُم تلقاهُمْ فَنَعْتَزِلُ

انظر الديباج ٨٦. وذو الحيّات: (سيف الحارث بن ظالم) وكان على سيفه تماثيل حيّات وعقارب وفيه يقول: (الطويل)

عَلَوْتُ بذي الحيَّات مَفْرِقَ رَأْسِهِ وكان سلاحي تحتويه الجماجمُ

انظر المرجع السابق ٥٢ ومن ذلك ذو الرقيبة وذو العنصمة العجلي انظر الديباج ٢١و ٢٢ على الترتيب ومن أسماء الأماكن ذو قار وذو الخلصة وذو أبان انظر المرجع السابق ١٤٥، ٣٦ على الترتيب.

(٢) الديباج ١٢٠ ومما يشبه ذلك لقب (الأحجار) وهم من بني نهشل جَنْدَل وصَخْر وجَرْوَل انظر النقائض ١٨٧/١ وكذلك الديباج ١١٨ وهو نفس نص النقائض ومثل ذلك الأرحاء وهي قبائل هوازن فيقال أرحاء هوازن التي تستقل بنفسها وتستغني عن غيرها انظر الديباج ٧٦ ويقابل الأرحاء الأحلاف (أسد غطفان) السابق ١٤٥.

ألؤمها أثفيّة

٢ــ الأجارب[1]: (خمس قبائل من بني سعد وهم ربيعة ومالك والحارث، وعبد العُزَّى، والحرام.. بنو سعد بن زيد مناة بن تميم،) وقال: (وإنما سُمّوا " الأجارب" لأنهم نحروا جَمَلاً جَرِبًا، فأكلوا لحمه، وغمسوا أيديهم في دمه وتحالفوا، وهم ولَد كعب بن سعد) قال: (وقاتل الزبير عمرو بن جرموز أحد بن ربيعة بن كعب من الأجارب)[2].

٣ــ الأحمال[3]: والأحمال من بني يربوع، وهم، سليط وعمرو وصُبير وثعلبة، وأمهم السعفاء بنت غنم من بني قتيبة من باهلة، وسُمّيت الأحمال؛ لأن أمهم نظرت إليهم، وهم صغار، كالخرفان فقالت: " وا بأبي أحمالي " .

٤ــ البراجم[4]: قيس وكلفة وعمرو، وغالب، وهم بنو حنظلة، وإنما سُمُّوا البراجم ؛ لأن أباهم قال: (اجتمعوا وكونوا كبراجمِ يَدي هذه) قال الفرزدق: (الكامل)

وإذا البراجمُ بالقروم تخاطرت　　حَوْلي بأغلب مَرَّةٍ لا يَنْزِلُ

٥ــ الجمرات[5]: (وجمرات العرب في الجاهلية ثلاث: بنو ضَبَّة، وبنو الحارث، وبنو نمير بن عامر؛ فطفئت منهم جمرتان، وبقيت واحدة، طفئت ضبَّة؛ لأنها حالفت فصارت ربِّة من الرِّباب، وطفئت بنو الحارث لأنها حالفت مَذْحِج، وبقيت نُمير لم تطفأ لأنها لم تحالف) وقال في موضع آخر[6] : (وإنما قيل لهم الجمرات لاجتماعهم

---

(١) النقائص ٢/٩٦٨. و ٢/١٠٢٣.

(٢) السابق ٢/٩٧٠ ومما يشبه هذا اللقب عنده لقب الرِّباب حيث أدخلوا أوغمسوا أيديهم في رُبٍّ وتحالفوا وقيل سُموا بذلك لأنهم تحالفوا فقالوا: اجتمعوا كاجتماع الربابة انظر الديباج ١١٩، ١٢٠ وانظر الحاشية ٤ في السابق نفسه.

(٣) النقائض ١/٣٠٥.

(٤) انظر الديباج ١١٨، ١١٩ ومما يشبه هذا اللقب لقب اللهازم حيث سُمُّوا اللهازم لأن أباهم قال: كونوا بمنزلة اللهزمتين إذا لم تساعد إحداهما الأخرى لم تقدر على مضغ شيء، فكونوا جميعًا تصطحبوا على العدو وهم بنو عجل وتيم اللات بن ثعلبة السابق ١١٩ والنقائض ١/٤٧.

(٥) الديباج ٧٧ ومنه النص المقتبس وهو نفس نص النقائض ٢/٩٤٦.

(٦) " أبو عبيدة " رسالة دكتوراه قسم الملاحق ٦٩ وهو نص مقتبس من كتاب التاج كما ذكر المؤلف وهو يتشابه مع النص الموجود في النقائض والديباج مع زيادة تفسير لفظة الجمرات.

والحمرة الجماعة والتجْمير، التحميع).

٦ــ الحِبَاقُ[١]: وهم رهط ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مَنَاة بن تميم بن مـــر، وهو نبز يغضون منه قال: (الطويل)

لِبَهْنَ رَبيعًا والحِبَاقَ ومَنْقِرًا   وذُبْيانَ يَرْبُوعٍ تُراثَ تميمِ

٧ــ الحُمْس[٢]: قريش، وكنانة، وخُزاعة، وعامر بن صعصعة وكانو لا يشتاءون، ولا يقتاظون.ولا يدخلون بيت مَدَرٍ ولا يلبسون ثوبًا إلا حَرَمِيًّا أيام الحج، قـــال أبـــو عمرو بن العلاء وتحمُّسهم تَشدُّدهم في دينهم .

٨ ــ الذهلان[٣]: شيبان بن ثعلبة، وذُهْلُ بن ثعلبة قال:

وإليهم تَحَلَّفَتْ الذهلان، وهم سُمُّوا، وهم شيبان، وذهل، ويشكر وضُـــبَيعة بـــن ربيعة، هذه الأربع القبائل. الذهلان.

٩ــ صُوفة[٤]: حُكِيَ عن أبي عبيدة؛ أنهم أفناء القبائل تجمعـــوا فتـــشبكوا، كمـــا بتشبك الصوف. وأضاف ابن فارس أنهم قومٌ في الجاهليّة، كانوا يخـــدمون الكعبـــة، ويجيزون الحاجَّ . قال: (البسيط)

(١) انظر الدباج ١٢٠

(٢) لسابق ١١٤ و مما يشبه هذا اللقب لقب اللَّقاح حيث تلقب به قريش، وهوازن وتيم، والرباب وحنيفة وقال:

وإنما سُمُّوا لقاحًا لأنهم لم يدينوا لملك قال. (الكامل)

نحن حلائفُ نعدما   أولادُ يشْكُرَ واللَّقاحْ

لسابق ١١٨ ومما يشبه ذلك قوله: وكانت العرب تسمي بني عبد مناف بن دارم اللُّباب وبني مجاشع. السحاب لسخائهم، وبني نهشل الشهاب لشدة بأسهم السابق ١٣٨.

(٣) النقائض ٢ ٧٦٤ ومما يشبه ذلك في تغليب اسم على الآخر ثم اتخاذه لقبًا أو اجتماعهم في تسمية واحدة مثل الأقارع وهم قريع بن عوف وقريع بن معاوية.. إلى آخره الديباج ١٢١ ومثله الربائع ربيعة الجوع وربيعة ابن مالك وربيعه بن كعب السابق ١٢٠. وكذلك ضبيعات العرب ضبيعة بن أضجم وضبيعة بن قيس.. إلى آخره قال: (الطويل)

قتلنا به خير الضُّبيعات كلّها   ضبيعة قيسٍ لا ضبيعةَ أضجما

السابق ١٢١ ومثل ذلك لقب الكملة على بني زياد الربيع والكامل وأنس الفوارس فغلب عليهم لقب الكملة النقائض ١ ١٩٣

(٤) مقاييس اللغة ٣ ٣٢٢ عن أبي عبيدة.

ولا يَربِمُونَ في التَّعْريفِ مَوْقِفَهُمْ حتَّى يُقَالَ أَجيزوا آلَ صُو فانا

١٠ــ المزون[1]: لقب قال نَهَار بن تَوْسِعَة (الطويل):

لقد صَبَرَتْ للذُّلِّ أعوادُ مِنْبَرٍ تقوم عليها في يديك قضيبُ

رأيتك لما شبتَ أدركك الذي يصيب شيوخ الأزد حين تشيبُ

بخفة أحلام وقلة نائلٍ وفيك لمن عاب المزونَ معيبُ

ويمكن أن نسجل على هذه الطائفة من الألقاب الملحوظات التالية:

أولاً- المصادر التي أنتجت تلك الألقاب كما يتضح من تعليقاته وهي كما يلي:

أ ــ **مصدر لغوي**: مثل (أ) تغليب لقب أو علم على غيره أو (ب) جمع الأسماء لمناسبة أصل أو مكان أو تحالف ومن ذلك لقب الأحجار لــ (جندل وحجر وجرول) والكمنة لــ (دالق والكامل، وأنس الفوارس..) والأقارع، والربائع والذهلان والضبيعات.

ب ــ **عبارة انفعالية ذائعة** مثل: (وا بأبي أحمالي !) أو (كونوا بالبراجم !) أو (كونوا بمنزلة اللهزمتين)

ج ــ **أو تشبيه مثل لقب** " جماجم العرب " يقول: (وقيل للجماجم جماجم؛ لأنها يتفرع من كل واحدة منها قبائل اكتفت بأسمائها دون الانتساب إليها فصارت كأنها جسد قائم وكل عضو مكتف باسمه بموضعه ألا ترى أن بكرًا وتغلب ابني وائل قبيلتان متكافئتان في القدر والعدد[2].

٢ــ موقف تاريخي أو سياسي أو اجتماعي مثل لقب الأجارب والرباب، والحِبَاق وقد يكون الموقف خاصًا بقبيلة مثل الجمرات، فالقبيلة التي حافظت على استقلالها وبقائها دون تحالف فهي جمرة، فإذا حالفت انطفأت ودخلت في حِلْف، ويرادف القبيلة في ذلك اللقب عندما تكون مجموعة قبائل ذات أصل واحد، لقب الأرحاء[3].

---

(١) النقائض ٣٦٨/١ وعلّق أبو عبد الله قال لقبهم به نسبهم إلى قرية عُمان وهم نبط السابق نفسه.

(٢) نص من كتاب التاج لأبي عبيدة انظر " أبو عبيدة " رسالة دكتوراه قسم الملاحق ٦٨.

(٣) قال في كتاب التاج: (وإنما سميت هذه أرحاء، لأنها أحرزت دورًا ومياها لم يكن للعرب مثلها، ولم تبرح من أوطانها ودارت في دورها كالأرحاء على الأقطاب، إلا أن ينتجع بعضها في الرَّحاء وعام الجدب وذلك قليل منهم). انظر ملاحق رسالة دكتوراه " أبو عبيدة " ص ٦٨.

ويقابل الأرحاء: الأحلاف.

٣ـ النسبة للمكان، مثل المزون، والأيامن

٤ـ النسبة إلى صفة: الحُمْس، واللقاح، واللُّباب والسحاب، والشهاب، والأنصار، والأرداف.

٥.ملحوظات عامة على تلك الطائفة من الألقاب:

١ـ يغلب على تلك المجموعة صيغة الجمع، وذلك لتناسبها مع ما تدل عليه من مجموعة بطون لقبيلة أو مجموعة قبائل.

٢ـ يتضح من نقل ابن فارس، وغيره على بعض الألقاب التي رواها أبو عبيدة، اهتمام العلماء بما ورد عنه في هذا الجانب حيث اتبعوا منهجه في التعليق والتفريق بين اللقب والنبز مما يوضح مكانة أبي عبيدة في هذا المنحي اللغوي.

٣ـ يبدو للباحث أن عناية أبي عبيدة بدراسة الألقاب لم تكن مقصورة على المثالب والأنباز، بل شملت معظم جوانب الألقاب كما رأينا وإذا كان المؤلفان المنسوبان إليه في هذا الجانب قد ألقيا بظلال من الشك على أبي عبيدة واتهامه بالشعوبيّة، فإن كتابه الديباج أو التاج قد دبَّج فيه الألقاب الأخرى التي ليست بأنباز وإنما معظمها يعود إلى مصادر حركية اللغة والاصطلاح العرفي سواءً أكان لمناسبة اجتماعية أو تاريخية أو لغوية أو نحو ذلك.

٤ـ يتضح من تحليل مادة الألقاب والأنباز الخاصة بالقبائل في النقائض والديباج التي قدمنا نماذج مختلفة منها ـ أن ملحوظات أبي عبيدة قد فتحت أمامه الباب في صياغة مصطلحات نقدية وموضوعية تتعلق بتاريخ الأدب العربي فعلى مثال (أجود العرب في الجاهلية ثلاثة)[١].

يقول (أشعر الشعراء في الجاهليّة ثلاثة)[٢] وَ (أشعر الشعراء واحدة ثلاثة)[٣] و (أول الرجّاز)[٤] وفي فلك هذه المصطلحات دار المتأثرون بأبي عبيدة كابن سلام الجمحي في طبقات فحول الشعراء والجاحظ في كثير من مؤلفاته وكذلك كثير من العلماء وإذا

---

(١) انظر الديباج ٢٣. (٢) المرجع السابق ٣. (٣) المرجع ١٠.

(٤) المرجع السابق ١٣.

تأملنا مصطلحات موضوعية عن (أيام العرب)[١] و (فرسان العرب)[٢].

ودهاة العرب[٣]، وأغربة العرب[٤]، وأوفياء العرب[٥] وجماجم العرب[٦]. إلى آخره سنجد هذه المصطلحات التي صاغها أبو عبيدة في دراسة الألقاب والمسميات قد وجدت طريقها إلى فكر العلماء من بعده فألفوا فيها وجمعوا شتاتها.

ثالثًا – مجموعة من الكُنى وهي ما بدأ بأب أو أم أو ابن وما يلحق بذلك:

١ــ أبو الجَلَوْبَقِ:

قال جرير: (الكامل)

تَلْقَى بناتِ أبي الجَلَوْبَقِ نُزَّعًا　　نَحْوَ القيونِ ومَابِهِنَّ نِفَارُ

قال: (أبو الجلوبق: لقب لمجاشع، وقوله بنات أبي الجلوبق هونَبزٌ نبزهم به يصيبهم بذلك)[٧].

ومن ذلك ما ذكره السيوطي[٨] عن أبي عبيدة في كنية " أبو الذُباب " قال: العرب تكنى الأبخر، أبا الذباب ثم قال وتكنى الغراب أبا المِرْقال قال الشاعر: (الكامل)

إن الغراب وكان يمشي مشية　　فيما مضى من سالف الأحوال

حسد القطاة فرامَ يمشي مشيها　　فأصابه ضَرْبٌ من العقّال

فأضلّ مشيتها وأخطأ مَشْيَه　　فلذلك كنّوه أبا المرقال

٢ــ أمُّ حِلْس:

قال الفرزدق: (الوافر)

وَأَسْلَمَهُم وكان كأمّ حِلْسٍ　　أَقَرَّتْ بَعْدَ تَرْوَتِهَا فَقَابَا

قال: (أمُّ حِلْسٍ: يعني الأتان، وهي تكنى أم حلس، وذلك تقوله العرب معروف

---

(١) هذا المصطلح مشهور عن أبي عبيدة وتحتشد أيام العرب في النقائض.

(٢) الديباج ١٥.　(٣) السابق ١٢٢.　(٤) السابق ٤٠.

(٥) السابق ٤٦.　(٦) السابق ١١٣.

(٧) النقائض ٢/٨٥٧ وجاء في اللسان: هو اسم رجل من بني سعد، وفيه يقول الفرزدق: (الطويل)
رأيتُ رجالاً يَنْصحُ المِسْكُ منهم　وريحُ الخُرُوءِ مِنْ ثيابِ الجَلَوْبَقِ　اللسان مادة (جلب) ١/٦٥٠.

(٨) انظر المزهر ١/٥٠٨ و ٥٠٩.

عندها ذلك، وهو لقبٌ؛ لأنها تُركب بحلس لا بلبد ولا بسرج)[١] ومن ذلك أيضًا ما رواه عنه السيوطي[٢] من مؤلفاته قال وقال أبو عبيدة: أم قَشْعَم: العنكبوت، وأم غِرْس ركيّة، وأم نخل: جبل

قال أبو عبيدة[٣]: يقال للهلال ابن مِلاط، ويقال: نِعْمَ ابن الليلة فلان، يعني الليلة التي وُلِدَ فيها، ويقال للعبد: ابن يوأم.

٣ ــ بنو أنف الناقة:

قال ابن فارس[٤]: قال أبو عبيدة: (بنو أنف الناقة، بنو جعفر بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد، يقال إنهم نحروا جزورًا، كانوا غنموها في بعض غزواتهم، وقد تخلف جعفر بن قريع، فجاء و لم يبق من الناقة إلا الأنف، فذهب به فسموه به).

٤ــ بنو البقعاء: ذكر ابن فارس[٥] عن أبي عبيدة قوله: أنهم بنو هاربةَ بنِ دبيان، وأمهم البقعاء بنت سلامان بن ذبيان).

٥ــ بنو الجعراء: (فقالوا: ما ندري ما تقول بنو الجعراء ! قال: والجعراء لقبٌ، والجعراء الضَّبُع يقال جَعْراء وجَعارِ، وجَيْعرُ قال ما ندري ما تقول بنو العنبر ! ...)[٦].

٦ــ بنو النَّخوار: قال جرير: (الكامل)

كُنْتُمْ بني أَمَةٍ فأُغْلِقَ دونكم بابُ المكارم يا بني النَّخوارِ

النَّخوار، نبز نبزهم به[٧].

٧ــ بنو وَقْبَان: قال جرير[٨]: (الكامل)

أبلغ بني وَقْبان أن حلومهم خَفَّتْ فلا يزنون حبَّةَ خَرْدَلِ

وقال أيضًا[٩]: (الوافر)

وقد عَلِمَتْ بنو وَقْبان أنِّي ضَبورُ الوَعْثِ مُعْتَرِمُ الغُبارِ

قال: بنو وَقْبان نبز نُبِزَ به بنو مجاشع والنبز اللقب، والوَقْب، الأحمق.

---

(١) النقائض ٤٦٦/١. (٢) المزهر ٥١٧/١. (٣) المزهر ٥٢١/١.
(٤) مقاييس اللغة ١٤٦/١ و ١٤٧. (٥) السابق ٢٨٢/١. (٦) النقائض ٣٠٧/١.
(٧) السابق ٣٤٠/١. (٨) النقائض ٢٢٥/١. (٩) السابق ٢٤٧/١.

ونسجل على نماذج الكنى ما يلي:

١ــ يغلب على الكُنى التي تعرض لها استخدامها استخدام الأنباز.

٢ــ ونلحظ أن الكُنَى منقولة عن المصادر التالية:

أ ــ اسم حيوان أم حِلْس، الأتان، وبنو الجعراء وهي الضَّبُع.

ب ــ وصف مثل بنو وقبان وبنو النخوار وبنو البقعاء.

ج ــ مناسبة مثل: أبو الجلوبق وبنو أنف الناقة.

ثانيًا- التأنيث والتذكير

١ ــ نموذج لمورفيمات التأنيث عند أبي عبيدة

تاء التأنيث:

مثال ١- قال جرير: (الطويل)

تُعِدُّ سرابيلَ الحديد مَعَ القنا وشُعْثَ النواصي كالضِّراء الطوارِدِ

قال: (قوله: كالضِّراء الطوارد، يعني الكلاب الضارية الواحد ضِرْوٌ، والأنثى ضِرْوة)[1].

ــ التاء في هذا المثال تفرِّق بين الجنسين.

مثال ٢- قال تعالى: **﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾** [القيامة: ١٤] قال: (جاءت هذه الهاء في صفة الذكر؛ كما جاءت في راوية وعَلاَّمَة، وطاغية)[2].

التاء في هذه الأمثلة للمبالغة وقد اكتسب اللفظ بذلك مورفيم التأنيث مع بقاء المعنى للمذكر.

مثال٣- قال أبو عبيدة: (يقال: دَارٌ ودارة، وغدير وغديرة، وإزار وإزارة)[3] وتقول: (هذا إزاري، وهذه إزارتي، بالتاء)[4] وأنشد[5]: (الكامل م)

كَتَميُّلِ النشوانِ يرْ فُلُ في البقيرة والإزَارة

---

(١) النقائض ٢/٩٨٨. (٢) المجاز ٢/٢٧٧.

(٣) شرح القصائد السبع الطوال لابن الأنباري ٣٣ ومروي عن الأصمعي مثله في المرجع السابق نفسه.

(٤) المذكر والمؤنث لأبي حاتم السجستاني ١٩٤.

(٥) قال أبو حاتم معقبًا والأصمعي يرد هذا الشعر ويقول: لا يعرف إلا الإزار مذكرًا انظر السابق نفسه.

مثال ٤ – قال أبو عبيدة: (في عينه بياضةٌ، وبياضٌ وفي عينه كوكبةٌ، وكوكب)[١].

ونلحظ في هذين المثالين أنه قدَّم المذكر في دار وغدير وإزار تارة وقدم المؤنث تارة أخرى في مثل بياضة وكوكبة مما يُوحي بكثرة استخدام المقدّم منهما مطلقًا كما في شواهد " المثال ٣ " أو في سياقه كما في شواهد المثال ٤.

٢ـ نماذج لما يُذكّر ويؤنث:

أحد: قال تعالى: ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، " أحد "، يقع على الذكر، والأنثى بلفظ واحد[٢].

الأرضُ: قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤]، يقال: بأي أرض كنت، وبأيت أرض كنت، لغتان[٣].

السُّلَّمُ: قال تعالى ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ [الطور: ٣٨]، هي السُّلم، وهو السُّلم[٤]، والسلم: السببُ والمِرْقاة وقال ابن مُقبل[٥]: (البسيط)

لا تحرزُ المرءَ أحجاءُ البلاد ولا يُبْنى لَهَ في السموات السلاليمُ

ويقول الرجل: اتخذتني سُلَّما لحاجتك، أي سببًا.

ـ **السُّوق**: يُذكر، ويؤنث، وأنشد في التذكير[٦]: (الطويل)

بسُوقٍ كثيرٍ ريحُه وأعاصِرُهْ

قوم[٧]: قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ [ص: ١٢]، قال: فقومٌ من العرب يؤنثون القوم، وقومٌ منهم يذكرون فإن احتُج عليهم بهذه الآية قالوا: وقع المعنى على العشيرة واحتجوا بهذه الآية:

﴿إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾[٨] [المدثر: ٥٤، ٥٥].

المها: قال: (الطويل) **ومستنفراتٍ للقلوب كأنها مهًا حول منتوجاته يتصرّف**

وردّ الهاء في منتوجاته على لفظ المها، لأنه مذكر، وقد يؤنث أيضًا فيروي

---

(١) المرجع السابق ١٩٧. (٢) المجاز ١٣٧/٢ و ٢٦٨. (٣) المجاز ١٢٩/٢.

(٤) المجاز ٢٣٣/٢. (٥) السابق ٣٤/٢. (٦) الغريب المصنف ٧٥٠/٢ عن أبي عبيدة.

(٧) قال سيبويه: هو واحد في اللفظ وصفته تجري على المعنى فلا تقول: القوم ذاهبٌ الكتاب ٢٤٧/٣.

(٨) المجاز /١٧٨ وكذلك السابق ٥٢/٢و ٩٧.

منتوجاتها[١].

النَّخلُ: قال تعالى: ﴿**أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ**﴾ [القمر: ٢٠]، أسافل نخلٍ منقلع من أصله، يقال هي النخل، وهو النخل فمجازها ها هنا: لغة من ذكّر، وفي آية أخرى: ﴿**أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ**﴾ [الحاقة: ٧]، في لغة من أنّث[٢] .

ونسجل على هذه المجموعة ما يلي:

١ــ من حيث النوع مثّل لاسم العلم كالأرض والسوق والسلم واسم الجنس الجمعي كالقوم والنخل أو جمع تكسير مثل المها أو لفظ عام مثل لفظة (أحد).

٢ــ من حيث العلامة المميزة (المورفيم الصرفي): تاء التأنيث، الضمير، اسم الإشارة.

٣ــ تفسير الظاهرة وقدّم في الأمثلة طريقتين لغويتين أنتجتا هذه الظاهرة وهما:

١ــ اختلاف لغات العرب، فما يُذكّر عند قومٍ يؤنث عند آخرين وبخاصةٍ إذا كان التأنيث لفظيًّا وأخذ اللغات بعضها عن بعض.

٢ــ الحمل، فقد يُحمل الاسم على مرادفه المؤنث أو المذكر فالسلم إذا حمل على معنى السبب استعمل استعمال المذكر وإذا حُمِلَ على معنى المرقاة استعمل استعمال المؤنث.

خامسًا – وصف المؤنث بالمصدر:

مثال١– قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً**﴾ [يونس: ٥]، قال: (وصفها بالمصدر، والعرب قد تصف المؤنثة بالمصدر، وتسقط الهاء كقولهم: إنما خُلِقتْ فلانةٌ لك عذابًا وسجنًا، ونحو ذلك بغير هاء)[٣].

مثال٢– قال تعالى: ﴿**فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا**﴾ [طه: ١٢٤] مجازه. معيشة ضيقة، والضنك، توصف به الأنثى، والمذكر بغير الهاء[٤].

مثال٣– قال تعالى: ﴿**إِنَّنِي بَرَاءٌ**﴾[الزخرف: ٢٦]، مجازها: بلغة عُلْويّة يجعلون الواحد والاثنين والثلاثة من الذكر والأنثى على لفظ واحد[٥]، وأهل نجدٍ يقولون: أنا بريء،

---

(١) النقائض ٥٤٩/٢. (٢) المجاز ٢٤١/٢. (٣) المجاز ٢٧٤/٢. (٤) المجاز ٣٢/٢.

(٥) ومثل ذلك في النقائض قوله الزَّوْرُ: الخيال بعينه، ويقال رجلٌ زورٌ وامرأة زورٌ ونِسْوة زورٌ، وقومٌ زورٌ وكذلك في التثنية انظر النقائض ٣٨/١.

وهي بريئة ونحن براء للجميع[١].

مثال٣– قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، قال: (هذا موضع يكون في المؤنثة، والثنتين والجميع منها بلفظ واحد، ولا يدخلون فيها الهاء لأنه ليس بصفة، ولكنه ظرف لهنّ وموضع، والعرب تفعل ذلك في قريب وبعيد قال: (الوافر)

فإن تمس ابنةُ السهميِّ مِنَّا بعيدًا لا نُكلِّمها كلاما

وقال الشنفري: (الوافر)

تؤرقني، وقد أمست بعيدًا وأصحابي بِعَيْهَمَ أو تَبالهْ

فإذا جعلوها صفةً في معنى مقتربة، قالوا: هي قريبة وهما قريبتان وهنَّ قريبات)[٢]،وقال على بن سليمان[٣]: (هذا خطأ من أبي عبيدة ولو كان قال لكان (قريب) منصوبًا في القرآن كما تقول: " إنّ زيدًا قريبًا منك " وقال أبو جعفر[٤] (والذي قاله أبو عبيدة قد أجاز سيبويه مثله على بعد، وقال الأخفش: يجوز أن يذكر كما يذكر بعض المؤنث وأنشد: (المتقارب)

فلا مزنةٌ ودقتْ ودقها ولا أَرْضَ أَبْقَلَ إِبْقَالها

وحمل فريق معنى الرحمة على معنى الرُّحْم أو المطر)

ويفهم من تحليل أبي عبيدة أنه يحمل لفظة (قريب وبعيد) على معنى الظرفية المكانية من حيث المعنى والدلالة أما الصورة الإعرابية فهي في اللفظ إخبار عن الرحمة ولا يُعَدُّ ذلك خطأ كما قال على بن سليمان بل هو تفسير لظاهرة صرفية بحملها على دلالة عميقة مراده ويكون تقدير المعنى في هذا التفسير إن رحمة الله ذات مكان قريب من المحسنين.

سادسًا – وصف المؤنث بالمشتقات:

مثال١– قال تعالى: ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ [مريم: ٥] قال: (وكذلك لفظ المذكر مثل الأنثى)[٥]، قال عامر بن الطفيل: (الطويل).

---

(١) المجاز ٢٠٣/٢.
(٢) المجاز ٢١٦/١ و ٢١٧.
(٣) إعراب القرآن لنحاس ١٣٢/٢.
(٤) المرجع السابق نفسه.
(٥) المجاز ١/٢.

لبئس الفتى إن كنت أعور عاقرًا جبانًا فما عُذري لدى كل مَحْضِرِ

مثال٢- قال الفرزدق[(١)]: (الطويل)

إذا القَنْبَصَاتُ السُّودُ طوّفنَ بالضُّحَى وَقَدْن عليهن الحجالُ المُسَجَّفُ

قال للحجال " المسجف " فذكّر كأنه نعت، وفي كتاب الله عز وجل **﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾**[(٢)] [النحل: ٦٦].

مثال: قال تعالى: **﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً﴾** [الفرقان: ٤٥].

قال: والشمس مؤنثة وجاءت صفتها على تقدير صفة المذكر، والعرب قد تفعل ذلك، وإنما يريدون به البدل كقولهم هي عديلي.. قال الأعشى (الطويل)[(٣)]:

هي الصاحبُ الأدنى وبيني وبينها مَجُوفٌ عِلافِيٌّ وقِطْعٌ ونُمْرُقُ

وقال[(٤)]: وصاحِبي ذاتُ هِبابٍ دَمْشَقُ

وقالت:

قامت تُبكّيه على قبره مَنْ لِيَ من بعدك يا عامرُ

تركتني في الدار ذا غربةٍ قد ذلّ مَنْ ليس له ناصر

حَمْل المذكر على المؤنث مثل صاحبي ذات وحَمْل المؤنث على المذكر في بقية الأمثلة ويسميه بالبدل وقد جاءت في الوصف فاعل وفعيل أو في " ذو " للتي بمعنى صاحب.

ثالثًا – الإعراب والبناء

١. ما يقبل علامتين من علامات الإعراب [الاسم الممنوع من الصرف]

الممنوع من الصرف:

كان تعبير أبي عبيدة عنه بصيغة (لا ينصرف) أو لا يُنَوّن ويشير أحيانًا إلى العلة الصرفية وأحيانًا لا يشير إليها.

---

(١) النقائض ٢/٥٥١.

(٢) مرجع الضمير على لفظة الأنعام فقبلها قوله: ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة ﴾...الآية.

(٣) المجاز ٢/٧٥. (٤) السابق ٢/٧٦.

الأمثلة: ١ـ الاسم العلم:

مثال١- قال تعالى: ﴿**لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ**﴾ [الأعراف: ٤١]، قال: (لا تنصرف جهنّم؛ لأنه اسم مؤنثة على أربعة أحرف)[١].

مثال٢- قال تعالى ﴿**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا**﴾ [هود: ٨٤]، قال: (مَدْيَن: لا يصرف؛ لأنه اسم مؤنثة..)[٢].

مثال٣- قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ**﴾ [سبأ: ١٥]، قال: (ينوّن (سبأ) بعضُهم؛ لأنه يجعله اسم أبٍ ويهمزه؛ وبعضهم لا ينون فيه يجعله اسم أرض)[٣].

مثال٤- وأورد أبو علي القالي في المقصور والممدود[٤] قول النمر بن تولب: الطويل

تأبّد من أطلالِ جَمْرة مأسلُ ... فَقَدْ أقفرت منها شراءُ فَيَذْبَلُ

قال: أنشد أبو عبيدة بالرفع بغير نون ـ شراء ـ لأنه اسم أرض مؤنثة لا تنصرف.

٢ـ العلم الأعجمي:

مثال١- قال تعالى: ﴿**فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيس**﴾ [البقرة: ٣٤].

قال: (لم يصرف " إبليس " لأنه أعجمي)[٥].

مثال ٢- قال تعالى: ﴿**إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْض**﴾ [الكهف: ٩٤].

قال: (لا ينصرفان..، قال رؤبة: (الرجز)

لَوْ أَنَّ يأَجُوجَ وماجوجَ مَعًا ... وعاد عادٌ واستجاشوا تُبَّعَا

---

(١) المجاز ٢١٤/١ وهو مفهوم من عبارة سيبويه: (اعلم أن كلَّ مذكر سميته بمؤنث على أربعة أحرف فصاعدًا لم يصرف) الكتاب ٢٣٥/٣.

(٢) المجاز ٢٩٧/١ وذكر ذلك أيضًا في قوله تعالى: ﴿ولما توجه تلقاء مدين﴾ [القصص: ١٢]، المرجع السابق ١٠١/٢. ويتضح من التعليق أنه يذهب به مذهب القبيلة أو الأرض لقوله (اسم مؤنثة).

(٣) المجاز ١٤٦/٢، وقال سيبويه: فأما ثمود وسبأ فهما مرَّة للقبيلتين، ومرةً للحيّين، وكثرتهما سواء انظر الكتاب ٢٥٢/٣ ومثّل بالآية المذكورة ثم قال: كان أبو عمرو لا يصرف (سبأ) يجعله اسمًا للقبيلة ثم ذكر شواهد لذلك المرجع السابق ٢٥٣/٣.

(٤) ٣٣٦، ٣٣٧ ورواه الأصمعي مكسور الآخر خرج مخرج حذام وقطام ورقاشِ المرجع السابق نفسه.

(٥) المجاز ٣٨/١.

فلم يَصْرفهما)[1].

مثال٣– في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

قال: (وما مَرّ بك من أسماء الأنبياء لم تحسن فيه الألف واللام، فإنه لا ينصرف، وما كان في آخره (ي) فإنه لا ينون نحو عيسى وموسى)[2].

٣.العلم المعدول عن اسم المصدر:

وجاء عن أبي عبيدة في مقاييس اللغة[3]: (وبَرَّةُ اسم للبر مَعْرِفَةٌ لا تنصرف؛ قال النابغة: (الكامل)

يوم اخْتَلَفْنا خُطَّتينا بَيْنَنَا   فحملتُ بَرَّةَ واحتملت فجارِ(٤).

وهذا الشاهد عند سيبويه شاهد على ما جاء معدولاً عن اسم المصدر حيث (فجارِ) معدول عن الفَجْرة[5].

٤.العلم المعدول من (أفعل)

قال الفرزدق (الطويل):

إذَا قَالَ غَاوٍ مِنْ مَعَدٍّ قصيدةً   بها جَرَبٌ كانتْ عليَّ بِزَوبَرا

قال: (أي بأجمعها يقال خذ هذا بزوبر أي بأجمعه، وبزوبرَ لا ينصرف)[6]

٥.الوصف

مثال: قال البعيث: (الطويل)

وكُلُّ مَعَدٍّ قَدْ جَزَنيا قُروضَهُمْ   فبوُسَى ببوُسى أَوْ بِنعْماءَ أَنْعُما

---

(١) المجاز ٤١٤/١. وقال سيبويه: (وأمَّا إبراهيم، وإسماعيل، ... وقارون،وفرعون .... وأشباه هذه الأسماء فإنها لم تقع في كلامهم إلا معرفة على حدٍّ ما كانت في كلام العجم ولم يجعلوها بمنزلة أسمائهم العربية) انظر الكتاب ٢٣٥/٣.

(٢) المجاز ١ /١٤٣. (٣) ١٧٨/١. (٤) الكتاب ٢٧٤/٣.

(٥) معناه، أن النابغة جَعَلَ اسم حطته في الوفاء (بَرَّة) وجعل حطة زرعة بن عمرو الكلابي ــ الذي دعاه للغدر بني أسد ــ (فجار) أي اسما للفجور معدولاً عن الفجرة المؤنثة.

(٦) النقائض ٢١٥/١. ويتضح من تعليق أبي عبيدة أنه يذهب بها مذهب أجمع وأكتع التي بمنزلة التوكيد وكأنه معدول عن (أفعل) انظر في ذلك ٢٠٣/٣ وسيبويه لم يتحدث عن العدل وإنما تحدث عن نقلها من التوكيد إلى العلمية.

قال: (بُوسى فُعْلَى لا ينصرف)[1] وذلك لأن الألف المقصورة في (فُعْلى) للتأنيث حيث بُوْسَى من بأساء على مثال نعماء فـ (فُعْلى في الكلام لا ينصرف)[2] وكذلك فَعْلاء في الكلام لا ينصرف).

٦. الوصف المعدول

مثال ١ – قال تعالى: **﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ﴾** [النساء: ٣]، أي ثنتين، ولا تنوين فيها، قال ابن عنمة الضبي: (الطويل)

يُباعون بالبُعْران مَثْنَى ومَوْحِدا

وقال الشاعر: (الطويل)

ولكنما أهلي بوادٍ أنيسُه   ذئابٌ تَبَغَّي الناس مَثْنَى ومَوْحِدا

قال النحويون: لا ينوّن " مثنى " لأنه مصروف عن حده، والحد أن يقولوا: اثنين ؛ وكذلك ثلاثُ ورباعُ لا تنوين فيهما. لأنه ثلاثُ وأربعُ في قول النحويين .... وقال صخر الغي الهُذلي: (الوافر)

منَتْ لكَ أن تلاقيني المنايا   أُحادَ أُحادَ في شهرٍ حلال[3]

فأخرج الواحد مخرج ثُناء وثُلاث،ولا تجاوز العرب رُباع، غير أن الكميت بن زيد الأسديّ قال: (المتقارب)

فلم يستريثوكَ حتى رميـ   ـتَ فوق الرجال خِصالاً عُشارا

فجعل عشار على مخرج ثلاث ورُباع[4].

مثال ٢ – قال تعالى: **﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى﴾** [سبأ: ٤٦].

قال: (اثنين اثنين، وفردًا فردًا).

وقال: (ولا ينوَّن في مثنى، زعم النحويون، لأنه صُرِفَ عن وجهه)[5] وفي قوله تعالى: **﴿جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ﴾** [فاطر: ١]، قال: (مجازه: اثنينِ وثلاثة، وأربعة، فزعم النحويونَ؛ أنه مما صُرِفَ عنه وجهه لم ينوّن فيه قال صخرُ بن عمرو)[6]: (الكامل)

---

(١) النقائض ٤٧/١.

(٢) انظر الكتاب ٢٠٥/٣ و ٢١٠ و ٢١٣.

(٣) مت لك تقول قدرت لك والمنايا الأقدار.

(٤) المجاز ١١٤/١ — ١١٦.

(٥) المجاز ١٥٠/٢.

(٦) المجاز ١٥٢/٢.

وَلَقَدْ قَتَلْتكمْ ثُناءَ وموحدا وَتَركْتُ مُرَّةَ مِثْل أَمْس المُدْبِرِ

وقال سيبويه[١]: (وسألته ــ أي الخليل ــ عن أُحَاد، وثُنَاء، ومَثْنى وثلاث، ورباع فقال: هو بمنـــزلة أُخَر[٢] ؛ إنما حَدُّه: واحدًا واحدًا، واثنين اثنين؛ فجاء محدودًا عـــن وجهه فَتُرِك صرفُه قلتُ: أفتصرفُه في النكرة؟ قال: لا ؛ لأنه نكرةَ يوصف به نكرة، ثم أضاف سِيبويه[٣] إلى ذلك قول أبي عمرو بن العلاء يقول: (وقال لي أبو عمرو: (أولى أجنحة متنى وثلاث ورباع) ويتضح من تعليق أبي عبيدة بأنه يقـــول بمنـــع الـــصفات المذكورة من الصرف كما يقول الخليل وأبو عمرو وسيبويه؛ إلا أنه في نفسه شيء من العلة التي ذكروها، وإن لم يأت بعلة غيرها،[٤] ويظهر ذلك من وصفه لعلـــة النحـــاة بعبارة (فيما زعم النحاة).

٧ـ صيغة (فَعَالِ) المعدولة عن (فِعَالِ)

مثال ١ – قال تعالى: **﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُـــولَ لا مِـــسَاسَ﴾** [طــــه: ٩٧] قال أبو عبيدة [٥]: (إذا كسِرت الميمَ دخلها النَصب والجرُّ والرفَع بالتنوين في مواضعهنَّ، وهي ها هنا منفية؛ فلذلك نصبتها بغـــير تنـــوين قـــال الجعـــدي [٦]: (المتقارب)

فَأَصْبَحَ مِنْ ذاك كالسامريّ إذْ قال موسى له لا مِسَاسا

وقال القُلاخ بن حَزْن المِنْقريُّ : (الرجز)

وتَّر الأَساورُ القِياسا صُغْدِيَّةً تنتزع الأنفاسا

حتى يقول الأزدُ لا مِسَاسَا

وهو الممارسة والمخالطة.

---

(١) الكتاب ٣/٢٢٥.

(٢) أي معدول عَمّا فيه الألف واللام، فهي بمنـــزلة الطُّوَل والوُسَط والكُبرَ؛ لا يكن صفة إلا وفيهن ألف ولام فتوصف هن المعرفة انظر الكتاب ٣/٢٢٤.

(٣) المرجع السابق ٣/٢٢٥.

(٤) وقد لَخَّص محقق الكتاب رأي السيرافي الدي حاول فيه الكشف عن علة مبع الصرف في تلك الصفات ولمحط أن ما دكره يُرَدّ إلى علة (العدول) التي ذكرها سيبويه عن شيوحه. انظر حاشية المرجع السابق رقم ٢ في ٣/٢٢٦.

(٥) المجاز ٢/٢٦ و ٢٧.

(٦) في المحار (مَسَاس) في بيت الجعدي و المنقري بفتح الميم وهو مخالف لكلام أبي عبيدة كما ترى ولعله خطأ في الطباعة حيث نص أبو عبيدة على كسر الميم في البيتين.

ومن فتح الميم (مَساس) جعله اسما منه ؛ فلم يدخلها نصبٌ ولا رفْعٌ، وكُسِر آخرها بغير تنوين كقوله: (الطويل)

تميمٌ كرهط السامريِّ، وقوله ألا لا يريد السامريُّ مَسَاسِ

جرَّ بغير تنوين وهو في موضع نصب لأنه ؛ أجرى مجرى قَطامِ وحَذامِ ونَـزالِ إذا فتحوا أوله وقال زهير: (الكامل)

وَلَنِعْمَ حشو الدِّرْعِ أنت إذا دُعِيتَ نَزالِ ولُجَّ في الذُّعْرِ

وإن كسروا أوله دخله الرفع والنصب والجر والتنوين في مواضعها وهو المنازلة)

ويتضح من هذا النص ما يلي:

١ــ صيغة (فِعال) هي الأصل في لفظة (مساس) حيث جاءت على بنـاء فعـال ومفاعله مساسَ ومماسّة وهي صيغة معربة بحركات الإعراب المختلفة بحسب مواقعها وكذلك يكون معنى نِزَال التي هي في حكم المصدر مُنازلة.

٢ــ (مَسَاسِ، نَزَالِ) على وزن (فَعَالِ) ألفاظ مبنية وهي صيغ معدولة عن مصادر وهي تلازم البناء على الكسر وهي في حكم افعل فــ (مَسَاسِ) بمعنى اُمْسُسْ و (نَزَالِ) بمعنى انْزِل.

مثال ٢– قال الفرزدق: (الطويل)

عَوَى بَشِقًّا لابني بُحَيرٍ ودوننا نَضَادُ فأعلام الستار فنيرها[1].

قال: (ومن قال (نَضادِ) ذهب به مذهب قطام وحذامِ)[2].

ويفهم من هذا المثال أمران:

الأول– هو رواية (نَضَادُ) بالضم غير منونة على أنها صيغة معدولة عن مصدر إلى مسمى جبل أو أرض فهي ممنوعة الصرف.

الثاني– رواية الكسر (نَضَادِ) بالبناء على الكسر غير منوّنة على أنها معدولة وخرجت مخرج حذام وقطامِ بالبناء على الكسر.

---

(١) أعلام الستار: جبال، والنّير: اسم جبل النقائض ٥٢٤/١. ونضاد اسم جبل بالحجاز انظر اللسان نضد ٤٤٥٤/٦.

(٢) النقائض ٥٢٤/١.

٣. اسم لا يقبل العلامة الإعرابية (الاسم المقصور)

ولما كان أبو عبيدة قد قرن حديثه عن الاسم المقصور بحديثه عن الاسم الممدود فإنني قد جمعت رؤيته حولهما معًا في هذا النموذج من دراسة الاسم.

المقصور والممدود:

المصطلح: استخدم أبو عبيدة اصطلاح (الممدود) " للدلالة على الاسم الذي تجتمع فيه الألف والهمزة أولاً[١] أو آخرًا[٢]، ولكنه عندما يذكره مقابلاً للمقصور، فإنه لا يريد به إلا ما كانت همزته آخرًا، فالمدُّ يعني اجتماع الهمزة والألف، والقصر يعني حذف الهمزة وتخفيفها؛ ولذلك أطلق على الاسم المقصور " المنقوص " أي الاسم الذي نَقُص من آخره صوت الهمز وقد عالج ذلك في إطار ما أسميناه " بقوانين الحذف والتخفيف " [٣].

فالمنقوص عنده مرادف للمقصور، وكلاهما يقابل الاسم الممدود فكلمات مثل: سيما[٤] وسوى وعِدَى[٥] وسنا[٦] هي كلمات منقوصة أي نقصت منها الهمزة وهي مقصورة أي تلازم الألف آخرها وكلمات مثل: سيماء وسناء وسواء وعداء، هي كلمات ممدودة حيث تجتمع الألف والهمزة في آخرها وقد استخدم سيبويه [٧]ذلك المصطلح أي الاسم المنقوص ـ في مقابلة الاسم الممدود وشرح السيرافي [٨] ذلك بقوله: (ويقال للمقصور أيضًا منقوص فأما قصرها، فهو حبسها عن الهمزة، وأما نقصانها فنقصان الهمزة منها).

أسباب وجود هذه الظاهرة:

١ـ الحذف والتخفيف في آخر الكلمة:

---

(١) مثل كلمة (آباد) جمع " أبد " حيث بين أنها من الممدود انظر النقائض ١٣٣/١ وفي كلمة (الآس) قال: (مفتوح ممدود، بقية الرماد بين الأثافي) انظر الغريب المصنف ٢٦٣/١ مروي عن أبي عبيدة.

(٢) الأمثلة التي سنذكرها في الاسم الممدود.

(٣) هي قوانين عامة توصلنا إليها من خلال جمع ملاحظات أبي عبيدة الصوتية في هذا الجانب واستخدام فيها مصطلحات الحذف والنقص والتخفيف وعالجناه في الدراسة الصوتية.

(٤) في قوله تعالى: { سيماهم } الأعراف /٤٥ قال: منقوصة انظر المجاز ٢١٥/١.

(٥) المرجع السابق ٢٠/٢ وذكر في موضع آخر أنها مقصورة انظر النقائض ٢٨١/١.

(٦) في قوله تعالى: ﴿ يكاد سنا برقه ﴾ النور/٤٣ المرجع السابق ٦٨/٢.

(٧) انظر الكتاب ٥٣٦/٣.

(٨) المرجع السابق نفسه وتعليق السيرافي بالحاشية رقم ١.

مثال: قال تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ﴾ [مريم: ٧].

قال أبو عبيدة [١]: (وفيه ثلاث لغات) [٢]: زكريا ممدود وزكريّا ساكن، وزكريُّ، تقديره بُخْتِي) [٣].

والخطوات:

١ـ ز ـَ ك ـَ ر ـِ ي ي ـَ ـَ ء ـُ حذف الهمزة وحركتها.

٢ـ ز ـَ ك ـَ ر ـِ ي ي ـَ ـَ حذف الحركة الطويلة.

٣ـ ز ـَ ك ـَ ر ـِ ي ي ـُ (اجتلاب حركة الإعراب)

٢ـ الحذف مع التعويض:

مثال: قال الفرزدق [٤]: (الطويل)

فلمّا أَرَوْها أُمَّهُ هان وَجْدُها رَجَاء الغنَى لما أضاء منيرها

قال: (إذا قالوا رجاة بالهاء فهو مقصور، وإذا نزعت الهاء فهو ممدود، وجاء عن يونس: تقول أتيتك رجاة خيرك ورجاء خيرك) رجاء ← رجاة أو رجًا [٥].

الخطوات: ر ـَ ج ـَ ـَ ء ـَ حذف الهمزة

٢ـ ر ـَ ج ـَ ـَ ت ـَ استبدال الهمزة بالتاء.

٣ـ ر ـَ ج ـَ ـَ حذف الهمزة مع حركتها.

٣ـ القصر لغة الحجاز والمد لغة تميم والاختيار اللغوي:

الأمثلة:

قال تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى﴾ [الإسراء: ٣٢] قال: الزِّنَى: مقصورٌ، وقد يُمَدّ في

---

(١) المجاز ٢/٢.

(٢) قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو ويعقوب ممدود مهموز مرفوع، وكذلك أبو بكر عن عاصم وقرأ حمزة والكسائي وحفص زكريًّا مقصورًا في كل القرآن وذكر الزجاج أن المشهور فيها لغات الممدود والمقصور ثم يحذف الألف ... انظر اللسان مادة (زكر) ١٨٤٧/٣ ونلحظ أن ما ذكره الزجاج ونقله اللسان هو نص كلام أبي عبيدة

(٣) المجاز ٢/٢.

(٤) النقائض ٥١٩/١.

(٥) مروية عن أبي عبيدة أيضًا في شرح القصائد السبع الطوال ١١١.

كلام أهل نجد، قال الفرزدق[١]: (الطويل)

أبا حاضِرٍ مَنْ يَزْنِ يُعْرفْ زِناؤه ومن يشرب الخُرْطُومَ يُصْبِحْ مُسَكَّرًا

وقال أيضًا: (الكامل)

أَخْضَبْتَ عَرْدكَ للزِّناء ولم تكن يَوْمَ اللِّقاءِ لِتَخْضِبَ الأبطالا

وقال الجعدي: (الكامل)

كانت فريضةً ما تقول كما كان الزِّناءُ فريضةَ الرجم

٤ـ زيادة التفصح:

الأصل في اسم الإشارة في الساميات " أولاً " وهو استخدام تميمي وبالغت قريش في تحقيق الهمزة فقالوا " أولاء"[٢] وسجل أبو عبيدة تلك الظاهرة بقوله " أولئك ممدود على لغة قريش، وبها نزل القرآن وجاء مقصورًا في لغة تميم قال الفرزدق [٣]: (الكامل)

بأولاك تُمْنَعُ أن تُنَفَّقَ بعدما قصعت بين حَزُونةٍ ورمالِ

وبعض العرب يقول أولالك، وألاك، ومن خلال الأمثلة السابقة نتبين وجود أسباب صوتية ولهجية، ولغوية وراء إنتاج تلك الظاهر وقد وُجد الاسم المقصور والممدود جنبًا إلى جنب في المادة اللغوية الواحدة.

والقراءات القرآنية وكذلك الشعر حَمَل إلينا كل ذلك فما هو مقصور في قراءة قد يُمَدّ في أخرى وما هو ممدود عند قوم قد يقصره آخرون، والشعراء يختارون ما يناسب لغتهم الشعرية حال الاضطرار إليها وإن لم تكن لغة قبائلهم[٤].

والنحويون مجموعون على جواز قصر الممدود لما فيه من رد الاسم إلى أصله بحذف

---

(١) المجاز ١/٣٧٧ و ٣٧٨، ذكر ابن السكيت عكس ما قال أبو عبيدة بنسبة المد للحجاز والقصر لغة تميم واستدل ببيت النابغة الجعدي وهو الشاهد الثالث لأبي عبيدة هنا ــ انظر المقصور والممدود ١٠١ وأظن أن ذلك يحتمل أمرين أنه يريد ضمير الإشارة " أولئك " أو أن يكون انتقال نظر من النساخ حيث استدل في اللسان على ما قاله أبو عبيدة مما ذكره من الشواهد فابن السكيت محجوج بشواهد أبي عبيدة انظر اللسان مادة (زنى) ٣/١٨٧٦

(٢) تعرّضنا لذلك في قانون زيادة التفصح انظر التطبيقات الخاصة بذلك الدراسة الصوتية.

(٣) انظر النقائض ١/٢٨٨.

(٤) هذا مُجْمل ما تؤديه شواهد أبي عبيدة وتعليقاته.

الزائد منه[١] احترز الفراء بقوله: إن لم يكن له ما يوجب مَدّه[٢].

وأما مد المقصور فمنعه أكثر البصريين إلا الأخفش، وأجازه الكوفيون، واحتج ابن ولاّء وابن خروف على المانعين بقراءة طلحة بن مُصَرِّف[٣] **﴿يَكَادُ سَنَاءُ بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ﴾** [النور: ٤٣]، فمد السنا الذي يُراد به الضوء دون ضرورة.

وإذا نظرنا إلى موقف أبي عبيدة من خلال شواهده وتعليقاته، نتبين أن ما رآه الكوفيون والأخفش ومن رأى رأيهم من المتأخرين أقرب إلى منهج أبي عبيدة، وإن اعتمد كلا الفريقين على شواهده التي ترصد تلك الظاهرة.

ثالثًا- مظاهر التوظيف اللغوي للمقصور والممدود:

نقدم مجموعة من الأمثلة ونرصد تلك المظاهر من خلال التعليقات التي يَدلى بها أبو عبيدة.

مثال ١- قال الفرزدق: (الوافر)

وبَارًا بالفضاء سَمِعْنَ رَعْدًا فحاذرن الصواعِقَ حين ثارا

الفضاء: المتسع من الأرض ممدود، والفضا، مقصورًا تَمرٌ، وزبيب وما أشبهه [٤].

مثال ٢- قال تعالى: **﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ﴾** [النور: ٤٣]، منقوص أي ضوء البرق وسناء ممدود أي الشرف[٥].

مثال ٣- قال الفرزدق: (الوافر)

رأيتُ ابْنَ المراغة حين ذكّى تحوّل غَيْرَ لحيته حمارا

ذكّى أسن، والذّكاء من السن ممدود والذكاء من الفهم ممدود، وذكا النار، وهو

---

(١) هذا تمحيص ابن عصفور الإشبيلي انظر ضرائر الشعر ١١٦.

(٢) ذكره أبو حيان الأندلسي في الارتشاف ٢/٥١٧.

(٣) انظر: ضرائر الشعر ٤١.

(٤) النقائض ١/٢٦١ وقال الفراء (في المنقوص والممدود ٢٣): الفضاء ممدود، المتسع من الأرض، والفضى هو الشيء المختلط يكتب بالياء إذا خلطت تمرًا وزبيبًا في إناء واحد، فقلت هو فضي في جراب وأنشد: (الطويل)

فقلت لها يا عمتي لك ناقتي وتَمْرٌ فضيٌّ في عيبتي وزبيبُ

وقال ابن السكيت (في المقصور والممدود ٩٤) يقال في رَحْلِ فلان تَمْرٌ فضي أي غير مجموع ولا مصرور.

(٥) المجاز ٢/٦٨.

ضوءها مقصور[1].

ومن خلال الأمثلة السابقة يتبين لنا أن أبا عبيدة يرصد طريقة اللغة في تخصيص المفردات بدلالات جديدة تترتب على التطور الصوتي واللهجي من خلال إبراز الفروق الدلالية بين المقصور والممدود.

مثال ٤ – قال الفرزدق: (الطويل)

وبَاشَرَ راعيها الصَّلَى بلبانه   وكفَّيهِ حَرَّ النار مَا يَتَحَرَّفُ

قال: (الصَّلَى: يريد صَلَى النار، إذا فتحت أول الصَّلَى فهو مقصور، وإذا كسرت أوله فهو ممدود[2].

ونقل عنه أبو عبيد القاسم بن سلام[3]: (القُرْفصاء مضموم ممدود، وهو أن يجلس على أليتيه، ويلصق فخذيه ببطنه ويحتبي بيديه وبَعْضُهم يقول: القِرْفِصى مقصور مكسور) ويتضح في بيت الفرزدق المعاقبة بين الفتح والكسر فالفتح هو اتجاه الحضر وكذلك القصر والكسر هو اتجاه البدو وكذلك المد[4] واتجاه الفرزدق في أحيان كثيرة اصطناع اللغة الفصحى.

وفيما نقله عنه ابن سلام تتضح المعاقبة بين الضم والكسر كذلك فالكسر — في مقابل الضم — هو لغة الحضر وهو اتجاه القصر والضم — في مقابل الكسر — هو اتجاه البدو وكذلك المدّ ومن خلال هذا الانسجام في ملحوظات أبي عبيدة يمكن القول

---

(١) النقائض ١/٢٦٠ جاء في باب الممدود الذي يضم أوله ذكاء للشمس وذكاء الصبح انظر المقوص والممدود للفراء ٣٧ وجاء في باب الممدود الأول الذكاء في العقل المرجع السابق ٤٦ وانظر كذلك المقصور والممدود لابن السكيت ٧٩ و ٩٠.

(٢) النقائص ٢/٥٦١، قال الفراء: الصِّلا بالنار يمد ويقصر، والمد أكثر، والقصر قليل، وأنشد بعضهم: (الطويل)

وقاتل كَلْب الحي عن نار أهله   لِيَرْبِضَ فيها والصَّلى متكَنَّفُ

فقصره، وإذا فتح قصر وكتب بالياء لأنه من صليته. قال سلمة وأنشدني غير الفراء: (الطويل)

وباشر عليها الصَّلى سبانه ... البيت، وهو مثال أبي عبيدة المشار إليه. انظر المقوص والممدود للفراء ٢٥ واللسان مادة صلا ٤/٢٤٩٢.

(٣) الغريب المصنف ٢/٥٦٨.

(٤) عقد ابن السكيت بابًا أسماه (ما يفتح أوله فيقصر ويكسر فيمد) وذكر فيه ستة أمثلة من بينها ما ذكر أبو عبيدة انظر المقصور والممدود ٩٩ و ١٠٠ ولا يعني هذا الاطراد ؛ فقد ذكر عكسه في كتب المقصور والممدود، ولكن لمّا وجدنا الانسجام بين ملحوظات أبي عبيدة الصوتية واللهجية وملحوظاته في المقصور والممدود سجلنا ذلك.

الجَوى: فساد الجوف من جويت العدة فهي تجوي جَوىً [1] والردى:الهلاك من رَدِىَ الرحل يَرْدى ردىً مقصور[2].

سُوِىً: اسم منقوص بمعنى النصف والوسط يضم أوله ويكسر [3]." سيما " منقوصة، العلامة[4].

والوعي: اجتماع الأصوات ومثله الوحى والوعي مقصور كله[5].

أضًا تُجْمع على إضاء[6]، ورجًا تجمع على أرجاء[7]، وعِدى تجمع على أعداء [8].

ونلحظ على هذه الطائفة الأخيرة من الأمثلة أنه يوظف المقصور والممدود لبيان ما يَلْتبس منهما بنظيره فالجوى تلتبس بالجواء[9]،والردى بالرداء[10]،والوحَى بالوحاء[11]،

---

(١) النقائض ٣٩٥/١.

(٢) المرجع السابق ٢٦٣/١ وانظر المقصور والممدود لابن السكيت ٩٣/ووضعه الفراء في باب المقصور الذي لا يشهه شيء انظر المقوص والممدود ٤١.

(٣) قال تعالى: { مكانًا سُوىً } طه /٥٨ قال: يضم أوله ويكسر وهو مقوص يجري مجرى عُدىً وعِدىً والمعنى النصف، والوسط فيما بين القريتين وقال موسى بن جابر الحنفي: (الطويل)

وإنَّ أبانا كان حَلَّ ببلدة سُوىً بين قيسٍ قيسَ عَيْلانَ والفِزْر المجاز ٢٠/٢.

(٤) المجاز ٢١٥/١، وذكر ابن السكيت نصَّ عبارة أبي عبيدة في المجاز انظر المقصور والممدود ٦٤.

(٥) النقائض ٦٠٢/٢ والوحي الصوت ابن السكيت ٩٣.

(٦) قال جرير: (الطويل)

عليهم مفاضاتُ الحديد كأنها أضًا يوم وَحْنٍ في أحاليد صَحْصَحِ

قال وجمع أضًا، إضاءٌ كثيرة ممدود وهو مكسور الأول وقال النابغة في ذلك: (الطويل)

طُلِينَ بكديونٍ وأُشعِرن كُرَّةً فَهُنَّ إضاءٌ صافيات الغلائل

انظر النقائض ٥٠٨/١ وانظر المقصور والممدود لابن السكيت ١٠٠.

(٧) انظر شرح القصائد السبع الطوال ١١١و ١١٢.

(٨) يريد بها النواحي فَعدى النهر جانبه، وأعداء النهر جانبًا النهر الشواهد والمعاني في النقائض ٢٨١/١.

(٩) الجواء اسم وادٍ المقصور والممدود لابن السكيت ٨٣.

(١٠) الردى في مثله قوله (وعقبان الردى) أي الهلاك انظر أمالي الزجاجي ٧٢، ٧٤ والرداء بمعنى الثوب في مثل قوله: فعم الرداء على المئزر السابق ١٩٠.

(١١) الوحَاءُ مفتوح الأول. بمعنى اللوعة المقصور والممدود لابن السكيت ٨٩.

والوَعَى بالوِعاء[١] وقد يبين أن المفرد قد يأتي مقصورًا وجمعه من الممدود فتلك الأمثلة تبين اهتمام أبي عبيدة بإيضاح العلاقة الصرفية والدلالية بينهما.

مثال٦– قال الفرزدق: (الطويل)

أراني إذا فارقتُ هِنْدًا كأنني دوا سِنَةٍ مما التقى في فؤاديا

قال: (دوىً: سقيم يقال رجلٌ دوىً وامرأة دوىً وقوم دوىً ونسوة دوًى، واحد وكذلك في التثنية على لفظ واحد ويقال جمعه دَوُون، وضنًا وضنون ودَنَفٌ ودَنفون)[٢].

مثال٧– وفي قوله تعالى: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ [الفجر: ٣]قال: (الشفع الزكا وهو الزوج، والخسا وهو الفرد قال الكميت: (الطويل)

إذا نَحْنُ فِي تَعْداد خَصْلِكَ لم نَقُلْ خسا أوزكا أعْيَيْنَ منا المُعَدِّدا

ترك التنوين في خسا وزكا، أحسن وقد ينون أيضًا)[٣] وقال في مناسبة مَرّت[٤] (وزكريّا ساكن الألف) ومعنى أن الألف ساكن أي لا يدخله التنوين[٥].

ونلحظ في المثالين الآخرين أنه تَعرّض لقضايا صرفية وتركيبية تخص الاسم المقصور ملخصها الآتي:

١ـ هناك من الأسماء المقصورة ما يأتي على صورة واحدة للجمع والتثنية والإفراد.

٢ـ هناك من يجوّز جمعه جمع السالم أو تركه على صورة المفرد.

٣ـ الاسم المقصور يدخله التنوين في حالة الصرف.

٤ـ يفهم ضمنًا أنه يرجع تطور خسا وزكا المقصورتين عن اسمين ممدودين وذلك لاستحسانه ترك التنوين.

٥ـ يفهم من قوله " الألف ساكن " أن الاسم المقصور لا يدخله الإعراب.

ويمكن أن نجمل مظاهر التوظيف اللغوي في معالجة المقصور والممدود عند أبي عبيدة في النقاط التالية:

١ـ يبرز العلاقة بين المقصور والممدود لإيضاح خصائص لهجية كالمعاقبة بين اتجاه القبائل نحو الضم أو الكسر أو الفتح.

---

(١) الوعاء: الجراب وما أشبهه المرجع السابق ٨٣.
(٢) النقائض ١/١٦٩.
(٣) المجاز ٢/٢٩٧.
(٤) المرجع السابق ٢/٢.
(٥) شرح ذلك ابن السكيت وقال حيث التنوين ساكن ولا يلتقي ساكنان انظر المقصور والممدود ٤١و ٤٢.

٢ـ يسوق الشواهد على إبراز الفروق الدلالية بين الاسم المقصور والممدود وذلك بأن يكون أصلهما في الجذر اللغوي واحدًا ثم حدث تخصيص للدلالة تبعًا للتطور الصوتي أو حدوث لبس بين المقصور والممدود فينبغي على دلالة أحدهما.

٣ـ إبراز العلاقة الصرفية بينهما كعلاقة المفرد بالجمع أو المعاملة الإعرابية والصرفية لبعض ألفاظهما.

٤ـ تابع العلماء بعد أبي عبيدة طريقته في مؤلفات الممدود والمقصور وأفردوا لملحوظاته العابرة أبوابًا في مؤلفاهم يجعلونها أصلاً للباب وأوضح مثال على ذلك ابن السكيت في كتابه المقصور والممدود فضلاً عما نقلته المعاجم والمؤلفات الأخرى[1] من شواهده وآرائه.

رابعًا - الصرف

١ـ الاسم المصغر

التصغير، تغيير يطرأ على الأسماء لمعان أشهرها التحقير والتدليل وهو مميز صرفي للأسماء عن غيرها من فصائل الكلِم يقولُ سيبويه[2]: (إنما تُحقر الأسماء، لأنها توصف بما يعظم ويهون والأفعال لا توصف؛ فكرهوا أن تكون الأسماء كالأفعال).

وتُطْلِعُنَا أمثلةُ أبي عبيدة على بعض نماذج التصغير عنده مثل:

١ـ الخُبَيْتُ: (وهو اسم للوادي العميق الوطِئ المطمئن)[3].

قال[4]: (هو تصغير خَبْت) وأنشد: (الرجز)

وَمَشْيُهُنَّ بالخُبَيْتِ مَوْرُ   كَمَا تَهَادَى الفَتياتُ الزَّوْرُ (٥).

٢ـ عُنيزة تصغير عَنْزٍ وهي اسم موضع[6] في قوله: (الكامل)

---

(١) انظر ما جاء عن اللحياني في المقصور والممدود للقالي ١٨٥ في لفظتي (سوى وسواء) والشواهد المذكورة عنده هي مقولة أبي عبيدة في المجاز ٢/٢٠ و ١٠١، وانظر ما جاء في المقصور والممدود للقالي أيضًا ١٧٣ وهو عن لفظة (الإني) في قوله تعالى: ﴿غير ناظرين إناه﴾ [الأحزاب: ٥٣]، هو قوله في المجاز ٢/١٤٠.

(٢) الكتاب ٣/٤٧٨. (٣) اللسان مادة (خبت) ٢/١٠٨٧. (٤) النقائض ١/٣٨.

(٥) الزور: الخيال. (٦) النقائض ١/٣٣٤.

أَمِنَ الفِراقِ لقيتَ يَوْمَ عنيزةٍ كهواك يوم شقائق الأحْفَارِ

٣ــ أُدَيْرة: تصغير أُدْرة[١] وهو نَبْزٌ رماهم به جرير حيث يقول: (الكامل)

أبني أُدَيْرة إن فيكم فاعلموا خَوَرَ القلوب وخِفَّةَ الأحلام

٤ــ نُسَيَّة: تصغير نساء[٢] قال جرير: (الرجز)

لاَ تُوْعِدُنِي يا بَنِي المُصِنَّهْ إنَّ لَهُم نُسَيَّةً لُعِنَّهْ

٥ــ ومما جاء على بناء التصغير وليس منه عند أبي عبيدة

مُهَيْمِن ومُسيطر ومبيطر ومُبيقر، وهي صفات لها أفعال[٣].

٦ــ ومما يُظَنّ أنه من التصغير ولم يقطع به كلمات مثل[٤] (مُدَيْبِر، اسم وادٍ، ومجيمر، ومُبَيقِر)

قال (ووجدنا من الأسماء ما لا ندري ــ أي لا ندري لها أفعالاً) ثم ذكر الألفاظ السابقة وقال: لعلها مصغرة وأغلب الظن أن أبا عبيدة يرى أن هذه الأسماء تحتمل أمرين الأول صفات لها أفعال ثم صارت أسماء أعلام، الثاني: أنها أسماء صغِّرت وفي كلتا الحالتين لا يقطع برأي لأنا لا ندري في الحالة الأولى أفعالاً مستخدمة كـ دبر وجَيمر وبيقر[٥] وفي الحالة الثانية لم نسمع بـ مَدْبر ومَجْمَر ومَبْقر.

٢. الاسم المنسوب

استخدم أبو عبيدة مصطلح النسب والإضافة للدلالة على الاسم المنسوب، وإن كان مصطلح الإضافة هو الغالب على استخدام سيبويه[٦] فإن مصطلح النسب هو الغالب على استخدام أبي عبيدة ويتضح ذلك من خلال، ما نعرضه من الأمثلة ونقسم ملحوظاته في هذا الموضوع إلى قسمين: النسب إلى الأعلام، وما يؤدي معنى النسب بغير ياءيّ النسب.

---

(١) السابق ١٨/١ وهو ــ أي السر ــ مما يكون في الرجال ولا يكون في النساء.

(٢) السابق ٤/١. (٣) المجاز ٢٥٦/٢. (٤) السابق نفسه.

(٥) وجاء في اللسان عن أبي عبيدة: بَيْقر الرجل في العدو إذا اعتمد فيه، وبيقر الدار إذا نزلها واتخذها منزلاً اللسان مادة بقر ٣٢٥/١ وجاء في اللسان مادة جمر والمُجَيْمِر: موضع، وقيل اسم جبل ٦٧٧/١.

(٦) انظر الكتاب ٣٣٥/٣ وما بعدها

(حُطميَّة: منسوبة إلى حُطمة بن محارب بن عمرو بن وديعة..)[١].

وقال أيضًا: (الطويل)

مصاليتُ يوم الرَّوْع تَلْقَى عِصِينا سُرِيجيَّةً يَخْلِين ساقًا ومعصما

(والسريجيَّة: نسبها إلى بني سُريج من بني مُعْرِض بن عمرو بن أسد ابن خزيمة، وكانوا قيونًا)[٢].

وقال أبو عبيدة[٣]: (وقد قالوا في الإضافة إلى العَبَلات، وهي حَيٌّ من قيس: عَبْلِيٌّ، أوقع الإضافة على الواحد).

وقال البعيث: (الطويل)

وجِرْويةٍ صُهْبٍ كأنَّ رءوسها مَعَاجِنُ نَبْعٍ في مُثَقَّفَة عُصْلُ

(الجِرْويَّة: إبلٌ نَسَبُها إلى جِرْوَة وهم من بني القين بن جَسْر من قضاعَة [٤]).

٢ــ النسب إلى اسم حيوانٍ أو نباتٍ أو مياه:

قال الفرزدق: الطويل)

فأَلْقى مِرَامَ الدَّاعِريَّة خوضُها بِنَا اللَّيلَ إِذْ نَامَ الدَّثُورُ المُلَفَّفُ

(الدَّاعِريَّة: إبل منسوبةٌ إلى فحل يقال له دَاعِرٌ معروف بالنجابة والكرم)[٥].

ويقال للإبل إذا رعت الخُلَّة، خُلِّيَّةٌ، وإذا رعت الحمض فهي حَمَضِيَّة، وإذا رعت الطلح فهي طِلاحِيَّة[٦].

وفي قوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ﴾ [النور: ٤٠]، قال: (لُجِّيّ) مضاف

---

(١) النقائض ٤٨٦/١. (٢) السابق ٦٥/١. (٣) الارتشاف ٦٠٤/٢.

(٤) النقائض ١٣٥/١. وقال سيبويه: (ويقولون في بني جروة، وهم حَيٌّ من العرب: جِرْوِيٌّ) انظر الكتاب ٣٤٨/٣.

(٥) النقائص ٥٥٩/٢. (٦) النقائض ٤٠/١.

إلى اللُّجَّة؛ وهي معظم البحر)[1].

٣ــ النسب إلى أسماء البلدان والأماكن:

قال الفرزدق: (الطويل)

وإنِّي لمن قومٍ يكون غَسُولَهم قِرَى فَارةِ الدَّاريِّ تَضْرَبُ في الغِسْلِ

(الداريُّ: منسوب إلى دارين بالبحرين)[2].

وقال أيضًا[3]: (الطويل)

شآمِيَّةٌ تَغْشَى الغفائِرُ نَارَها وتَنْجُمُ كلابُ الحيِّ فيها هريرُها

وقال جرير: (الطويل)

أَلاَ طَرَقَتْ شَعْثَاءُ واللّيلُ مُظْلِمٌ أَحَمَّ عُمانيًّا وأشعثَ ماضيا

(عُمَاني: رجل منسوب إلى عُمان)[4].

وقال أيضًا: (الطويل)

لَدَى قَطَرِيّاتٍ إذا ما تَغَوَّلَتْ بنا البيدُ غاولن الحُزومَ القياقيا

(قطريَّات: إبل منسوبة إلى قطر، وهي أرض بالبحرين)[5].

ونسجل في هذا القسم الملحوظات التالية:

١ــ أنه في النسب إلى الاسم المختوم بتاء التأنيث؛ قد حُذفت هذه التاء سواء أكانت لاحقة لعلم مذكر مثل حُطَمة أو لمؤنث مثل جرْوة أو لاحقة لاسم المصدر كما في لُجَّة فقالوا فيها على الترتيب حُطَميٌّ وجِرْوِيٌّ ولُجِّيٌّ، وهذا هو القياس.

٢ــ وفي النسب إلى الاسم المضاف، مثل بني سريج وبني جروْة؛ نُسِبَ إلى الجزء الثاني من التركيب الإضافي مخافة اللبس وعلى هذا قياس النحاة[6].

٣ــ وفي النسب إلى الطلح والحَمْض، جرى تغييرٌ في بنية[7] الاسم المنسوب؛ فقالوا

---

(١) البحار ٢/٦٧. (٢) النقائض ١/١٣٢.

(٣) النقائض ١/٥٢١ وعلّق أبو العباس على ذلك البيت قائلاً قولهم: يمانٍ القياس فيه يمنيٌّ. فلما أدخلوا الألف قالوا يمانٍ وجعلوه مثل قاضٍ ورامٍ، ويقول في النسبة إلى الشام شاميٌّ وأنشد: (الطويل)

أوديٍّ هباتٍ كُفْرٌ قور البريدَ غدا طَارَتْ بمحراته الشَّآميَّةُ السُّهُكُ المرجع السابق نفسه.

(٤) المرجع السابق ١/١٧٥ (٥) المرجع السابق نفسه. (٦) انظر الكتاب ٣/٣٧٥.

(٧) سماه الخليل وسيبويه المعدول الذي على غير قياس انظر الكتاب ٣/٣٣٥.

طلاحِيَّة[١] وحَمَضيَّة[٢]، وذلك بإضافة فتحة طويلة إلى عين الكلمة الأولى وفتحة قصيرة إلى عين الثانية[٣]، كما جرى تغيير فاء الكلمة الأولى من الفتح إلى الكسر[٤].

وفي النسب إلى (دارين) حُذفَ عَجُزُ الكلمة ونُسبَ إلى صدرها وهي كلمة أعجميَّة وكأنه حملها[٥] على التركيب الإضافي المشابه له وهذا مخالف للقياس، ولكنه، معتَمدٌ على السماع عن العرب.

٤ـ وفي النسب إلى الجمع (العبلات) نَبّه إلى أن القياس أن العرب توقع الإضافة على المُفْرد فيقولون عَبْلي وقال بذلك متابعًا له ابن سيده وابن السَّراج في هذه اللفظة[٦]، وتَظُنّ أنه لا ينكر الرواية الأخرى عن العرب[٧] لما خبرناه عن منهجه في التخفيف والتثقيل عند العرب.

ثانيًا – ما يُعَبِّرُ عن النسب بغير الياء

مثال ١ – قال جرير: (الكامل)

يا ثَلْطَ[٨] حَامِضَةٍ تَرَوَّمَ أَهْلُها عَنْ ماشطٍ وَتَنَدَّتِ القُلاَّما

---

(١) أثبتها محقق النقائض بالكسر وهي عند سيبويه بالضم وانظر الكتاب ٣٣٦/٣ ونصَّ أبو حيان الأندلسي على أنها بالكسر والضم الارتشاف ٦٣١/٢ ونظن أنها عند أبي عبيدة بالضم والكسر اعتماداً على منهجه السابق في المعاقبة بين الحركات مما وضحناه في الدراسة الصوتية.

(٢) قال سيبويه حَمْضيّة وحَمَضية) وهي بالتسكين عنده أكثر وأقيس في كلام العرب انظر الكتاب ٣٣٦/٣. وذكرها أبو حيان فيما شذ عن أصل بنيته بالتحريك انظر الارتشاف ٦٣١/٢ ونظن أنهما جائزتان عند أبي عبيده

(٣) وذلك من ملحوظات أبي عبيدة الصوتية ونضيف إلى ذلك كلمة شآمي التي علق عليها أبو العباس وكذلك كلمة يمان وهو من منهج أبي عبيدة في إضافة الحركة القصيرة أو الطويلة أو حذفها تخفيفًا ثم المعاقبة من الحركات. لما علمنا من قانون التخفيف عنده حيث أصل (الحَمْض) بناءً على هذا القانون (حَمَض) بالتثقيل وعلى هذا فسماعها بالتسكين في النسب أو بالتحريك فإنّما هو من باب الرجوع إلى الأصل أو التعامل مع ظاهر اللفظ

(٤) المعاقبة بين الحركات.

(٥) وفقًا لمنهج أبي عبيدة في الحَمْل والقياس.

(٦) انظر حاشية الارتشاف رقم ٢ في ٦٠٤/٢.

(٧) التي قالوا فيها (عَبَليُّ حيث أقروا حركة الجمع وذلك لجريان الجمع مجرى العلم انظر المرجع السابق نفسه.

(٨) ثَلْط. كلمة هجاء يريدها سَلْح البعير، وماشط اسم ماء لبني طُمَيَّة مِلْحٌ، والقلام نوع من الحموض، والتدرية نوع من الشرب مثل النهل والعلل ويكون في الحمض النقائض ٣٩/١ /٤٠ .

قال: (والحامِضة: التي تأكل الحَمْضي، يقال حامِضة وحَمَضّية)[١].

مثال٢– وقال جريرٌ أيضًا: (الكامل)

لَوْ كان يَعْلَمُ ما استجار مُجاشعًا أسناهُ مُمْلِحَةٍ هَوارِمَ خُور[٢]

(هوارم مُسِنّات أو الهوارمُ تكون الإبل التي تأكل الهَرَم وهو نَبْتٌ أي غزيرات الخور من الإبل.. ومَملَحة إبل تَشْرَبُ ماءً مِلْحًا، أمْلَحت الإبل تُمْلِحُ إملاحًا)[٣].

مثال٣– وفي قوله تعالى: ﴿**فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ**﴾ [يس: ٥٥]، قال: (من قرأها (فاكهون) جعله كثير الفواكه، صاحب فاكهة قال الحطيئة: (الكامل مدور)

ودَعَوْتَني وزَعَمتَ أَنّكَ لابِنٌ في الصيفِ تامر

أي ذو لبنٍ وتمر أي عنده لبن كثير وتمر كثير، وكذلك عاسل ولاحم وشاحم[٤].

مثال٤– قال ابن أحمر: (المتدارك)

هَلْ أَنْسَأَنَ يومًا إلى غيره أنِّي حَوَّالِيْ وأنِّي حَذِرْ

(حوَّالي: ذو حيلة.

مثال٥– وقال (عبَّاس بن مِرْداس: (الوافر)

وإني حاذرٌ أَنْمِي سلاحي إلى أوصال ذَيَّالٍ منيعِ

الذيّال: الفرس الطويل الذنب)[٥].

ومن خلال هذه الشواهد نسجل ما يلي:

١ــ يعبر عن معنى النسب في بعض الصيغ بوسيلة غير ياء الإضافة [٦] فقد تؤديها صيغة اسم الفاعل من الثلاثي مثل حامض أو الرباعي مثل مملح أو صيغة الجمع كهوارم.

٢ــ يفهم من طريقة الاستبدال في الشاهد الرابع حيث نسب إلى صيغة المبالغة من الحيلة (حوّال) ثم فسرّها بعلاقة (ذو أو صاحب) يفهم من ذلك أنه يستبدل ياء الإضافة بـ (ذو أو صاحب + مضاف إليه).

---

(١) السابق ٤٠/١. (٢) يريد استجارة عبد الله بن الزبير بني مجاشع.

(٣) النقائض ٩٣٦/٢ و ٩٣٧. (٤) المجاز ١٦٤/٢ وانظر كذلك ٢٣٢/٢. (٥) السابق ٨٦/٢.

(٦) قال سيبويه: (هذا بابٌ من الإضافة تحذف فيه ياءُ الإضافة) ثم جعله قسمين الأول أما يكون صاحب شيء يعالجه مثل ثوّاب وجمّال.. والثاني ما يكون ذا شيء انظر الكتاب ٣٨١/٣ و ٣٨٢ واستشهد سيبويه ببيت الحطيئة وهو شاهد أبي عبيدة كما نرى.

وبالتالي نستنتج أنه إذا قال في تامر ذو تمر وفي لابن ذو لبن وفاكـــه ذو فاكهـــة وعاسل ذو عسل ونحو ذلك.

نستنتج أنه يريد نسبة التمر واللبن.. (إلى آخره) إلى الوصف المذكور.

الْفَصْلُ الثَّالِثُ- جُمُوعُ التَّكْسِيرِ

أولاً- المصطلح وطريقة البناء.

ثانيًا- جرد صيغ جمع التكسير عند أبي عبيدة.

أـ جموع القلة وما يلحق بها.

ب ـ جموع الكثرة وما يلحق بها.

ج ـ صيغة منتهى الجموع وما يلحق بها.

د ـ صور مختلفة من الجمع.

هـ النتائج

المصطلح

١ــ المفرد

عبّر أبو عبيدة عن مفردات جموع التكسير، بلفظة " الواحد " للمفـــرد المـــذكر " والواحدة " للمفردة المؤنثة[١] وكانت طريقته على النحو التالي:

واحدها[٢]...، واحـــدها..[٣]، واحـــده...، واحـــدهم...[٤] الواحـــدة[٥]، الواحد... وقد تشابه المجاز والنقائض في استخدام هذا اللفظ إلى حد التطابق.

٢ــ الجمع

استخدم أبو عبيدة لمصطلح الجمع بعض الألفاظ المشتقة من هذا اللفظ وهي:

الجمع: وهو المصطلح الغالب في النقائض[٦].

الجميع: وهو المصطلح الغالب في المجاز[٧].

جماعة: مشترك بين النقائض والمجاز[٨].

جماع: مستخدم في المجاز فقط[٩].

جمع الجمع: مستخدم في النقائض والمجاز[١٠].

---

(١) مثال دلك قوله تعالى: { استحق عليهمُ الأوليان } المائدة /١٠٧ قال: استحق عليهم الأوليان ــ بالفتح ــ واحدها الأَوْلى، ومن قرأها: الأُولياں، فالواحدة منها الأُولى انظر المحار ١/١٨١.

(٢) المجاز ١/٣٤، ٢٢١، ٢٤٠، ٣١٢، ٣٦٩، ٣٩٢و ٢/٣٠، ١٩١، ٢١٧، ٢٤٢، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٢، والنقائص ١/٩، ١٠، ١٣، ٣٤، ٨٣، ١٣٤، ١٦٢، ١٠٣، ١٠٩، ١٧١، ٢٥٤، ٥٠٨، ٥٣٩، ٥٢٧، ٥٢١، ٥١٢، ٥٣٧، ٥٣٨، ٢/١٠٤، ٧٥٤.

(٣) المحار ١/٢٤٢، ٢٤٣، ٢٢٦، ١٣٢، ١٨٩، ٣٠٠، ٤٠٣، ٢/٥٠، ١٢٩، ١٤٤، ٢٤٤، النقائص ١/٣، ٦، ٧، ١٢٩، ٢٣٠، ٢٣٩، ٣١٨، ٣٩٤، ٤١٨، ٢٩١، ٥٠٠، ٥١٦، ٢/٩١١.

(٤) المحار ١/٢٣٠، ٢٦٨، ٢/١٣٥، النقائض ١/١٠، ٢٩، ٨٢، ٤٤٢.

(٥) يشبه ما مصى مں إحصاء متقارب ومتناسب ويشير بـــ (واحدهم) إلى الدكور العاقلين.

(٦) النقائض ١/١٧٣، ٢٣١، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٩٩، ٤٤١، ٤٥١، ٢/٧٥٤، ٩٧٧. المجاز ١/٣، ١٩٦، ٤٠١، ٢/٩٠.

(٧) المحار ٢/١٠، ٣٦، ٥٨، ١٣٥، ١/١٦٧، ٣٩٦، ٣٧٩، ٣٨٥، ٢٠٢، ٢٦٢. النقائض ...

(٨) المحار في صيغة فُعُل ٢/٢٦٠ و ٢٧٠ النقائض في صيغ مختلفة ١/٣، ٨، ١٦، ١٧٣، ٤٩٠، ٤٧٨، ٢/٧١٢. واستحدم لفظ حماعات المجاز ١/١٣٢ و ٢/٢٧٠.

(٩) المجاز ٢/٢٧٠، ٢/٢٣٦.

(١٠) المجاز ٢/٢٨٢ والنقائض ٢/٦٨٧ و ٨٠٠.

ونلحظ أن المجاز قد استخدم بعض هذه المصطلحات في موضع واحد جنبًا إلى جنب مثل: " الجمع والجميع[١] الجمع والجميع وجماع[٢]، جماع وجماعات[٣].

٣ــ القلة والكثرة:

استخدم أبو عبيدة العدد في مواضع محدودة لبيان دلالة القلة والكثرة مثل:

(ما بين الثلاثة إلى العشرة)[٤]، (إلى العشرة)[٥] للدلالة على القلة و (ما بين الثلاثين إلى العشرين)[٦] وقد يتبع بعض الصيغ بلفظة كثيرة)[٧] للدلالة على الكثرة، وقد يقيس جمعًا على آخر ليبين دلالته العددية[٨] أو يَقْرِن بين جمعين مختلفين أحدهما للقلة والآخر للكثرة ليبين خروج هذا إلى دلالة ذاك[٩].

٤ــ القياس والحمل:

ومعناه هو قياس صيغة على أخرى في أبنية المفرد أو الجمع أو قياس دلالة القلة والكثرة بعضها على بعض وكان تعبيره عن ذلك على النحو التالي:

١ــ وهو القياس[١٠]. ٢ــ خرج مخرج كذا[١١].

٣ــ تقديرها كذا ... أو على تقدير كذا ....[١٢].

٤ــ أو بمنـزلة ...[١٣]. ٥ــ أو مثل[١٤] .. كما تقول...[١٥]

٦ــ ومجازها مجاز .....[١٦].

---

(١) المجاز ٣٨٤/١. (٢) السابق ٩٠/٢. (٣) السابق ٢٧٠/٢.

(٤) بعد أن ذكر صيغة (فُعْل) قال (وما بين الثلاثة إلى العشرة أسورة) انظر المجاز ٤٠١/٨ ويفهم من هذا التعبير صيغة [فُعْل] للكثرة صيغة أفعه من صيغ جموع القلة.

(٥) قال: في صيغة أفعال (وأشياخ إلى العشرة) انظر النقائض ١٧٢/١.

(٦) انظر المرجع السابق ٥١٧/١.

(٧) المرجع السابق ٣١٤/١ وانظر مقاييس اللغة ٢٨٨/١.

(٨) سنذكر بعد قليل المواضع القياسية ونشير إلى نماذج منها.

(٩) مثل الإقران بين الجمع المزيد بالألف والتاء في جموع القلة عندما يقرنه ببعض جموع الكثرة وقد أشرنا إلى ذلك في عدة مناسبات عند الحديث عن الصيغ.

(١٠) المجاز ٣٢٠/١. (١١) المرجع السابق ٣/١، ٤، ٥، ١٠٦، ١٠٧، ٢٠١، ٣١٥، ٣٦٤، ٣٩٠.

(١٢) المرجع السابق ١٤٢/١، ٢١٧، ٤٠٩، و ١٥٣/٢. (١٣) المرجع السابق ٢٨٦/١، ٤٩/٢.

(١٤) المرجع السابق ٢٨٨/١ والنقائض ٢٩٠/١. (١٥) النقائض ٥٠٤/١ و ٥٠٨.

(١٦) المجاز ٣٢٣/١ [المَثُلاتُ واحدها مَثُلة ومجازها مجاز الأمثال].

٥. منهج البحث في وصف وبناء جموع التكسير

عند أبي عبيدة وتحليلها وذلك وفقًا للخطوات التالية:

١ــ تقسيمها إلى جموع قلة وكثرة وصيغ منتهي الجموع ونحو ذلك.

٢ــ ترتيبها على مستويينُ: الأول الترتيب على مستوى كل قسم من حيث كثرة الشواهد مع مراعاة الناحية الخاصة بالأبنية حيث يؤدي البناء إلى ما يليه.

الثاني- الترتيب الداخلي للشواهد، وذلك بالترتيب الهجائي للمفردات مع مراعاة تقديم الشواهد القرآنية على غيرها.

٣ــ الجمع بين شواهد من المجاز والنقائض ما أمكن.

٤ــ ذكر عبارة أبي عبيدة في سياق الجمع والمفرد.

٥ــ مقابلة آراء وتعليقات أبي عبيدة بنظيرها عند سيبويه بحسب ما تسمح به المادة اللعوية.

٦ــ مراعاة منهح أبي عبيدة الخاص في بعض الجموع وبخاصة ما انفرد بــه أو مــا خالف فيه الخليل وسيبويه وتسجيل ملاحظات الباحث أولاً بأول على كل صــيغة أو مجموعة صيغ بينها علاقة.

٧ــ وقد نظم البحث جموع الكثرة على أساسي القياس ومراعاة القوانين الصوتية عند أبي عبيدة فجاءت على النحو التالي:

١ــ الجمع بحذف التاء في المفرد أو زيادة حركة قصيرة على المفرد ويدخل ضــمن ذلك ما اجتمع فيه الحذف والتعويض مثل حذف الحركة والتعويض عنــها بالتــاء في وزن فاعل الصحيح والجمع فَعَلَه أو حذف الحركة والتعويض عنها بنبر التوتر في عين الجمع المعتل مفرده بالعين في وزن فاعل والجمع فُعَّل

٢ــ الجمع بواسطة نبر الطول مثل فِعال وفَعِيل وفُعُول.

٣ــ الحمع بزيادة نبر الطول وزيادة صامت في صيغة فعلان.

٤ــ في كل نوع من الأنواع السابقة راعي البحث قوانين المعاقبة والتخفيف كمــا قام بجرد المفردات الملحقة على نظائرها.

أولاً- جموع القِلّة

١ـ صيغة (أَفْعُل)

(١: ١) ما كان مفرده على (فَعْل) مثل: مَرْع وأَمْرُع قال (جرير)[١]: (الكامل)

خُورٌ لهم زَبَدٌ إذا ما استأمنوا وإذا تَتَابَعَ في الزّمان الأَمْرُعُ

قال: جمع مَرْع وهو الخصب

ويلحق بذلك أمة وآم قال الفرزدق: (الوافر)

مَدَدْن إليهمُ بِثُدِيِّ آم وأيدٍ قدوَرثْن بها جِلابا

قال آم جمع أمة[٢].

(١: ٢) ما كان مَفرده على (فُعل) مثل نُعْم وأَنْعُم قال تعالى: **﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾** [النحل: ١١٢]، قال واحدها نُعْم، ومعناه: نعمة، وهما واحد، قالوا: ونادى منادي النبي ـــ عليه السلام ـــ بمنىً: ((**إنها أيام طُعْمٍ ونُعْمٍ فلا تصوموا**)) [٣].

(١: ٣) ما كان مُفرده على (فَعُل) مثل: ضَبُع وأضبُع

قال جرير[٤]: (الوافر)

وأَضْبُعُ ذي معاركَ قَدْ عَلِمْتُم لَقِينَ بجنبه العَجَبَ العُجابا

قال: أَضْبُع جمع ضَبُع.

(١: ٤) جمع المضاعف في المفرد على صيغة أَفْعُل

أورد ابن جني في الخصائص[٥] أن أبا عبيدة يرى أن (أَشُدّه) الـــواردة في آيـــات القرآن الكريم[٦] إنما هي جمع أَشَدّ عليّ حذف الزيادة قال: وربما استكرهوا على ذلك

---

(١) النقائض ٢/٩٧٧ وأمثلته في الكتاب مثل كَلْب وأَكْلُب وكعب وأكعب ...انظر الكتاب ٣/٥٦٧.

(٢) النقائض ١/٤٧٦ قال سيبويه هي بمـــنزلة أكمة آكم آم وإماء انظر الكتاب ٣/٥٩٩.

(٣) المجاز ١/٣٦٩ قال سيبويه: (وقد كُسِّرت فِعلة على أَفْعُل، وذلك قليل عزيز ليس بالأصل قالوا نِعْمة وأَنْعُمُ وشدة وأَشُدُّ) الكتاب ٣/٥٩٢ ويتضح أن أبا عبيدة يرى أنها جمع نُعْم بمعنى المصدر إنعام وإطعام وبالتالي يفهم منه بطريق غير مباشر أنه جمع الجمع

(٤) النقائض ١/٤٤١. (٥) انظر الخصائص ٣/١٢٠ و ١٢١.

(٦) في مثل قوله تعالى ﴿ولمّا بلغ أشده﴾ يوسف /٢٢ وقوله تعالى: ﴿حتى إذا بلغ أشده﴾ الأحقاف /١٥ ونحو ذلك.

في الشعر، وأنشد بيت عنترة: (الكامل)

عَهْدي به شَدَّ النهار كأنما خضب اللبانِ ورأسُهُ بالعظلمِ

ألا تراه لما حذف همزة أشد بقي معه شدّ، كما ترى فكسره على أشُدّ، فصار كضب وأضُب، وصَكّ وأصُك).

وقد أشار أبو عبيدة إلى ذلك في المجاز حيث يقول[1]:

(لا واحد له من لفظه، فإن أكرهوا على ذلك قالوا أشد بمنزلة ضب والجميع أضُبَ)، وقد فسر ابن جني على رؤية أبي عبيدة هذه بعض المشكلات الصرفية مثل تفريقه بين أجْمَع بفتح الميم وأجُمع بضمها قياسًا على ذلك حيث الأولى من باب المفرد والثانية من صيغة أفْعُل التي للجميع[2] وقد جعل ابن جني من رأي أبي عبيدة هذا قاعدة في تفسير بعض ظواهر جمع التكسير يقول في باب فك الصيغ ـــ: (ومن ذلك جمع ما كسرته العرب على حذف زائدة كقولهم في جمع كَرَوان: كِرْوان)[3] ويفهم من عرضه لرأي سيبويه وأبي عبيدة في جمع (أشدّ) أنه يقدم رأي أبي عبيدة[4].

.ونسجل على هذه الصيغة ما يلي:

١ــ أنماط هذه الصيغة في المفرد عند أبي عبيدة كما جاءت في المجاز والنقائض هي فَعْل وفُعْل وفَعُل وأفعل[5] أما عند سيبويه فتشمل ذلك وأنماط أخر في المفردات مثل فِعْل[6] وفِعْلة[7] وفَعَل[8] وفَعَلة[9] وفعيل[10] وفُعال[11].

٢ــ تحدث سيبويه عن المذكر والمؤنث وما جاء على أصل الصيغة في المعتل وما

---

(١) المجاز ٣٧٨/١ واقتصر تعليقه في مواضع أخر على أنه لا واحد له من لفظه انظر ٣٠٥/١ و ٩٩/٢ وهو ما اقتصر عليه أبو جعفر النحاس في عرضه لرأي أبي عبيدة انظر إعراب القرآن ٣٢١/٢.

(٢) انظر الخصائص ٨٦/١/٨٧.

(٣) المرجع السابق ١٢٠/٣.

(٤) انظر تعليق ابن جني في المقارنة بين المذهبين المرجع السابق ٨٧/١ و ١٢٠/٣و١٢١.

(٥) أشرنا إلى معظمها في الحواشي عند ذكر تطبيقات المجاز والنقائض.

(٦) الكتاب ٥٧٥/٣.

(٧) المرجع السابق ٥٨٢/٣.

(٨) المرجع السابق ٥٧١/٣ و ٥٧٢ مثل زَمَن وجَبَل.

(٩) السابق ٥٩٤/٣.

(١٠) السابق ٦٠٧/٣.

(١١) السابق ٦٢٨/٣.

عُدل عن الأصل[١] ونحو ذلك فأقسامها أكثر تنوعًا.

٣ـ تخالف سيبويه وأبو عبيدة في أمرين الأول جمع أنْعُم فقال سيبويه أنها جمع نعمة وقال أبو عبيدة إنها جمع نُعْم.

الثاني– في جمع أشدّ قال سيبويه جمع شِدة وقال أبو عبيدة إنه جمع أشد بعد حذف الزيادة وأيد ابن جني رأى أبي عبيدة.

٤ـ جاءت الأمثلة عند أبي عبيدة جميعها من الأسماء وجاءت عند سيبوية من الأسماء والصفات المستعملة استعمال الأسماء[٢].

٢ـ صيغة أَفْعِلة:

(٢: ١) ما كان مفرده على تقدير (فُعْل) أو (فِعْل)

مثل: كُمَّة وأكِمّة[٣] قِنٌّ وأقنة[٤].

(٢: ٢) ما كان مفرده على تقدير (فَاعِل، وفعيل)

مثل: ناد وأندية[٥]، وجنين وأَجنَّة[٦]، حزيز وأَحزّة[٧].

وسرير وأَسِرَّة[٨]، وكثيب وأكثبة[٩] ونَجِيٌّ وأَنْجِيَةٌ[١٠].

---

(١) ٥٩١/٣ و ٦٢٩ و ٥٨٧ و ٥٨٨. (٢) مثل عبيد وأعبد انظر المرجع السابق ٦٢٨/٣.

(٣) المجاز ١٩٨/٢ وشاهده قوله تعالى: (من أكمامها) سورة قال: وكُمَّة واحد، وجمعها أكمّة.

(٤) النقائض ٤/١، وشاهده قول جرير: (الرجز) وإنّ سَليطًا في الخَسَار إنَّهْ أولادُ قوم خُلقوا أَقِنَّةْ

قال: واحد الأقِنة قِنّ، وهو الذي مُلَكَ هو وأبوه.

(٥) المجاز ١٠/٢، قال تعالى: {وأحسن نديًا} [مريم: ٧٣]، النَّدى والنادي واحد... والجميع منها أندية قال سلامة ابن جندل: (البسيط) يومانِ يومُ مقامات وأندية ويومُ سير إلى الأعداء تأويب

(٦) المجاز ٢٣٨/٢، وشاهده قوله تعالى:{وإذ أنتم أجنة} [النجم: ٣٢].

(٧) قال: الأَحِزَّة جميع حَزيز، وهو ما غلظ من الأرض، قال جرير: (الطويل)

أُبيحتْ ركابِي بالأَحِزَّة بَعْدَما خَبَطْنَ بحوران السَّرِيحَ المحدَّما النقائض ٦٢/١.

(٨) المجاز ٢٣٨/٢.

(٩) النقائض ٢٣١/١، وشاهده قول الفرزدق: (الوافر)

أقولُ لِصاحِبَيَّ مِنَ التّعزِّي وَقَدْ نَكَبْنَ أكثبة العقار

قال: أكَثبة جمع كثيب

(١٠) المجاز ٣١٥/١، وشاهدهُ قوله تعالى: (خلصوا نجيًّا) يوسف ٨٠/ وقول لبيد: (الكامل)

وشهدت أنجية الأفاقة عاليا كعبى وأرداف الملوك شهود [يقال نجيٌّ ويُجمع أنجية]

(٢: ٣) ما كان مفرده على تقدير (فُعال وفِعال)

مثل: شُجاع وأشجعة[١]، وسِنان وأَسِنَّة[٢] وسِوَار وأَسْوِرَة[٣] وكِنان وأَكِنَّة[٤] وقال في مَوضِعٍ آخر وما بين الثلاثة إلى العشرة في سِوار أسورة[٥].

ونلحظ على هذه الأمثلة:

١ــ أشار أبو عبيدة في هذه الصيغة إلى دلالتها من حيث العدد حيث قال (ما بين الثلاثة إلى العشرة)

٢ــ جاءت مفردات هذه الصيغة من الأسماء والصفات زائدة فمن الأسماء كثيب وأكثبة وكِنان وأكنة ومن الصفات شجاع أَشْجِعَة ونَجِيٌّ وأنجية وهي كذلك عند سيبوية[٦].

٣ــ اهتم سيبويه في عرضه لهذه الصيغة بخروج المفرد المضاعف إلى دلالة الكثرة[٧] واهتم أبو عبيدة بالتغير الصوتي في تلك الصيغة وتطابقت بعض الأمثلة بينهما مثل كنان وأكنة وكثيب وأكثبة وحزيز وأحزة[٨].

٤ــ صيغة (أَفْعِلة) التي تحدث عنها أبو عبيدة وعن مفردها في المجاز والنقائض جاءت معظم أفرادها من الاسم المفرد محرك العين بحركة طويلة وقليلها من ساكن العين.

٥ــ كثيرًا ما يحدث في هذه الصيغة نَقْل الحركة مع التثقيل[٩] فيما كانت عينه ولامه من جنس واحد، سواء أكانت عينه ذات حركة طويلة أو منعدمة الحركة في المفرد مثل سِنَان وجمعها على قياس الصيغة (أَسْنِنَة) فَنُقِلَتْ حركة العين إلى الفاء فاجتمعت العَين الساكنة واللام المتحركة وهما من جنس واحد فتحولت إلى حرفٍ واحد مُثَقَّل.

---

(١) النقائض ٢/٦٨٧. (٢) المرجع السابق ١/٢٩٠. (٣) المجاز ١/٤٠١.

(٤) المجاز ١/١٨٨، وشاهده قوله تعالى: (أكنة أن يفقهوه) الأنعام /٢٥ وقول عمر بن أبي ربيعة: (الحفيف)

تحت عينٍ كِنانُها ظِلُّ بُرْدٍ مُرَحَّلُ

(٥) المجاز ١/٤٠١. (٦) انظر الكتاب ٣/٦٠١ و ٦٠٤ و ٦٠٧ و ٦٠٨ و ٦٣٤.

(٧) انظر الكتاب ٣/٦٠١و ٦٠٥. (٨) السابق ٣/٦٠١، ٦٠٤، ٦٠٥ على الترتيب.

(٩) مصطلح أبي عبيدة كما رصدناه في القوانين الصوتية انظر المماثلة الكلية في مبحث الأصوات.

٣ـ أما من ناحية الشواهد فإنه إذا تعرَّض لآية وفيها صيغة الجمع مثل لمفردها[١] من الشعر وإن كان في الشاهد صيغة المفرد مَثّل للجمع.

٣ـ صيغة أفعال:

ساكن العين:

(٣: ١) ما كان (ساكن العين) مفرده على وزن (فَعْل) مثل: مجَلْد وأجلاد[٢]، وذَقْن وأذقان[٣]، وزَرْب وأزْراب[٤] وزوج وأوزاج[٥].

وسَبْط وأسباط[٦] وشيخٌ وأشياخ إلى العشرة[٧]، وصاع وأصواع[٨] ولَوْح وألواح[٩] ونَهْر وأنهار[١٠].

(٣: ٢) ما كان مفرده على وزن (فُعْل) مثل دُبْر وأدبار[١١] وسُؤر وأسآر[١٢] وغُلّ وأغلال[١٣] وقطر وأقطار[١٤] وكُمَّة وأكمام[١٥] وكوب وأكواب[١٦] ولُبٌّ وألباب[١٧].

(٣: ٣) ما كان مفرده على وزن (فِعْل)

---

(١) انظر الشواهد بالحواشي مثل كِنان وأكنّة ونَجيٌّ وأنجية.

(٢) الجَلْد الأرض الصلبة المستوية النقائض ٥٠٨/١.

(٣) قال تعالى: {ويخرون للأذقان} [الإسراء: ١٠٩]، قال: واحدها ذقْن المجاز ١٠٩/١.

(٤) الزَّرْب: حظيرة للغنم تحبس فيها، النقائض ٤٩٣/١.

(٥) قال تعالى: {ولهم فيها أزواج مطهرة} [البقرة: ٢٥]، المجاز ٣٤/١.

(٦) قال تعالى: {أسباطًا}[الأعراف:١٦٠]، المجاز ١٣٠/١، وضبط محقق المجاز سَبْط بفتح السين وضبط اللسان بكسرها (سبط).

(٧) النقائض ١٧٢/١. (٨) المجاز ٣١٥/١ وقرأ بعضهم (صاع الملك)

(٩) المجاز ٢٤٠/٢ وشاهده (ذات ألواح ودسر) القمر /١٣.

(١٠) المجاز ٢٤١/٢ وشاهده (في جنات ونهر) القمر /٥٤

(١١) قال تعالى: {وإدبار النجوم}[الطور: ٤٩]، من فتح الألف جعلها جمع دُبْر. المجاز ٢٣٤/٢.

(١٢) النقائض ٣٢٤/١ وشاهده قول الفرزدق:(الكامل) والحابسين إلى العشيّ ليأحدوا نُزُحَ الرَّكيّ ودَمْنة الأسآر

(١٣) المجاز ٣٢٢/١ وشاهده قوله تعالى: {الأغلال} [الرعد: ٥].

(١٤) المجاز ١٣٥/٢ وشاهده قوله تعالى: {من أقطارها} [الأحزاب: ١٤].

(١٥) المجاز ١٩٨/٢ وشاهده: {من أكمامها} [غافر: ٤٧].

(١٦) المجاز ٢٤٩/٢ وشاهده: {بأكواب وأباريق} [الواقعة: ١٨].

(١٧) المجاز ٣٢٩/١ وشاهده: {أولوا الألباب} [الرعد: ١٩].

مثل: إِثْم وآثام وإِصْر وآصار[١] وإلى (تقدير معىً وآلاء[٢] وتِـرْب وأتـراب[٣] وجِذْم وأجذام[٤].

وحزب وأحزاب[٥] وحقْبة وأحقاب[٦]، رِمٌّ وأرمام[٧] وريعة وأريـاع[٨] وسـفْر وأسفار[٩] وصرم وأصْرام[١٠] وضغْث وأضغاث[١١] وعِدّ وأعداد[١٢] وعِفْو وأعْفاء[١٣] وقِنْع وأقناع[١٤] ونِحْيٌ وأنحاء[١٥] ونِدٌّ وأنداد[١٦].

---

(١) قال الشاعر: (الوافر) أمير المؤمنين بكم نُعشا   وجُدَّ حبال آصار الأثام

قال: آصار، أثقال، الواحد إصْر والأثام جمع إثم النقائض ١٠١٣/٢.

(٢) جعلها في موضع آخر في تقدير قفًا المجاز ٢٤٣/٢.   (٣) المجاز ٨٣/٢

(٤) قال غسان: (الكامل) الآن لّما ابيضّ أعلى مِسْحلي   وأكلتُ من ناحي على الأجْذامِ

قال: الأجدام جماعة جِدمْ وجدم كل شيء أصله النقائض ١٦/١.

(٥) المجاز ١٣٥/٢ وشاهده من سورة الأحزاب.   (٦) المجاز ٤٠٩/١.

(٧) قال جرير: فلقد أبي لك أن تودع خُلّة فبيت   وكان حبالها أرْماما

الأرمام: الأحلام واحدها رم. النقائض ٣٨/١.

(٨) المجاز ٨٨/٢ وشاهده (بكل ريع) الشعراء /١٢٨ وهو الارتفاع وقول ذي الرمة... (مشرِفٌ فوق ريعةٍ) وقول الشماخ ــ (أحضرَ كلَّ ريع).

(٩) المجاز ٢٥٨/٢ وشاهده (يحمل أسفارا) الجمعة /٥.   (١٠) البيوت المتفرقة انظر النقائض ٣٩٥/١.

(١١) المجاز ٣١٢/١ وشاهده (وخذ بيدك ضِغْثًا) ص/٤٤ وقوله: (أضغاث أحلام) يوسف /٤٤.

(١٢) النقائض ١٦٦/١ وشاهده قوله: (الطويل) فأوردك الأعداد والماء نازحٌ   دليل أمري أعطى المقادة بالدّخْل

(١٣) العِفو ولد الحمار السابق ٧١٢/٢.

(١٤) القِنْع: الخفض من الأرض بين الربوين السابق ٤٨١/١.   (١٥) النِحي: رقٌّ السمن السابق ٧١٢/٢.

(١٦) قال تعالى: {فلا تجعلوا لله أندادًا} [البقرة: ٢٢]، واحدها ندٌّ قال حسان بن ثابت: (الوافر)

أتهجوه ولستَ له بندٍّ   فشر كما لخيركما الفداء   المجاز ٣٨/١.

متحرك العين:

(٣: ٤) ما كان مفرده على وزن (فَعَل، وفُعُل، وفَعِل) مثل: أَلىً ــ بتقدير قَفًا ــ والجمع آلاء[١] وباب وأبواب[٢] زَلَم وأزلام[٣] وصَفَد وأصفاد[٤]، وصَلا وأصلاء[٥] وصَفَن وأصفان[٦] ونَفَذ وأنفاذ[٧]. ونقًا وأنقاء[٨].

ومثال (فُعُل عُرُف وأعراف[٩] وأُسُن وآسان[١٠]، أُصُل وآصال[١١].

ومثال (فَعِل) يقظ وأيقاظ[١٢] ومثال (فاعل) صاحب وأصحاب وشاهد وأشهاد[١٣].

ومثال: (فيصل) شريف وأشراف[١٤] ومَثال (فِعَل) إرَم وآرام وهي حجارة بعضها فوق بعض[١٥].

ــ جاءت مفردات هذه الصيغة من الاسم الثلاثي على وزن[١٦] فَعْل

---

(١) قال تعالى: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ [الرحمن: ١٨] انظر المجاز ٢/٢٤٣.

(٢) المرجع السابق ١/٣١٥.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/٧.

(٤) المجاز ٢/١٨٣ وشاهده من القرآن (الأصفاد).

(٥) النقائض ١/٢٢٦ قال الشاعر: (الكامل):

وبرحرحان تحصحصت أصلاؤكم   وهو ما اكتنف عَجْب الذنب وهو الوَرِك

(٦) الصفن: جلد الخصيتين السابق ١/٣.

(٧) النقائض ١/٦٢ وشاهده قول جرير: (الطويل)

وعاوٍ عوى من غير شيء رميته   بقارعة أنفاذها تقطر الدّما

(٨) قال الشاعر: (الطويل) فلمّا رأى أنّ الصحاريَ دونهُ   ومعتلجَ الأنقاءِ من تبج الرمَّلِ   النقائض ١/١٦٦.

(٩) الأعراف: أوائل الرياح الواحد عُرُف في قول جرير: (الطويل)

وما تنفع الدار المحيلة ذا الهوى   إذا استن أعرافًا على الدار مورُها   النقائض ١/٥٣٧.

(١٠) السابق ١/٢٢٢ وشاهده قول ضابئ:

وقائلة لا يَبْعَدَن ذلك الفتى   ولا تَبْعَدْن أسانُه وشمائله

ومثل جُرُز وأجراز   أرض جُرُز أرضون أجراز

قال ذو الرمة: (الطويل)

طوى النحر والأجراز ما في عروضها   فما بقيت إلا الصدور الجراشع   المجاز ١/٣٩٤.

(١١) المجاز ١/٣٢٩.

(١٢) المجاز ١/٣٩٦ وشاهده قوله تعالى: {وتحسبهم أيقاظًا} [الكهف: ١٨].

(١٣) المجاز ١/٢٨٦ وشاهده: {ويقول الأشهاد} [هود: ١٨].

(١٤) السابق نفسه.

(١٥) النقائض ١/٢٦٨ و ٤٩٠.

(١٦) هذا بيان لما جاءت عليه عند أبي عبيدة وفي الهامش نقارنها بما جاء في الكتاب لسيبويه حول نفس الصيغ.

فعيل[١] وفُعْل[٢] وفِعْل[٣] وفَعَل[٤] وفِعَل ومن الصحيح والمعتل للأسماء.

ـ وجاءت من فَعِل[٥] وفاعِل وفعيل[٦] لجمع الصفات.

ـ وجاءت من (فُعُل)[٧] لجمع الجمع وبمقارنة ذلك في كتاب سيبويه وجدنا التطابق شبه التام بين الصيغ مع ملاحظة ثراء التطبيقات عند أبي عبيدة لاعتماد الأبنية على الشواهد والتطبيقات.

ونسجل على تلك الصيغة عند أبي عبيدة ما يلي:

١ـ نصَّ أبو عبيدة في كل الشواهد التي نقلناها عنه على المفرد والجمع وأشار إلى دلالة الصيغة العددية فقال إلى العشرة).

٢ـ نلحظ أن الشواهد الغالبة في تطبيقات المجاز والنقائض قد جاءت مما كان مفرده ساكن العين والقليل من متحركها، وقد فسّر لنا أبو عبيدة ذلك فيما أسماه بالتخفيف حيث تميل لغات القبائل إلى حذف حركة العين، أمّا حركة الفاء (الفتحة والضمة والكسرة) فمرجعها إلى قانون المعاقبة بين الحركات في اختيارات القبائل.

٤ـ شملت التطبيقات صورًا مختلفة للكلمات منها الصحيح والمعتل والمضعّف والمهموز وما التقت فيه الهمزتان والمفرد المذكر والمفردة المؤنثة وما جاء على بناء الجمع مثل (فُعُل) وجُمِعَ على أفعال.

٤ـ ومما يلحق: بجموع القلة، الجمع المزيد بالألف والتاء

مثال ١– في قوله تعالى: **﴿وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾** [التوبة: ٨٨].

قال: (وهي جمع خَيْرة، ومعناها الفاضلة في كل شيء، قال رجل من بني عدي[٨] (جاهلي من تميم): (الكامل)

ولقد طعنت مجامع الرّبلات ربلات هند خَيْرة الملكات

---

(١) الكتاب ٥٦٨/٣.

(٢) السابق ٥٧٦/٣ و ٥٧٧ وأمثلة المعتل ٥٩٣/٣.

(٣) السابق ٥٧٥/٣.

(٤) أمثلته في الصحيح ٥٧٠/٣ المعتل ٥٩٧/٣ وجاءت عنده للوصف ٦٢٨/٣.

(٥) السابق ٦٣١/٣.

(٦) السابق ٦٣٥/٣ و ٦٣٦.

(٧) جاءت عند سيبويه لجمع الصفات مثل جُنُب وأجناب وقال بأنه قليل في الصفات السابق ٦٢٩/٣.

(٨) المجاز ٢٦٧/١.

ومن ذلك فجوة وفجوات[١].

مثال٢– قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلاتُ﴾ [الرعد: ٦]، قال: واحدها مَثُلة، ومجارها مجاز الأمثال[٢].

مثال٣– قال أحد الرواة: (فجعله في إرَميٍّ في رأسها) قال أبو عبيدة معقبًا: (والإرَميّ جماعة إِرِم وهي الأعلام ومن قال إِرَم فهي آرام، ومن قال إِرَميّ قال إرميّات)[٣].

مثال ٤– قال جرير[٤]: (الوافر)

ولا في القين والنخبات غمًّا ترى لو كوف عبرته انصبابًا

قال: (والنخبات: الجبناء الرجال، واحدهم نحبة).

مثال٥– أنشد أبو عبيدة للشّماخ[٥]: (الوافر)

تَقَطَّع بيننا الحاجاتُ إلا حوائج يَعْتسِفْن مع الجريّ

الحاجات جمع حاجة.

ونسجل على هذا النوع من الجمع ما يلي:

١ــ يُفْهم من سياق الأمثلة أن المزيد بالألف والتاء يؤدي دلالة جموع القلة، حيث قاس فَعُلات على أفعال يقول (مجازها مجاز الأمثال)، وأفعال عنده من جموع القلة.

٢ــ وقد يؤدي دلالة جمع الجمع مثل جماعة إِرَميّ وإرميات.

٣ــ يأتي من صيغ مختلفة مثل فَعَة كــ (حاجة) وفَعْلة. كــ خيرْة ونخبة وفَعُلة كــ مَثُلة والمذكر والمؤنث والإسم والصفة.

ثانياً – جموع الكثرة

أولاً– الجمع بزيادة حركة أو بحذف التاء أو بالحذف والتعويض:

١ــ صيغة (فَعْل)

ما كان مفرده على تقدير (فَعْلة) معتل العين واللام

---

(١) وهي في قوله تعالى: ﴿وهم في فجوة منه﴾ [الكهف: ١٧]، قال (الجميع فجوة وفجاء) المرجع السابق ٣٩٦/١

(٢) المجاز ٣٢٣/١. (٣) النقائض ٤٩٠/١. (٤) النقائض ١ ٤٤٢. (٥) التنبيهات١٢٣.

ومثال١ - جَدْيَةٌ وجَدْىٌ، وهَدْيَةٌ وهَدْىٌ[١] قال تعالى: ﴿وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾ [الفتح: ٢٥]

مثال٢ - خيمة وخَيَمْ قال جرير[٢]: (الطويل)

فلا عَهْدَ إلاّ أَنْ تَذَكّر أو ترى ثُماماً حَوالَيْ مِنْصِبُ الخيم بِاليا

صيغة (فَعَل)[٣]:

١ـ ما كان مفرده على تقدير (فَعَلة) بفتح العين:

مثال١ - قال تعالى ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ [الأنعام: ١٤١]، قال: جميعُ ثَمَرة[٤].

مثال٢ - في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، قال: (والقَتَرُ جميع قَتَرةٌ، وفي القرآن: ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس: ٤١]، وهو الغبار، قال الأخطل: (البسيط)

يعلو القناطِرَ يبنيها ويهدمها مسوّماً فوقه الراياتِ والقَتَرا

وقال الفرزدق[٥]: (البسيط).

مُتَوّجٌ برداء الملك يتبعه مَوْجٌ ترى فوقه الراياتِ والقترا

مثال٣ - قَزَمَةٌ وقزَم، قال جرير[٦]: (الطويل)

ترى قَزَمَ المِعْزى مُهُورَ نسائهم وفي قَزَم المِعْزى لَهُنّ مهورٌ

قال: (القَزَمُ: الصفار العليلة، واحدها قَزَمة).

---

(١) من جَدْية السرج انظر المجاز ٢/٢١٧. (٢) النقائض ١/١٧٣.

(٣) ونقل سيبويه عن الخليل أن صيغة (فَعَل) في مثل أديم وأَدَم، لم يُكسّر عليه واحد، كما أن السَّفْر لم يكسر عليه المسافر، وكما أن القوم لم يكسر عليه واحد، وقال سيبويه بذلك ضمنًا وقدم مثال نفير ونَفَر، وأفيق وأَفَق وعمود وعَمَد واستدل الخليل بقولهم هو الأَدَم وهذا أدم، واستدل يونس بقولهم هو العَمَد واستدل سيبويه بأنه في التصغير لا يرد إلى المفرد ويتضح من أمثلة أبي عبيدة أنه يخالفهم في تلك الصيغة حيث جعل لها مفردًا انظر الكتاب ٣/٦٢٤ ـ ٦٢٦ وقارن ذلك بأمثلة أبي عبيدة.

(٤) المجاز ١ /٢٠٧.

(٥) المجاز ١/٢٧٧ ونسجل هنا ملاحظة خاصة بالشواهد حيث ذكر شاهدين على قضية واحدة من بَحْر البسيط، وهي ظاهرة تتكرر عنده فعندما تتعدد الشواهد على القضية الواحدة في موضوع واحد فإن الوزن هو الذي يستدعي عنده تلك الشواهد.

(٦) النقائض ١/٣٤.

مثال ٤– أضاة، وأضًا وحصاة وحصىً قال جرير: (الطويل)

عَلَيْهِمْ مفاضاتُ الحديد كأنها   أضًا يَوْم دَجْنٍ في أجاليد ضفضفِ

قال: (قوله: أضًا أي غُدْران، الواحدة أضاة، كما تقول حصاة وحصىً)[1].

٢ــ ما كان مفرده على تقدير فَعْلة مثْل حَمْأة وحَمًا، قال تعالى: **﴿مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُون﴾** [الحجر: ٢٦]، قال: (أي طينٍ متغير، وهو جميعُ حَمْأة)[2].

٣ــ صيغة فَعَلَة:

مثال ١– قال تعالى: **﴿بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾** [النحل: ٧٢]، قال: أي أعوانًا وخدامًا قال جميل: (الكامل)

حفد الولائد بينهنّ وأسلمت   بأكفهن أَزِمَّةَ الأحمالِ

واحدهم: حافد، خرج مخرج كامل وكملة[3].

وقد اجتمع في هذه الصيغة أمران هما: الحذف " حذف ألف فاعل " والتعويض " بزيادة تاء وهي صيغة شبه مطّردة في وصف فاعل وقد أخذ النحاة عبارة أبي عبيدة وأمثلته يقول ابن مالك.

(وشاع نَحْو كامل وكَمَلَةْ) قال ابن عقيل[4]: (فَعَلة) مطرد في وصف على فاعل، صحيح اللام لمذكر عاقل نحو كامل وكملة ...)

مثال ٢– قال تعالى **﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾** [غافر: ٤٩]، قال: خازن وخزنة مثل ظالم وظلمة وفاعل وفعلة[5].

٤ــ صيغة (فُعْل)

١– ما جاء المفرد منه على صورة الجَمع ومثاله.

---

(١) النقائض ١/٥٠٨ وهو مذكور في اللسان بتمامه عن أبي عبيد القاسم بن سلام مادة أضا ١/٩٠.

(٢) المجاز ١/٣١٥، قال ابن الأنباري: (قال أبو عبيدة: هو جمع حَمأة، وقال غيره: هو جمع حَمَأة، وشبهه بقولهم: قَصَبة، وقَصَب؛ فاحتج عليه بقول أبي الأسود: (الوافر)

فما طلب المعيشة بالتمني   ولكنْ ألقِ دَلْوك في الدّلاء

تجئك بملئها يومًا ويومًا   تجئك بحمْأة وقليل ماء

فقال: إنما أسكنت الميم لضرورة الشعر) ثم قال: والحجة لأبي عبيدة في جمعهم الحَمْأة بتسكين الميم ــ على حَمَإٍ بفتح الميم قول العرب حَلْقة وحَلَق وفَلْكة وفَلَك الأضداد ٣٩٧.

(٣) المجاز ١/٣٦٤.   (٤) انظر شرح ابن عقيل ٤/١٢١.   (٥) المجاز ٢/١٩٤.

قوله تعالى: ﴿**وَاصْنَعِ الْفُلْكَ**﴾ [هود: ٣٧]، قال: (الفُلْكُ واحدٌ وجميع وهو السفينة والسُّفُن)[١].

٢– ما جاء مفرده على تقدير (فُعْلة) مثل مُزْنة ومُزْن

قال تعالى: ﴿**أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ**﴾ [الواقعة: ٦٩]، قال: (الْمُزْنُ السحاب واحدها مزنة)[٢] ومثاله في المعتل: سُوْرة وسُوْر – عند من أسكن الواو – يقول: قالوا في جمع سورة البناء سور، الواو ساكنة، فخرج مخرج جمعها جمع بُسْرة والجميع بُسْر قال العجاج: (الرجز)

فَرُبَّ ذِي سُرَادِقٍ مَحْجُورِ سِرْتُ إليه في أعالي السُّوْرِ

الواو ساكنة)[٣] وعندما قاس لفظة (الصُّوْر) على هذا الجمع[٤] في قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ**﴾ [الأنعام: ٧٣]، اعترض على ذلك بعض المفسرين ووافقه الإمام البخاري[٥].

مثال٣– ومما جاء مفرده على تقدير فعل وكانت عينه معتلة فإنه يلحق بهذا الجمع أيضًا على سبيل المعاقبة بين الكسرة والضمة في فاء الصيغة حيث ذكر في النقائض[٦]من بين صيغ الجمع للفظة شَيْخ صيغة " شِيْخَة " وتقديرها فُعْلة وذلك لصعوبة الضمة قبل الياء وهو سبب صوتي.

٤- ما كان مفرده على تقدير: (فَعَل) مثل دار، ودارة والجمع دُور قال جرير: (الطويل)

أَزُرْتَ دِيارَ الحَيِّ أم لا تزورها وأنّى من الحي الجِمادُ ودُورُها

قال: (الدور: دارات في الرّمْل الواحدة دارة)[٧].

---

(١) المجار ٢٨٨/١ وقال سيبويه: (وقد كُسِّر حَرْفٌ منه ـــ أي من بناء فُعْل كما كَسُرّ عليه فَعَل وذلك قولك للواحد هو الفلك فتذكر، والجميع هي الفلك ...) وقد نسب هذا الرأي للخليل، انظر الكتاب ٥٧٧/٣.

(٢) المجار ٢٥٢/٢.
(٣) انظر المجار ٣/١و٤و٥.

(٤) المجار ١٩٦/١ و ١٦٢/٢ و ١٦٣ وعبارته (يقال: إنها جمع صورة تنفخ فيها روحها فتحيها، بمنزلة قولهم سُور المدينة..) ونقل صاحب اللسان الاحتجاج على أبي عبيدة بقولهم (وكان أبو عبيدة صاحب أخبار وغريب ولم يكن له معرفة بالنحو) مادة صور ٢٥٢٥/٤.

(٥) انظر حاشية المجار ١٩٦/١.
(٦) ١٧٢/١.

(٧) النقائض ٥٣٧/١، قال سيبويه: (إذا أردت أكثر العدد من (فَعَل) للمؤنث قلت في الدار دور، وفي الساق=

ونسجل على هذه الصيغة ما يلي:

١ــ جاءت صيغة (فُعْل) من الأسماء مثل دار وفُلْك وسورة وذلك في المفرد القياسي وجاء ت من الصفات في المفردات الملحقة به من أوزان المفردات ذكرها سيبوبه وهي فَعْل[١] وفَعَل[٢] فُعَل[٣] وفُعْلة.

٢ــ تميزت تلك الصيغة بأن جاء المفرد والجمع على صورة واحدة في لفظة الفلك.

٣ــ ميّز سيبوبه الجمع من المفرد في لفظة الفلك بإسنادها إلي الضمير فقال: هو الفلك (في المفرد) وهي الفلك (في الجمع) وفرّق أبو عبيدة بينها بلفظ يعادل المفرد وآخر يعادل الجمع فقال الفلكُ: السفينة والسُّفُن[٤].

(٥) صيغة (فُعُل)

(كلُّ كلمة هجاؤها أربعة أحرف، الثالث منها ألف أو ياء أو واو، فجميعه، متحرك مضموم)[٥]

وأمثلة هذه القاعدة القياسية[٦] المطردة عنده على النحو التالي:

١ــ ما كان مفرده على تقدير (فعَال)[٧] مثل: حمارٌ وحُمُر[٨]، ودسارٌ ودُسُر، وشاهده قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ [القمر: ١٣]، قال: (الدُّسُر: المسامير والخرز، واحدُها دِسارٌ)[٩].

=سوق وفي الباب بيب) انظر الكتاب ٥٩١/٣.

(١) انظر الكتاب ٦٢٧/٣ و ٦٢٨.

(٢) المرجع السابق ٥٧١/٣ وهو في أمثلة المذكر وقال: وهو قليل وفي ٥٩١/٣ أمثلة المؤنث.

(٣) المرجع السابق ٥٧٧/٣ وقد توافق سيبويه وأبو عبيدة في المثال.

(٤) ويتضح من المقابلة الأخيرة تعادل المنهجين في التحليل والبيان اللغوي ويتعجب المؤلف من تعليق الأزهري على رأي أبي عبيدة في جمع صورة على صُوْر قياسًا على سُورة وسُوْر ــ بأنه كان ضعيفًا في النحو! مع أنه حكى عن الكلبي هذا الجمع كما قرأ الحسن (يوم ينفخُ في الصُّوَر) وهو المعنى الذي أراده أبو عبيدة انظر اللسان مادة صور ٢٥٢٤/٤ و ٢٥٢٥.

(٥) المجاز ٣٢٠/١. وهذه العبارة رددها علماء الصرف بعده تحت مسمى (مدة زائدة في المفرد).

(٦) ذكر عبارة: (وهو القياس) في أحد الأمثلة انظر المرجع السابق نفسه.

(٧) انظر أمثلته عند سيبويه في الكتاب ٦٠١/٣ ويلحق بذلك صيغة فَعَال أيضًا مثل قَذَل، وقُذُل المرجع السابق ٦١٠/٣.

(٨) انظر المجاز ٣٢٠/١.

(٩) المجاز ٢٤٠/٢.

٢ــ ما كان مفرده على تقدير (فَعِيل)[١] أو (فَعِيلة)[٢].

ومثال ذلك عنده، أَصيل وأُصُل، يقول: (وواحد الأُصُل، أصيل، ومجازه ما بين العصر إلى المغرب)[٣] وكذلك أميل وأُمُل قال الفرزدق[٤]: (الطويل)

فأيّ لِحاقٍ تنظرون وقَدْ أَتي عَلى أُمُل الدَّهْنا النساءُ الرواضِعُ

قال: (وقوله: أُمُل، واحدها، الأميل رَمْلٌ يطول بلا عَرْض كثير) وفي قوله تعالى: (في ضلال وسُعُر) [القمر:٤٧] قال (سُعُر: جميع سعيرة)[٥] ومن أمثلة ذلك سرير وسُرُر[٦] وسفينة وسُفُن[٧] وصليب وصُلُب[٨].

٣ــ ما كان مفرده على تقدير (فَعُول) وأمثلته من القرآن الكريم، رسولٌ ورُسُل، وزبورٌ وزُبُر وعمود وعُمُد... قال تعالى: **﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ﴾** [الشعراء: ١٩٦].

قال:- (أي كُتُب الأولين، واحدها زبور)[٩].

٤ــ ما كان مفرده على (فَعْل) مثل نَصْبٌ ونُصُب في قوله تعالى: **﴿كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾** [المعارج: ٤٣]، قال: (النَّصْب: الواحد ومن قال (نُصُب)[١٠] فهي جماعةً مثل رَهْنٌ ورُهُن[١١].

(٢:٣) ما كان مفرده على (فَعَل) في مثل قوله تعالى:

﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤]، قال: جماعة خَشَب[١٢].

ونسجل على صيغة (فُعُل) الملحوظات التالية:

١ــ غلب على تمثيل أبي عبيدة في النقائض والمجاز التمثيل بالأسماء بينما وازن سيبويه بين الأسماء والصفات.

---

(١) جاءت صيغة (فعيل)عند سيبويه في الوصف مثل عقيم وعُقُم الكتاب ٦٤٨/٣ ونذير ونُذُر وحديد وجُدُد السابق ٦٣٥/٣.

(٢) ومثاله من المؤنث عند سيبويه سفينة وصحيفة السابق ٦١٠/٣. (٣) المجاز ٢٣٩/١.

(٤) النقائض ٧٠٤/٢. (٥) المجاز ٢٤١/٢.

(٦) السابق ١٦٩/٢. (٧) المجاز ٢٨٨/١. وهي من أمثلة سيبويه في المؤنث انظر الكتاب ٦١٠/٣.

(٨) المجاز ٣٢٠/١. (٩) انظر الكتاب ٦٣٧/٣ وهو وصف لمؤنث.

(١٠) قرأ ابن عامر وحفص عن عاصم إلى نُصُب بضم النون والصاد وقرأ الباقون بفتح النون وسكون الصاد السبعة ٦٥١.

(١١) المجاز ٢٧٠/٢. (١٢) المجاز ٢٥٩/٢.

٢ــ ما نقله ابن الأنباري من الاحتجاج لأبي عبيدة والاحتجاج عليه يوضح لنا أمرين: الأول: اهتمام العلماء اللاحقين لأبي عبيدة بآرائه وتعليقاته، الثاني: عدم الاستقراء الكامل لآراء أبي عبيدة الصرفية والنحوية، حيث وجدنا أبا عبيدة يقول بالرأيين حيث تُجْمع فَعْلة وفَعَلة على فَعَل.

٤ــ اعتمد أبو عبيدة قانون القياس لضبط الظاهرة، كما اعتمد قانون المعاقبة الصوتية في تفسير الظاهرة وكذلك قانون التخفيف في تحول (فَعَلة) في المفرد إلى فَعْلة.

٥ــ الانسجام بين شواهد المجاز وشواهد النقائض في التدليل على الظاهرة الواحدة. والانسجام بين آراء أبي عبيدة في القوانين الصوتية وتحريه للظواهر الصرفية.

٦ــ صيغة (فُعَل)

١ــ ما كان مفرده على تقدير فُعْلة أو فُعْلى:

قوله تعالى: ﴿وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ﴾ [هود: ١١٤]. قال: واحدها زُلْفى[١] وقوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾ [لقمان: ٣٢]، قال: (واحدتُها : ظُلَّة)[٢]، وقوله: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم: ٥]. قال: (القويَ: جماع القوَّة)[٣].

ومنه قوله تعالى: ﴿زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ [الكهف: ٩٦]، أي قطع الحديد واحدها زُبْرة[٤]

ومن الأمثلة الأخرى: سُورة وسُوَر[٥] وصورة وصُوَر[٦].

ومثال: ذلك في الشعر، قول الفرزدق: (الوافر).

وَإِدْلاجي إذ الظلمات حازتْ إلى طَرْدِ النّهار دُجَى الظلام

قال: (دُجَى جَمْع، واحدته دُجْية)[٧] وذُرْوةٌ وذُرَي[٨] وقول جرير: (الكامل)

لمّا يأَوا رَجَمَ العذاب يُصيبُهُمْ صَار القيونُ كساقةِ الأَقْيال

---

(١) المجاز ١/ ٣٠٠ وجاء في المعتل في الكتاب ٣/٥٩٤. (٢) المجاز ٢/ ١٢٨ ومثاله في الكتاب دُرُّ دُرَرٌ ٣/٥٨٦.

(٣) المجاز ٢/ ٢٣٦. (٤) المجاز ١/ ٤١٤.

(٥) قال في ذلك: (غير أن جمع سورة القرآن خالف جمع سورة البناء في لغة من همز سورة القرآن، وفي لغة من لم يهمزها قالوا جميعًا في جمع سورة القرآن (سُوَر) الواو مفتوحة كما قال: (الرجز) لا يَقْرأن بالسُّوَر فخرج جمعها مخرج جمع ظلمة وظُلَم) انظر المجاز ١/ ٣ ــ ٥.

(٦) انظر المرجع السابق ٢/ ١٢٦ و ١٦٣.

(٧) النقائض ٢/ ١٠٠٩ وذكرت مرة أخرى بالمرجع السابق ١/ ٥٠٠. (٨) المرجع السابق ٢/ ١٠٠٥.

قال: (رُحَم: جمع رُحْمة)[١].

ونقل أبو علي القالي عنه الهُوَى جمع هَوَّة يقال وقعوا في هوَّةٍ من الأرض أي بئر مغطاة وأنشد: (الطويل)

وإنك لَوْ غطيت أرجاء هُوَّةٍ مُغَمَّسةٍ لا يستبان ترابُها

٧ــ صيغة فُعًّل:

وتُلحق هذه الصيغة بصيغة (فُعَل) بتخفيف العين:

مثال ١– غاز وغُزّى، في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَانُوا غُزًّى﴾ [آل عمران:١٥٦] قال: (لا يدخلها رفع، ولاً جر؛ لأن واحدها غازٍ، فخرجت مخرج قائل، وقُوّل، (فُعَّل)[٢] قال رؤبة: (الرجز)

وقُوَّلٍ إلادَهٍ فلادَهٍ[٣]

مثال ٢– وقول الفرزدق: (الكامل)

ولنا قُراسِيَةٌ تَظَلُّ خواضعًا منه مخافتَهُ القرومُ البُزَّلُ

قال: (البُزّل: الواحد بازل وهو الذي نَبَتَ نابُه[٤].

ونلحظ على هذه الصيغة أن مفردها وصف على زنة فاعل وأمثلة أبي عبيدة شملت الصحيح العين ومعتلها وكذلك معتل اللام وهو مضمون أمثلة سيبويه[٥].

وقد اجتمع في هذه الصيغة الحذف في المفرد " حذف ألف فاعل " والتعويض وذلك بنبر عين الجمع نبر توتر، وهذه الصيغة شبه مطردة في وصف فاعل المعتل العين.

٨ ــ صيغة (فِعْل) وصيغة (فِعَل)[٦]

١ــ ما جاء على تقدير (فِعْلة وفِعْل) في المفرد مثل ما ذكره في قوله تعالى:

---

(١) المرجع السابق ٢٩٦/١ وجاء من أمثلة فُعْلة وفُعَل في الكتاب ما يشبه تلك الأمثلة غُرْفة وغُرَف ورُكْبة وركب انظر الكتاب ٥٧٩/٣.

(٢) المجاز ١٠٦/١.

(٣) يقول: إن لم يكن هذا فلاذا المرجع السابق ١٠٧/١. (٤) النقائض ١٨٥/١.

(٥) انظر الكتاب ٦٣١/٣ يقول: أما ما كان (فاعلاً) فإنك تكسره على فُعَّل ومثل ــ شاهد وشُهّد وبازل وبُزّل ومن بنات الياء والواو في العين صائم وصُوّم وعائب وعُيّب ومن بنات الياء والواو في اللام غُزّى وعُفّي المرجع السابق نفسه.

(٦) يتضح من تداخل المفردات بين صيغتي فِعْل وفِعَل أن الثانية متطورة عن الأولى حيث جرى تعميم الفتحة في عين الصيغة والشواهد التي يذكرها تؤيد ذلك قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي ﴿كسْفًا﴾ ساكنة في كل القرآن إلا في سورة الروم ٤٨ وقرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر كسَفًا محركة في الإسراء والروم وسائر القرآن كِسْفا وقرأ ابن عامر محركة في الإسراء وساكنة في سائر القرآن انظر السبعة ٣٨٥.

﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ [الإسراء:٩٢]، قال: (من القطع، فيجوز أن يكونَ واحدًا، أي قطعة ويجوز أن يكون جميع كِسْفة فيخرج مخرج سِدْرة والجميع سِدْر[١] ويجوز أن تنفتح ثاني حروفه، فيخرج مخرج كِسْرة والجميع كِسَر؛ يقال: جاء بثَريد كِسَفٍ، أي قطع خبز لم تثرد)[٢] وقال في موضع آخر[٣]

(ويقال: مضت له حِقْبة، والجميع حِقَب على تقدير كِسْرة، والجميع كِسَر).

٢ــ كان مفرده على وزن (فِعال) مثل لِهاب ولِهْب، قال الفرزدق[٤]: (الوافر)

وخالي بالنّقا تَركَ ابن ليلى أبا الصهباء مُحْتَضِرًا لِهابا

قال: [واللِّهب جماعة اللِّهاب، وهو شَقٌّ في الجبل].

٣ــ ومن أمثلة فِعْلة: ما جاء في النقائض في الجموع المختلفة لكلمة شَيْخ وذكر من بينها شِيخَة[٥] وفي قوله تعالى: ﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [الأحزاب: ٥]، قال: (أي إخوانكم في الملة وخرج مخرج فَتىً والجميع فتيان وفِتْية(٦) ويفهم من ذلك أنه جمع فَعَل فَتَى وفِتْية وأَخٌ وإخْوة.

ــ ما كان مفرده على تقدير (فَعَلة)

مثال: قال تعالى: ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى﴾ [الإسراء:٦٩]، قال: (والجميع، تارات وتِيَر)[٧].

ونلحظ على هذا المثال أنه قد جمع فيه بين جمع القلة بالألف والتاء وصيغة جمع الكثرة (فِعَل) وهي طريقة تكررت عند أبي عبيدة، وبمراقبة ذلك تبين المؤلف أن تلك

---

(١) ضبط المحقق (سِدْر) بفتح الدال، والسياق يقتضي تسكينها، ويترتب على ذلك أن القراءة التي مثل لها أبو عبيدة إنما هي بسكون السين في (كِسْفًا) وبذلك يستقيم السياق.

(٢) المجاز ٣٩٠/١ وقد مثل أبو عبيدة أكثر من مَرّة للصيغة على المشهور أي بفتح السين في كِسَفًا قال تعالى: ﴿كِسفًا من السماء﴾[الشعراء: ١٨٧]، قال: جمع كسفة بمنزلة سِدْرة والجميع سِدَر المرجع ٩١/٢ و١٤٢/٢ و ٢٣٤.

(٣) المرجع السابق ٤٠٩/٣، وهي من أمثلة سيبويه لتلك الصيغة في الكتاب ٥٨١/٣.

(٤) النقائض ٤٧٨/١. (٥) انظر النقائض ١٧٢/١. (٦) المجاز ١٣٤/٢.

(٧) المجاز ٣٨٥/١، وهو من أمثلة سيبويه في الكتاب ٥٩٤/٣.

إشارة من أبي عبيدة إلى الخروج بتلك الصيغة عن الكثرة إلى تأدية معنى جموع القلّة[١] ويُفْهم من المثال الأول أن الجمع يأتي على تقدير المفرد بزيادة حركة مع مراعاة حذف التاء في المؤنث.

ثانيًا- الجمع المزيد بنبر الطول:

١ـ صيغة (فَعَال)

مثل بنانة وبنان قال تعالى: ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢]، قال: (هـي أطراف الأصابع،واحدها بنانة) قال العبّاس بن مِرْداس[٢]: (الطويل)

ألا لَيْتَني قَطَّعْتُ مني بنانةً ولاقيتُه في البيت يقظانَ حاذِرا

٢ ـ صيغة (فِعال):

١ـ ما كان مفرده على تقدير (فَعْل) و (فَعْلة)

[قال أبو عبيدة[٣] البَكْرُ من الإبل ما لم يَنْزُلْ بعد ... وجمعه بِكار وأدنى العـدد ثلاثة أبكر]

مثال ١- فجوة وفِجاء في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾ [الكهـف: ١٧]، قال: أي متسع والجميع فجوات، وفجاء مكسورة الفاء[٤] وفي هذا المثال الأخير إشـارة إلى خروج صيغة (فِعال) إلى دلالة القلة العددية[٥].

مثال٢- بَهْمة وبِهام، قال الفرزدق[٦]: (الطويل)

---

(١) قال سيبويه في إرادة معنى القلة في صيغة (فِعَل) : (وقد يريدون الأقل فيقولون: كِسَر وفِقَر ودلك لقلة استعمالهم التاء في هذا الباب لكراهية الكسرتين والتاء في الفُعْلة أكثر لأن ما يلتقي في أوله كسرتان قليل) انظر الكتاب ٥٨١/٣ وتعليق السيرافي في الحاشية رقم ١.

(٢) المجاز ٢٤٢/١ وقال في النقائض ٨٧٠/٢: (البنان المفاصل العلى التي فيها أظفار، واحدها بنانة، والتي دونها البراحم.. قال المرزدق: (الكامل)

يا ابن المراغة أنت ألأم من مشى وأذلُّ من لسانة أظفار

(٣) مقاييس اللغة ٢٨٨/١. (٤) المجاز ٣٩٦/١.

(٥) وقد أشار الكاتب إلى تلك الملاحظة في صيغة فِعَل وهو مضمون كلام سيبويه حيث يقول: (وأما ما كان على فَعْلة، فإنك إذا أردت أدنى العدد جمعتها بالتاء وفتحت العين ..... فإدا حاوزت أدنى العدد كسّرت الاسم على فِعال..) ثم قال في موضعٍ آخر وسألت الخليل عن ثلاثة كلاب فقال: يجوز في الشعر انظر الكتاب ٥٧٨/٣ و ٦٢٤ .

(٦) النقائض ١٧١/١، وانظر كذلك ٢٦٩/١ وأمثلة سيبويه في هذا الباء في الكتاب ٥٦٧/٣.

عليكُمْ بتربيق البِهام فإنكم بأحسابكم لن تستطيعوا رهانيا

قال:(البهام.. واحدها بَهْمة) ومثل، وجَهْم وجِهَام[١]، ورَعلة ورعال[٢]، وشَخْص وشِخَاص[٣].

٢ـ ما كان مفرده على تقدير (فَعَلة)

مثال: وَذَمةٌ و وِذام قال: (واحدة الوِذام) وَذَمة، وهي الكَـرِش، لأنهـا معلقـة ...)[٤].

٣ ـ ما كان مفرده على تقدير (فَعِل)

مثال: هَرِم وهرام قال الشاعر: (الوافر)

رأين شروخهنَّ مؤزراتٍ وشرخُ لِدِيٍّ أسنان الهِرامِ

قال: (الهِرام، جمع هَرِم، وهو الشيخ الكبير)[٥].

٤ ـ ما كان مفرده على (فُعْل) أوْ فُعْلة:

مثال١ – قال تعالى **﴿ لا بيع فيه ولا خلال ﴾**[٦] قال:

وله موضع أن تجعلها جميع خُلَّة بمنـزلة جُلَّة والجميع جِلال وقُلَّة والجميع قِلال[٧].

مثال٢ – جُمة وجِمام، قال الفرزدق[٨]: (الوافر)

ظباءٌ بَدَّلتهُنَّ الليالي مكان قرونهن ذُرَى جمامِ

قال (جمع جُمَّة مـن شـعر)، وكـذلك قولـه في جُمْـد وجمـاد[٩] ودُهْـن

---

(١) الجَهْم: هو الركب الصحم انظر النقائض ١٠٠٥/٢.

(٢) قال جرير: (الكامل)

الدائدون إذا النساء تُبُذِّلَتْ شهباءَ ذاتَ قوانسٍ ورعال

قال: (رِعال: أي فِرَق، والواحد رَعْلة) المرجع السابق ٣٠١/١.

(٣) قال جرير: (الطويل)

تخال بها مَيْت الشِّخاص كأنه قَذَى عَرَق يُضْحي به الماء طافيا المرجع السابق ١٧٦/١.

(٤) غريب الحديث للهروي ١٣١/١. (٥) النقائض ١٠٠٨/٢. (٦) إبراهيم /٣١.

(٧) المجاز ٣٤١/١. (٨) النقائض ١٠٠٥/٢ وأمثلته في الكتاب ٥٧٦/٣.

(٩) قال جرير: (الطويل)

أزُرْت ديار الحي أم لا تزورُها وأنى من الحي الجِمادُ ودورُها

الجماد واحدها جُمْد، وهو الغَلِظ في الرّمل والدُّور المرجع السابق ٥٣٧/١.

حِطان[٤]:

(الطويل)

وليتهمُ لم يركبوا في ركوبنا وليت سليطًا دونها كان عاقلُ

قال: (رُكُوب جمع ركب) ومثل شَحْل وسُحُول، قال طرفة بن العبد[٥]: (الطويل)

فذالتْ كما ذالتْ وليدةُ مَجْلسٍ تُرِي ربَّها أذيال سَحْلٍ مُمَدّد

ومثلها، شأن وشُئُون[٦]، وهَزْم وهزوم[٧] وفقر وفقور[٨] قال جرير: (الطويل)

يراها قليلا ما تَسُدُّ فقوره على كُلِّ بَثٍّ حاضرٍ يتَترَّمُ

وكذلك وَعْرٌ و وُعُورٌ، قال جرير[٩]: (الطويل)

فوارسُ قيسٍ يمنعون حِماهُمُ وقيس جبال العِزّ صَعْبٌ وعورُها

٢ـــ ما كان مفرده على تقدير (فَعَلة) مثل قول الفرزدق[١٠] (الطويل)

فَرَدَّ عليَّ العينَ وَهْيَ مريضةٌ هذا ليلُ وبَطْي الراحتين وقُورُها

قال: (واحدة الوُقُور قارة، وهي جِبال صغار)

---

(١) قال تعالى: ﴿وإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان﴾ [الرحمن: ٣٧]. قال: (الدِّهان جمع دُهن) المجاز ٢٤٥/٢.

(٢) القُترة: حفيرة الصائد التي يستتر فيها انظر النقائض ٣٣١/١.

(٣) الكِراض: حَلَق الرحم واحدها كُرْضة، المرجع السابق ٧/١.

(٤) السابق ٢٣/١.

(٥) السحل: الثوب الأبيض والجمع سحول انظر شرح القصائد السبع الطوال ١٨٥ .

(٦) قال: (والشئون، مُلْتقى قبائل الرأس، الواحد شأن) انظر النقائض ١ /١٨٥.

(٧) الهزم الصدع، المرجع السابق ١٠٩/١ ومثله حَزْم وحزوم قال: (الحزوم جماعة حَزْم وهو ما أشرف على الأرض وغلظ) المرجع السابق ١٧٣/١.

(٨) قال: (لا تُسُدُّ فقره، والجمع فقور، يقال فقر وفقور مثل ضَرْب وضروب، المرجع السابق ٥٠٤/١.

(٩) النقائض ٥٣٩/١ وعبارته: (وعور، واحدها وَعْر، ساكنة العين) .

(١٠) السابق ٥١٦/١.

٣ــ ما كان مفرده على تقدير فِعْل مثل جِذْر وجذور قال الفرزدق(١): (الطويل)

رَأَتْ كَمَرًا مِثْل الجلاميد فُتِّحِتْ أحاليلُها لما اتمأرت جذورها

قال: الجذور: الأصول، الواحد جِذْر).

٤ــ صيغة (فعيل)

قال بشر بن أبي خازم:

قَطَعْناهُم فباليمامةِ فِرْقَةٌ وأُخْرى بأوطاسٍ تَهِرُّ كليبها

قال: (يقال: كَلْبٌ وكليب، وعَبْد وعبيد(٢).

٥ ــ صيغة (فُعَالى وفَعَالي)

مثال١– قال تعالى: **﴿وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى﴾** [التوبة: ٥٤]، قال: كُسَالى، مضمومة ومفتوحة، وهي جميع كسلان وإن شئت كَسْل)(٣).

مثال ٢– ما كان مفرده فَعْلان ومؤنثه فَعْلى خَزْيان للواحد، والمرأة خَزْيا والجمع خَزَايَا، قال جرير(٤): (الطويل)

فَأُبْتم خزايا والخزير قِراكُمُ وبات الصدى يدعو عقالا وضمضما

ثالثًا – الجمع بزيادة ألف ونون (حركة طويلة + صامت)

١.صيغة فَعْلان

مثال١– قال تعالى: **﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾** [البقرة: ٢٦٤]، قال: الصفوان جماع ويقال للواحدة صفوانة في معنى الصَّفاة، والصفا للجميع وهي الحجارة المُلس(٥).

مثال٢– في قوله تعالى: **﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾** [الرحمن: ٢٢]، قال: (المرجان: صِغار اللؤلو، واحدها مَرْجانة(٦)).

---

(١) السابق ٥٢٧/١.

(٢) المرجع السابق ٢٤٤/١ ونقل الراوي عن الأصمعي مَعْز ومعيز وضأن وضَئين وبُحْيت وبَحيت ونَفَر ونفير وشاء، وشَويٌّ، وأضاف الراوي بعد عبارة أبي عبيدة في التعليق على البيت: (قال أبو عبيدة: لا أعرف على هذا الجمع إلا حرفين كلب وكليب وعبد وعبيد المرجع السابق نفسه.

(٣) المجاز ٢٦٢/١. (٤) انظر النقائض ٨٢/١. (٥) المجاز ٨٢/١.

(٦) المجاز ٢٤٤/٢.

مثال ٣- قال أبو عبيدة[١]: والقُمَّل عند العرب هو الحَمْنان والحَمْنان: ضَرْبٌ من القِرْدان، واحدها حَمْنانة).

٢. صيغة فُعلان:

مثال: وقال تعالى: ﴿**وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِنَ السَّمَاءِ**﴾ [الكهف: ٤٠]، قال: واحدها حُسبانة، أي نارًا تحرقها[٢]. ويفهم من هذا المثال وما ذكره في موضع آخر[٣]؛ أنه يفرق بين معنيين لجمع حُسبان فإن كان من معنى العدد فمفرده على وزن (فِعال) وإن كان من معنى النار فمفرده على وزن فُعْلانة.

٣. صيغة (فِعْلان):

١ــ ما كان مفرده على تقدير (فِعْل) ومثاله صنو وقنو[٤].

قال تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ**﴾ [الأنعام: ٩٩]. قال: القِنْو: العذق، والاثنان قِنوان، النون مكسورة.

والجميع قِنْوانٌ على تقدير لفظ الاثنين؛ غير أن نون الاثنين مجرورة في موضع الرفع والنصب والجر، ونون الجميع يدخله الرفع والجر والنصب، و لم نجد مثله غير قولهم صِنْو وصِنْوانِ والجميعُ صِنْوانٌ)[٥].

٢ــ ما كان مفرده على تقدير (فَعْل) مثل شيخ، وشِيخان، قال الفرزدق: (الطويل)

بنى لي بهِ الشِّيخانُ مِنْ آل دارمٍ بناءً يُرَى عند المجرّةِ عاليا

قال: الشيخان، جماعة شيخ)[٦].

٣ ــ ما كان مفرده على تقدير (فَعَل) مثل خَرَب قال جرير: (الطويل)

ولمّا علاكُم صَكٌّ بازٍ جِنْحتُمُ بأستاه خِرْبان تَصِرٌّ صقورُها

---

(١) المجار ٢٢٦/١ وهذا المعنى ذكره المفسرون عن أبي عبيدة انظر حاشية المجار وهو مذكور في اللسان عن اللغويين انظر اللسان مادة حمن ١٠١٢/٢.

(٢) المجار ٤٠٣/١.

(٣) المثال الآخر مفرده حساب ومذكور في الشواذ على تقدير فعال في المفرد.

(٤) من أمثلة سيبويه الكتاب ٥٧٦/٣.

(٥) المجار ٢٠٢/١، وذكر قولاً يقارب ذلك عندما تعرّض لقوله تعالى: {ونخيلٌ صِنوانٌ وغير صنوان} [الرعد: ٤]، انظر المرجع السابق ٣٢٢/١.

(٦) النقائض ١٧٢/١.

قال: (والخِزْبانُ، ذكور الحُبارى، واحدها خَرَب)[١].

وفي قوله تعالى ﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [الأحزاب: ٥]، قال: (أَخٌ إخوانٌ خرج مخرج فتىً، والجميع فِتْيان)[٢].

رابعًا – ما يلحق بجموع الكثرة على سبيل الحمل (الشواذ):

أ ـــ وزن فاعل في المفرد:

١– ما كان مفرده على تقدير (فاعل) في صيغة (فَعْل):

مثال: راجل والجميع رَجْل قال تعالى: ﴿بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤]، ومثال يانع وينع[٣].

قال تعالى: ﴿انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ [الأنعام: ٩٩]، بمنزلة تاجرٌ تَجْر وصاحبٌ وصحْب

وفي شائل الجميع شَوْل[٤] قول الشاعر: (الطويل)

وَرَاحتْ تَشُلُّ الشُّوْلَ والفحلُ خلفها زفيفًا إلى نيرانها زمهريرها

وقد جعل سيبويه هذه الصيغة – فَعْل – اسمًا يقع على الجميع لم يُكَسَّر عليه واحده، ولكنه بمنزلة قَوْمٍ، إلا أنَّ لفظه من لفظ واحده[٥].

ويتضح من أمثلة أبي عبيدة أنه يعامل تلك الصيغة معاملة الجمع الذي له مفرد.

٢ـــ ما كان تقديره في المفرد فاعل في صيغة (فَعَل)

مثال: قال تعالى ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ [إبراهيم: ٢١]، قال جميع: تابع، خرج مخرج غائب والجميع غَيَب"[٦].

٣ ـــ ما كان مفرده على تقدير (فاعل) أو (فعيل) في صيغة (فُعَل)

ومثاله نَافةٌ ونُفه؛ بمعنى نَفِهَتْ نفسه فهي نَافةٌ أي أعيى نفسه وكلّت[٧]... ومثال سريرٌ وسُرَرٌ حكى فيه أبو عبيدة الفتح إلى جانب الضم[٨]، وبين أبو حيان

---

(١) النقائض ٩/١. (٢) المجاز ١٣٤/٢ وهي من أمثلة سيبويه في بناء (فَعَل) انظر الكتاب ٥٧٠/٣ و ٥٩٧.

(٣) وعبارته في المجاز ٢٠٢/١: (ينعه مصدر من ينع.. واحد يانع والجميع يَنْع بمنزلة تاجر والجميع تجْر وصاحب والجميع صحب).

(٤) انظر النقائض ٥٢١/١. (٥) الكتاب ٦٢٤/٣. (٦) المجاز ٣٣٩/١.

(٧) انظر غريب الحديث للهروي ٢٤/١. (٨) هذا هو القياس عند أبي عبيدة كما رأينا في صيغة (فُعُل).

الأندلسي[١]، أن الفتح عن بعض تميم وكَلْب ...

٤ ــ ما كان مفرده على تقدير (فاعل) في صيغة فعَال[٢].

من ذلك لفظة رِجال في قوله تعالى: **﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً﴾** [الحج: ٢٧]، قال: (واحد الرجال، رجلٌ بمنزلة صاحب، والجميع صِحاب وتاجر، والجميع تجار وقائم، والجميع قيام[٣].

٥ــ ما كان مفرده على تقدير (فاعل) في صيغة (فُعُول)

مثال ١– قال تعالى **﴿حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾** [مريم: ٦٨]، قال جمع جاث، خرج مخرج فاعل والجميع فُعول غير أنهم لا يدخول الواو في المعتل[٤]ومثله قوله تعالى: **﴿خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيًّا﴾** [مريم: ٥٨]، قال: وبكيًا جمع باكٍ[٥].

مثال ٢– راكب ورُكوب قال الفرزدق: (الكامل)

منكم إذا لحق الركوب كأنها   خِرَقُ الجراد تثورُ يوْمَ غُبار

قال: (والركوب، جمع راكب)[٦].

٦ــ ما كان مفرده على تقدير فاعل في صيغة فُعْلان:

مثال: قول جرير[٧]: (الطويل)

سَقَى الحاجز المِحْلال والباطن الذي   يَشُنُّ على القبرين صَوْبَ الغوادق.

قال: (الحاجز، مَحْبَسُ الماء، والجمع حُجْزان).

ب ــ المفرد على وزن أفعل:

ما كان مفرده على وزن (أفعل) في صيغة (فُعْل) من الصحيح والمعتل

مثال ١– أَجْرد وجُرْد، قال الفرزدق: (الوافر)

وتقديمٌ إذا اعترك المنايا   بِجُرْدِ الخيل في اللُّجمِ الغمار

---

(١) الارتشاف ٤٢٦/١.

(٢) ذكر سيبويه أمثلة للوصف من فاعل وفعيل في تلك الصيغة انظر الكتاب ٦١٤/٣ و ٦٣٤.

(٣) المجاز ٤٩/٢.   (٤) المجاز ٩/٢.   (٥) المجاز ٩/٢.

(٦) النقائض ٣٢٩/١.   (٧) النقائض ٧٨٠/٢.

قال: (والجُرْد جمع أجرد، وهو القصير الشعر)[١].

مثال٢– قوله تعالى: ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾ [الواقعة: ٥٥]، قال: واحدها، أهيم وهو الذي لا يُروي من رمل كانَ أو بعير[٢].

مثال٣– أعيط وعِيط[٣]، في قول جرير: (الرجز)

إنَّ سليطاً كاسِمْهَا سليطُ   لولا بنو عَمرٍو وَعَمروٌ عِيطُ

ونلحظ في هيم وعيط أنهما في الأصل من بناء (فُعْل) ولصعوبة الضمة قبل الياء تحولت إلى كسرة خالصة لتناسب الياء وهي من قبيل المماثلة الرجعية.

ج – ما جاء مفرده على تقدير (فِعَال) في صيغة (فُعْل)

مثال: سِوار وسُوْر قال الشاعر: (الطويل)

لَهَا قَصَبٌ رَيَّانُ قد شَجَيَت بِه   خلاخيلُ سلمى المصمتاتِ وسُورُها

قال: (سورها: يديها ورجليها، وسُوْر جماعة سِوار)[٤].

د ــ ما كان مفرده على تقدير فَعُول وفُعالة في صيغة (فِعَال)

مثال١– ذنوب وذناب قال الفرزدق: (الوافر)

فَقَبَّحِ شَرٌّ حَيَّينا قديماً   وأصغره إذا اغترفوا ذِنَابا

قال: ذناب جمع ذنوب وهي الدلو المملوءة ماء[٥] كما مَثَّل بِسُلامة والجمع سِلام[٦].

هــ ــ ما كان مفرده على تقدير (فعيل) في صيغة (فِعْلان)

مثال١– دريس ودِرسان[٧] قال الفرزدق: (الطويل)

أَدِرْسانَ قيس لا أبالَكَ تَشْتَرِي   بأعراضِ قومٍ هُمْ بُنَاةُ المكارمِ

وــ ما كان مفرده على تقدير (فُعال)، قال تعالى: ﴿صُوَاعَ الْمَلِكِ﴾ [يوسف: ٧٢]، قال: (والجميع صيعان، خرج مخرج الغُرَاب، والجميع غِرْبان)[٨].

---

(١) النقائض ٢٣٧/١ وقد ذكر سيبويه في أمثلة الوصف الذي يأتي على صيغة (فُعْل) هذا الذي يذكره أبو عبيدة مثل أحمر وحُمْر، وصُفراء، وأبيض وبيض، وأهوح وهُوح..) انظر الكتاب ٦٤٤/٣ و ٦٤٩.

(٢) المجاز ٢٥١/٢.

(٣) العيط الطوال الصحام واحدهم أعيط والمرأة عيطاء النقائض ٢٩/١، ٤٧٨.

(٤) النقائض ٧/١و٨.

(٥) النقائض ٤٦٦/١.

(٦) المجاز ٢٨٨/١.

(٧) قال درسان: الواحد دريس) النقائض ٣٧٩/١.

(٨) المجاز ٣١٥/١.

زـ ما كان تقديره في المفرد على فعول أو فعيل أو فعال وجمعه على صيغة فَعَل:

قال تعالى: ﴿**بِغَيْرِ عَمَدٍ**﴾ [الرعد: ٢]، قال: (متحرك الحروف بالفتحة، وبعضهم يحركها بالضمة لأنها جميع عمود، وهو القياس، لأن كل كلمة هجاؤها أربعة أحرف الثالث منها ألف أو ياء أو واو؛ فجميعه متحرك مضموم[١]....

غير أنه جاءت أسامٍ منه استعملوا جميعه بالحركة بالفتحة نحو عَمُود وأديم وإهاب قالوا: أَدَم، وأَهَب.

قال النابغة الذبياني:[٢](البسيط)

وخَيِّس الجِنَّ أَنِّي قَدْ أَذِنْتُ بِهِمْ ... يَبْنُونَ تَدْمُرَ بالصُّفَّاحِ والعَمَدِ

ثالثًا – صيغة منتهى الجموع وما يتعلق بها

١ـ صيغة (فَوَاعِل)

مثال ١ – قال تعالى: ﴿**رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ**﴾ [التوبة: ٨٧]، قال: (يجوز أن يكون الخوالف هاهنا النساء، ولا يكادون يجمعون الرجال على تقدير فواعل؛ غير أنهم قد قالوا: فارس والجمع فوارس، وهالك في قوم هوالك)، قال ابن جذل الطعان يرثي ربيعة بن مكدم[٣]: (الطويل)

فَأَيْقَنْتُ أَنِّي ثائرُ ابنِ مكدَّمٍ ... غَدَاةَ إذٍ أَوْ هَالكٌ في الهوالكِ

يفهم من هذا الشاهد وتعليق أبي عبيدة أن الأصل في صيغة (فواعل)، أن تكون جمعًا لـ(فاعل) أو (فاعلة) اللتين للمؤنث[٤] ولكنها قد تخرج إلى جمع (فاعل) التي للمذكر قليلاً.

---

(١) أشرنا إلى أمثلته تلك في صيغة فُعُل السابقة.

(٢) المجاز ١/ ٣٢٠ ونلحظ على هذا المثال أنه مَثَّل للصيغ المختلفة التي أشرنا إليها في صيغة (فُعُل) (فِعال) مثل إهاب و (فعيل) أديم، و (فعول) مثل عمود.

(٣) المجاز ١/ ٢٦٥.

(٤) قال سيبويه ـ في باب تكسير ما كان من الصفات عدد حروفه أربعة أحرف ـ : (وإذا لحقت الهاء فاعلاً للتأنيث كُسِّر على " فواعل " وذلك قولك : ضاربة وضوارب ..... وكذلك إن كان صفة للمؤنث ولم تكن فيه هاء التأنيث وذلك حواسر، وحوائض، انظر الكتاب ٣/ ٦٣٢ و ٦٣٣ .

ومن أمثلة ذلك عنده : بائكة وبوائك[١]، وجابية وجواب [٢] ، وحائجة وحوائج[٣]، وحائر وحوائر[٤] وصافيه، وصواف[٥]، وحاصن وحواصن [٦].

وماخر ومواخر[٧]ونلحظ على تلك الأمثلة :

١ـــ ذكر القاعدة مرَّة واحدة ثم جاء بالشواهد التي ترجع إليها وبصورة شبه متكاملة من الصحيح والمعتل في النقائض والمجاز وجاءت الأمثلة من الاسم والصفة للمؤنث وكذلك ما حُمِلَ عليه من المذكر .

٣ ـــ ونلحظ على الأسماء التي جمعت بهذه الصيغة فُحوّلة عن صفات .

٢ ـــ صيغة (فَعَائِل)

(٢: ١) ما كان مفرده على تقدير " فعيل " و " فعيلة " وشاهده ، قوله تعالى :

﴿عَلَى الأَرَائِك﴾ [يـــس: ٥٦]، قال: (واحده أريكة وهي الفرش في الحجال)[٨] وقال تعالى :

﴿بَاسِطٌ ذِرَاعَيْه بِالْوَصِيد﴾ [الكهـــف: ١٨]، قال: (الجمع وصائد ووُصُد) [٩] ومثـــال

---

(١) قال ذو الخِرَق الطهوي : (المتقارب) عراقيب كُوم طوال الذرى تَخرُّ بوائكها للرُّكَبْ
قال: (واحدة البوائك ، بائكة وهي الكريمة من الأبل) النقائض ١/ ٤١٨ .

(٢) قال تعالى : ﴿وجفان كالجواب﴾ [سبأ: ١٣]، قال : (واحدها جابية وهي الحوض الذي يجبى فيه الماء)
قال الراجز : فَصبَّحتْ جابيةً صهارجا كأنه جلد السماء خارجا المجاز ٢/ ١٤٤ .

(٣) قال الشماخ: (الوافر) تقطع بيننا الحاجات إلا حوائج يعتسف مع الجريٍّ جمع حائجة عن أبي عبيدة، التنبيهات ١٢٣.

(٤) قال الفرزدق : (الكامل) وترى مراحيها يثوبُ لَحاقُها ورْدَ الحَمام حوائرَ الأوشالِ
قال : (واحدها حائر؛ وهو الماء المستقع المتحير في الأرض) النقائض ١/ ٢٩٢ .

(٥) قال تعالى ﴿فاذكروا اسم الله عليها صوافٌ﴾ الحج ٣٦ قال: (أي مصطفة .. وبعضهم يجعلها من باب الياء فيقول : صوافٍ، يتركون الياء من الكتاب ، كما يقول هذا قاضٍ، وواحدتها صافية لله } المجاز ٢ / ٥٠ .

(٦) قال الفرزدق : (الكامل) أدَّتْ بهم نُجُبٌ حواضنُ حملها لأب وأُمِّك كان غَيْرَ نَزُور
قال : (حواصن : هي العفائف من النساء، الواحدة حاصن، ويقال امرأة حَصَان مفتوحة الحاء) النقائض ٢/ ٩٢٠

(٧) قال تعالى : ﴿وترى الفُلْك فيه مواخر﴾ [فاطر : ١٢]، قال : (تقديرها ، فواعل) انظر المجاز ٢/ ١٥٣

(٨) المجاز ١/ ١٦٤ .

(٩) المجاز ١/ ٣٩٧ .

ذلك خصيلة وخصائل [١]وحصيد وحصائد وصـريمة [٢]. وصـرائم [٣] وكتيفـة، وكتائف [٤].

٢ : ٢ ـ ما كان مفرده على تقدير (فِعالة) مثل غِمامة وغمائم، قال جرير[٥] : (الكامل)

كالنِّيب خَرَّمها الغمائمُ بعدما شلَّطْنَ عن حُوَضٍ بجوف أُمثال

قال : (والغمائم واحدها غِمامة)

ونلحظ أن مفرد هذه الصيغة قد جاء في النقائض والمجاز من تقدير فعيـل وفعيلـة في الغالب وكذلك من الأسماء لا الصفات [٦].

٣ـ صيغة (مَفَاعِل)

(٣ : ١) ما كان مفرده على تقدير مِفْعَل و مِفْعَلة بكسر الميم وأمثلتـه : المِـئْلاة، والمآلي. ومِجْلد ومجالد[٧] ومِرْخاءٌ والمراخِـي[٨] والمِرْمـاة والمَرامِـي[٩]، ومِـسْحل

---

(١) الحصائل: العضل في اليدين والرجلين واحدها حصيلة، قال جرير : (الرجز) يُرْهِزُ رَهْزًا يُرْعِدُ الحصائلا النقائض ١/ ٣.

(٢) قال تعالى: ﴿فجعلناها حصيدًا﴾ [يونس: ٢٤]، قال : (يقع لفظه على لفظ الجميع .. وقد يقال حصائد الزرع، المجاز ١/ ٢٧٧ .

(٣) قال جرير : (الطويل)

تميميةٌ حلّت بحومانتي قَسيً حِمَى الحيل دادت عَنْ قسيً فالصرائم

قال : (الصرائم رمال تقطع من معظم الرمل الواحدة صريمة) النقائض ١/ ٣٩٤ .

(٤) قال جرير: (الكامل)

ألْهى أباك عن المكارم والعُلى لَيُّ الكتائف وارتفاع المِرحَل

قال : (الكتائف : الضبات ، الواحدة كتيفة) المرجع السابق ١/ ٢٣٠ .

(٥) المرجع السابق: ١/ ٣١٨ .

(٦) قال سيبويه : (فقد يكسر وصف فعيل إن لحقته الهاء على فعائل كما كسرت عليه الأسماء) الكتاب ٣/٦٣٦ وانظر ٣/ ٦٣٧ .

(٧) قال : (المآلي : حِرَقٌ تمسكها النساء بأيديهن إذا نُحْن، واحدها مِئْلاة ، والمجالد مثلها واحدها مِجْلد وهي من جلود) العريب المصنف ١/ ١٥٧ .

(٨) قال الفرزدق : (الكامل)

وترى مراخيها يثوب لحاقها ورْدَ الحمامِ حوائر الأوشال

قال: (مراخيها: الواحد مِرْخاء، وهو السهل في عدوه من الخَيل ..) النقائض ١/ ٢٩٢ .

(٩) قال : (المراعي : السهام، واحدها مِرماة) انظر المرجع السابق ١/ ٦ .

ومساحل[١]، ومِسنٌّ ومَسانّ[٢] ، ومِقْنب ومقانب[٣].

(٣ : ٢) ما كان مفرده على تقدير مَفْعَل ومَفْعلة بفتح الميم وأمثلته: مَأْثرة ومآثر[٤]، ومَحْجر ومحاجر[٥] ومَخْرم ومخارم[٦]، والمغْني والمغاني[٧] وملامة وملاوم[٨] والموماة والموامي[٩].

(٣ : ٣) ومما يُحلق بصيغة (مفاعل)

برْعيس وبراعس [١٠] ، والتودية والتوادي [١١] وجؤجؤ وجآجئ [١٢] وحنكل وحناكل [١٣]، وسرعوف وسراعف [١٤] وصيصية وصياصي [١٥] قنعاس وقناعس [١٦] ، وقيقاء وقياقي [١٧] .

(٣ : ٤) ومما يُحلق بتلك الصيغة أيضًا بناء (أفاعل) مثل : إسوار وأساور [١٨]

---

(١) قال جرير : (الكامل) والموردون على الأسنة قُرّحًا حُمْرًا مساحِلُهُنَّ غيرَ مِهار

قال : (قوله مساحلهن يعني مِسْحل اللجام، وهي حديدة تكتنف لِحيي الفرس) المرجع السابق ١/ ٣٣٦ .

(٢) المرجع السابق ١/ ٢٩٠ .

(٣) قال جرير : (الوافر) فوارسنا عتيبة واس سعد وقوّاد المقانب حيث سارا

قال (المقانب : واحدها مِقنب وهي الجيوش) انظر المرجع السابق ١/ ٢٥٤ .

(٤) قال : (المآثر : أي المكارم ، الواحدة مأْثرة) المرجع السابق ١/ ٢٦٣ .

(٥) قال: (والمحاجر ، واحدها مَحْجِر وهو ما حول العين) انظر المرجع السابق ١/ ٢٦٣ .

(٦) قال جرير: (الطويل) ولا خير في مالٍ عليه أليّة ولا في يمين غير ذات محارم

قال : (مخارم : جمع مخرم وهو منقطع الطريق في الجبل) المرجع السابق ٢/ ٧٥٤ و ١/ ٣٤٦ .

(٧) قال: (وقولهم معاني الديار، واحدها مغنى قال : (الطويل) أتعرفُ مَغْنى دِمنة ورسوم . انظر المجاز ١/ ٢٢١

(٨) قال جرير : (الطويل) ولا مت قريشٌ في الزبير مجاشعًا ولم يعذروا من كان أهل الملاوم

قال: (الملاوم جمع ملامة) النقائض ١/ ٩٩٣ وانظر ٢/ ١١٥٤ .

(٩) الموماة : الفلاة المرجع السابق ١/ ١٦٠ .

(١٠) قال : (البراعس ، الكرام واحدها برْعيس) انظر النقائض ١/ ٢٦ .

(١١) التوادي : العيدان التي تضرب بها أخلاف الإبل واحدتها توْدية انظر النقائض ١/ ١٢٣ .

(١٢) الجآجئ : الصدور ،واحدها جؤجؤ السابق ١/ ١٣٤ .

(١٣) الحناكل القصار ، الواحد حنكل السابق ١/ ٢٣ . (١٤) المرجع السابق ١/ ٢٦٠ .

(١٥) الصياصي ،واحدها صيصية وهي القرن السابق ١/ ٥٠٢ .

(١٦) الأواري : أواريُّ النار جمع أَريٍّ المرجع السابق ١/ ٣٩٥ .

(١٧) الأواسيّ : الأساطين ، واحدها آسِيّ مشدد انظر المرجع السابق ١/ ٥٣٨ و ٥٣٩ .

(١٨) القناعي من الإبل الطوال، الواحدُ قِنْعاس انظر المرجع السابق ١/ ٢٧.

وأشجع وأشاجع [١].

وأَعْبُل وأعابل [٢] والأُدْحِيّ والأداحِيُّ [٣] والأَرِيُّ والأواري [٤] والآسِــيّ (آســيّة) والأواسي [٥].

٤ ـ (مَفَاعِيل)

مثال١ – قال تعالى: ﴿**يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ**﴾ [سبأ: ١٣]، قال: (واحدها محراب؛ وهو مقدم كل مسجد، ومصلي وبيت، وقال وضّاح اليمن: (الرجز) .

ربّةُ محرابٍ إذا جئتُها لَمْ أَلْقها أو أرتقي سلَّما [٦]

مثال٢ – قال تعالى : ﴿**لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ [الزمر: ٦٣] .

قال: (أي المفاتيح واحدها مقليد ، وواحد الأقاليد إقليد قال الأعشى: [٧] (الطويل)

فتىً لو يجاري الشمس ألقت قناعها أو القمر الساري لألقى المقالوا

مثال٣ : ومما يشبه صيغة (مفاعيل) أسطورة وأساطير قال تعالى: ﴿**أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**﴾ [الأنعام: ٢٥]، قال: واحدها أسطورة وإسطارة لغة [٨] وإضمامة وأضاميم [٩] وبُلوقة وبلاليق [١٠] ورئبال ورآبيل [١١] وعضروط وعضاريط [١٢] وقرموص وقراميص [١٣]

---

(١) القياقي، الواحدة قيقاء وهي أرض صلبة انظر المرجع السابق ١/ ١٧٣ .

(٢) في قوله تعالى : { أساور من ذهب } الكهف / ٣١ قال واحدها : إسوار .. انظر المجار ١/ ٤٠١ .

(٣) الأشاجع عصب ظاهر الكف على كل قصبة أشجع النقائض ٢/ ٨٧٠ .

(٤) الأداحي : مواضع بيض النعام واحدها أُدْحِيٌّ المرجع السابق ١/ ٢٦ .

(٥) قال النابغة : (الطويل) بجَمْعٍ كلون الأعْبلِ الورد لونه ترى في نواحيه زهيرًا وحِذْيما
الأعبل : الحجارة البيض ويقال الجبل الأبيض والجمع أعابل السابق ١/ ١٠٣ .

(٦) المجار ٢/ ١٤٤ . (٧) المجار ٢/ ١٩١. (٨) انظر المجاز ١/ ١٨٩ .

(٩) الأضاميم ، الجماعات من الخيل وغيرها واحدها إضمامة انظر النقائض ١/ ١٦٣ .

(١٠) البلاليق: فجوات في الرمل تنبت الرُّخامي وغيره الواحد بلّوقة انظر المرجع السابق ١/ ٥٢٠ .

(١١) وآبيل البلاد هي جمع رئبال بالهمز المرجع السابق ١/ ٤٥١ .

(١٢) العضاريط : الأتباع الواحد عضروط المرجع السابق ١/ ١٠ .

(١٣) القراميص : حفيرة يحتفرها الصائد كالترب يكون فيها ، واحدها قرموص المرجع السابق ١/ ٥١٢ .

وهُذْلول وهذاليل [١] .

ونلحظ على هاتين الصيغتين (مفاعل ومفاعيل):

١ــ أنهما قد جاءتا من الأسماء والصفات وغلب على مفرد (مفاعل) البناء الرباعي من غير حرف مد في تقدير (مَفعَل ومَفعلة) وغلب على مفردات (مفاعيل) البناء الخماسي المشتمل على حرف مد مثل مِفْعال ومِفْعيل .

٢ــ دلّ الملحق بصيغة (مفاعل) أنه قد يأتي مفردها خماسيًّا رابعه حرف مد مثل برعيس وجمعه براعِيس وسرعوف وجمعه سراعف وكذلك مقليد ومقاليد كما في بيت الأعشى ومقاليد كما في الآية الكريمة ونستنتج من ذلك أن صيغة مفاعيل متطورة عن م(مفاعِل) بزيادة حركة العين .

رابعًا – صور مختلفة من الجمع

١ــ جمع الجمع:

مثال ١– قال تعالى : **﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ﴾** [سبأ: ٥٤]، يقال شيعة والجميع شيع ثم جمعوا شيعًا فقالوا أشياع [٢].

مثال ٢– قال جرير : (المتقارب)

فقال ارْفُقَنَّ يِلَيِّ الكتيف وهك المشاعب بالمِبْرَدِ

قال: (الكتيف : ضبابُ الحديد، الواحدة كتيفة وكتائف جَمْعُ الجمعُ [٣] .

مثال ٣– قال الفرزدق:

ترى قطنٌ أهل الأصاريم أنه غَنِيٌّ إذا كَلَّمَته فقيرُها

قال: (الأصاريم جمع أصرام، والأصرام جمع صرْم) [٤] .

٢ــ : قال تعالى : **﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾** [النبأ: ١٦]، قال: (**فألفافًا**) جمع الجمع، يقال: جنة لفّاء، وجِنان لُفٌّ وجمع لُفٌّ : ألفاف) [٥]، وفي قوله تعالى: **﴿بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾**

---

(١) الهذاليل : رمال مستدقة ، الواحد هذلول انظر المرجع السابق ١/ ٥١٦ .

(٢) المجاز ٢/ ١٥١ . (٣) النقائض ٢/ ٨٠٠ .

(٤) المرجع السابق ١/ ٥١٧ وقال الصِرْم ما بين العشرين إلى الثلاثين من البيوت،" قَطَن" يريد قطن بن نَهْشَل بن دارم ، والمعنى أنه غني بكلامها إياه/ السابق نفسه .

(٥) المجاز ٢/ ٢٨٢ .

[الرعد: ١٥]، قال: (واحدها : أُصُل، وواحد الأُصُل أصيل)[١].

٢ــ الأسماء الموصولة

مثال١ – قال تعالى: ﴿وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ﴾ [النساء: ١٥]، واحدها " الــتي " ، وبعض العرب يقول " اللواتي " قال الراجز[٢]:

من اللواتي والتي واللاتي زَعَمْنَ أَني كَبِرتْ لِدَاتي

مثال ٢– في قوله تعالى : ﴿وَاللاَّئِي يَئِسْنَ﴾ [الطلاق: ٤]، قال (واحدها ذات)[٣].

٣ــ أولو، أولات

قال تعالى: ﴿أُولُو الأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩]، وقال: ﴿وَأُولاتُ الأَحْمَالِ﴾ [الطلاق: ٤].

قال أبو عبيدة : " أولو " واحدها ذو [٤] ، " وأولات " واحدها ذات [٥] .

٤ــ ما يقع على الواحد والجمع بلفظ واحد

١ــ (قال : الفُلْك : قد يقع على الواحد والجميع بلفظ واحد[٦] .

٢ ــ قال جرير : (الطويل)

فأين بنو القعقاع عن ذود فرتنا وعن أصل ذاك القِنِّ أن يتقسما

قال: (والقِنُّ وفي أذواد) فهذا جمع وفي بيت جرير واحد) [٧] . ومن أمثلة ذلك عنده لفظة ضَيف[٨]، وخَصْم ولُباب ومُصاص وخيار [٩] .

٣ــ" الغِسْل "

---

(١) المجاز ١/ ٣٢٨ .

(٢) المجاز ١/ ١١٩ و ١٢٠ وقد ذكر شواهد أخرى ومعنى لِداتي ــ كما فسره ــ أسناني .

(٣) المجاز ٢/ ٢٦٠ ، وأظن أنه قد حدث انتقال نظر من الناسخ حيث واحدة اللائي التي وإنما نقل الناسخ مفرد الكلمة الثانية وهي كلمة ذات .

(٤) المجاز ١/ ٣٢٩ .

(٥) المرجع السابق ٢/ ٢٦٠ .

(٦) انظر المرجع السابق ١/ ٢٨٨ ، ٢/ ٥٨ .

(٧) النقائض ١/ ٦٤ .

(٨) قال تعالى ﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين﴾ سورة الذاريات / ٢٤ قال : (ضيف مثل خصم يقع على الواحد والجميع ، انظر المجاز ٢/ ٢٦٦ وفي سورة الحجر / ٦٨ ﴿إن هؤلاء ضيفي﴾ قال اللفظ لفظ الواحد والمعنى على الجميع كما قال لبيد : (الطويل)

وخصم كنادي الجن أسقت شأوهم بمستحصدٍ ذي مِرَّةٍ وصدوع انظر :المرجع السابق ٢/ ٢٢٦ .

(٩) ألفاظ يرويها عن يونس لا يثني ولا يجمع النقائض ١/ ٤٦٨ .

قال البعيث [١] : (الطويل)

لَعَمْري لَقَدْ ألهي الفرزدق قيدُه ودُرْمٌ نوارٍ ذو الدهان وذو الغُسل

قال : (والغِسْل واحدٌ و لم أسمع له بجمع)

٥ـ ما يكون مفتتح الجمع فيه غير مفتتح المفرد

قال الفرزدق : (الكامل)

وَهَزَزْنَ مِنْ جَزَعٍ أَسِنَّةَ صُلَّبٍ كجذوع خيبر أو جذوع أوالِ

قال : (والأسِنَّة ها هنا المسان، واحدها سِنان ومِسَن مثل لِحاف ومِلْحَف [٢] .

بعض النتائج العامة التي سجلها البحث :

سجل البحث بعض النتائج على كل صيغة من الصيغ وهذه مجموعة من النتائج العامة على هذا الفصل :

١ـ تبين للباحث من خلال المادة اللغوية لجموع التكسير أنا أبا عبيدة يسير على النحو التالي:

١ـ إذا كان في الآية أو البيت من الشعر لفظة جمع تكسير أتى بمفردها وذكر ما يشبهه أحيانًا، وإذا كان في الشاهد اللغوي اللفظ مفردًا أتى بصيغة الجمع، وقد يشير إلى بعض الجموع الأخرى.

٢ـ تكامل الجموع في النقائض والمجاز حيث قليلاً ما يكرر لفظة تحدث عنها، فإن عاد إليها فإنه يعود لذكر ما لم يذكره من قبل مما يدل على الوعي الكامل بهذه القضية في إطار هذين المصدرين .

٣ـ بينت المقابلة بين أبي عبيدة وسيبويه المكانة الحقيقية لأبي عبيدة كما كشفت عن الآراء المتقدمة له رد في فكرة ضعفه في النحو .

٤ـ تداول مصطلحات أبي عبيدة وعباراته في المصادر العربية المختلفة ونلاحظ أن بعض كبار اللغويين مثل ابن جني مثلاً وابن الأنباري قد أيّد وجهة نظره في بعض القضايا على آراء سيبويه .

---

(١) المرجع السابق ١/ ١٣٧ .

(٢) المرجع السابق ١/ ٢٩٠ .

ومن طرق توليد صيغ الجمع بعضها من بعض وِفْق منهجه:

ـــ **المعاقبة**: مثل جمعه بين فُعْلان بالضم وفعلان بالكسر أو خروج الضم إلى الفتح كما في صيغة فُعُل وفَعَل حيث تُجمْع عمود على عُمُد ـــ وهو القياس عنده ـــ وعلى عَمَـــد في بعض الأسامي.

ـــ **التخفيف**: كأنه تكون الصيغة (فُعُل) فتصير (فُعْلا).

ـــ **الحذف**: وذلك بحذف حركة كجمع (فِعَل) الذي مفرده فِعْل أو حذف حركة مثل جمع فِعْلة على فِعَل (حذف التاء) .

ـــ **الزيادة**: زيادة حركة أو زيادة حرف أو زيادة حركة وحرف .

ـــ أن يأتي الجمع على صورة المفرد ويحدد ذلك السياق .

ـــ أو الحذف والتخفيف مثل تخفيف الهمزة من أَشَدّ (شَدّ) ثم جمعها على (أَفْعل) أُشدُّ أو بتغيير الحركات.

*****